

دكتور
حمدان عبد الرحمن محمد حمدان
بكلية اللغة العربية بأسسيوط

مظاهر الصراع
في
الأدب العباسي

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

الطبعة الاولى

١٤٠٤ هـ - ١٦٨٤ م

مطبعة الأمانة ٣ - جزيرة بدران ، شبرا مصر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد الرسول الأمين .. الذي أدى الامانة وبلغ الرسالة ، وتركنا على المحجة البيضاء .. خير امة اخرجت للناس ، وعلى آله وأصحابه وأنصاره ، وأحبابه .. الذين تبوأوا الدار والايمان ، وقدموا الخير والاحسان ، وحملوا اعلام الرسالة خفاقة في أوسع الاجواء ، وانتقلوا بالناس من ظلمات الجهالة ودياجير الضلالة .. الى ساحات العلم ونباهات المعرفة ، وذاقوهم حلاوة الايمان .

ويعمد : فلقد تأذن المؤلف تبارك وتعالى أن اعكف على دراسة « مظاهر الصراع في الادب المباني حتى نهاية القرن الثالث الهجري » وقضي سبحانه أن أتقّل بين افياء الادب وأدواحه ورياضه ، وأن اعدل عقلي وفكري في دراسة هذه القضية ، واستخلاص جوانبها .. كي اسير أغوارها واكشف أسرارها ، واتقياً ظلالها ، واستخرج الدارسين والمطلعين دقائقها وحقائقها .. بعد أن اتمت النظر في المؤلفات والمصنفات الحديثة التي اكدت بدراسة تلك الجوانب في العصر الاموي تاركة الغوص على جواهر تلك المعسارف في العصر المباني الذي برزت فيه صور ذلك الصراع وتمددت رسومه ، وتقلبت اعطافه على حقائق ذات تأثير خاص في تقويم ذلك الادب والتأثير فيه .. سواء من النواحي السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية أو العقلية .

(ب)

ولقد ركز المؤلفون المحدثون في مؤلفاتهم على الدراسة التاريخية أو الفنية أو النقدية لهذا العصر ناسين أو تحافلين عن أن الأدب هو المرأة المصقولة التي تكشف جوانب الحيساسة ، و « الترمومتر » الحساس الذي يعكس حرارة الزمن أو برودته ، ومدى تأثير الأحداث في نتاج الشاعر أو الأديب .

ومن خلال دراستي المتتالية لأدب ذلك العصر راعيتي تمديد هذه الصراعات ، وغزارة تلك المشادات بين الجاعات المختلفة ، والطوائف المتعددة وعلى رأسها انشعراء ولادباء .. كما لمست عن كثب مدى تأثير ذلك كله في الأدب .. حتى تعددت وجوهه ، وتلونت سياته ، وتكثفت صورته ، وبرزت مراسمه ، وغزرت ألوانه بشكل أم يسبق له مثيل في العصور السابقة .

وقد اقتصر كبار المؤلفين في العصر الحديث على دراسة ذلك انصراف وآثاره في العصر الأموي .. وهنهم الأستاذة احيد أمين ، وأحمد الشايب وأحمد الحوفي ، والنعمان القاضي وشوقي صيف .. الذين عرضوا في مؤلفاتهم للأحزاب السياسية والفرق الدينيّة والنقائض الأدبية أيام الأمويين ، .. وتناموا في الوقت نفسه أن العصر العباسي لم يكن أقل شأنًا من العصر الأموي في هذه المجالات .

ومن هنا تولدت عندي فكرة أن اتسم هذا النقص وأجبر ذلك الكسر ، وأكمل ذلك البناء بوضع اللجنة الأخيرة في مرصعها منه ، وهي هذا الكتاب .

ولقد نهجت في كتابتي نهجا خاصا فام على تنسيق البحث وتنظيم الدراسة .. حتى يخرج على النسيج المرتجى ، والنهجا المؤمل

(ج)

•• وبكلمة بذلك عقد هذه القضية ، وتتعرف على آثار هذا الصراع الذى اثرى به الادب العربى وهاض فوضه قائدنا علق جـواندب الحياة الادبية سلسلا صافيا من الادب العزيز الذى تصوب أو تصعد في تلك المجالات •• في شبه خصوصية بين العناصر والمعتقدات والافتكار التى ظهرت في ذلك الابان في المجتمع الاسلامى •

ومن أبرز ألوان ذلك الصراع ما حدث بين ادباء العرب وأدباء الشعوبية •• الذين ناصبوا العرب العداء ، وواجهوهم بالسب والبذاء ، وحاولوا أن يطمسوا معالم المناقب العربية ، ويصوروهم بصور بدوية بعيدة عن الحضارة والمستويات الراقية ، ويصفوهم بأنهم مجرد رعيان اغتصبوا السلطان من أصحابه ، واستلبوا الأموال بالبطش والطغيان ، وحكموا الناس بالحديد والنار •

ومن أكثر الشعراء والادباء جرأة في هذا المجال ، بشار بن برد ، وأبو نواس والخريمى ، والمتوكلى وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وعبد الله بن المقفع وغيرهم •

ويلاحظ أنهم جميعا من الموالى الذين كان لهم وضع خاص في العصر الاموى •• لا يستطيعون معه انتهاج ما انتهجوه في العصر العباسي •• لانهم كانوا محكومين حكما اقتصر أجنتهم ، وأوقفهم العرب ويدعون أنهم خير منهم ، وأن جارهم وأصلهم خير من نجس العرب وأصلهم الى حد بعيد •

ومن هنا اندلعت الحرب الكلامية بين الفريقين ، واشتعل الجدل بين هؤلاء وأولئك ، وأدى الادب نعمة والشعر خاصة رسالة مكة وفاة

(٥)

في هذا المجال .. تتمثل في كثير من الفساد والمقطعات والنقائض
والمقتضيات .

ومن خلال هذه الحملات تصدى لهم مجموعة قوية من علماء العرب
وأدبائهم وشعرائهم يردون عليهم وينقضون آراءهم ، ويكشفون
زيغهم ... وعلى رأسهم الجاحظ وابن قتيبة وأبو حيان التوحيدي
والاصمعي عبد الملك بن قريب وغيرهم ..

وقد أخذ كل فريق يدافع عن نفسه ويحامي عن جزئه ، ويفسخر
بأنسابه ، ويذشر بحال الآخرين ويذيع معانيهم ، ويتقوّل في ذلك
الاقاويل :

ومن ألوان هذا الصراع ما حدث بين العرب والروم من مجادلات
ومساومات حربية وكلامية وكان أبرز من دافع عن العرب واسمائهم
أبو تمام والبحتري ومروان بن أبي حفصة حيث صوروا بطولية
الجيش العباسي أصدق تصوير .

ومن تلك الألوان الصراع الذي حدث بين العلويين
والعباسيين ، ومن شعراء الاولين ، دعبل بن علي الخزاعي الذي
صارح العباسيين بالعداء وجهر بخصومتهم ونادى بحق العلويين
والخلافة دون خوف أو فزع من الدولة وكذلك تميم بن المعز الفساطي
الذي ادلى بدلوه في الأدلاء ، وشارت بقوة في هذا الموضوع .

ومن شعراء العباسيين مروان بن أبي حفصة ومنصور النمرى
والسيد الحميري ، وكل من جعل الدنيا همه والمثل قصده .. وعلى
رأس هؤلاء عبد الله بن المعتز الشاعر والخليفة العباسي ، والذي

(م)

حدثت الملاحظة بينه وبين تميم بن الحر ، واشتد بينهما النزاع والصراع .

ومن هذه الانوان أيضا الصراع الديني والفكري الذي اشتمد واحتدم بين الخوارج والمعتزلة والمرجئة ، وترك على سفح الحياة الادبية كثيرا من الصور والرسوم . فقد ذهب كل فريق من هؤلاء بذهبا فكريا خاصا سجلته قيثاره الشعراء من هؤلاء وأولئك حيث دعوا الى هذا المذهب أو ذلك مفاضلين بين المذاهب ، عارضين المحاسن والمساويء في هذه الافكار والعقائد التي استهزت بمعاركها ردحا من الزمان .

ولقد شغلتنى هذه الدراسة عدة سنوات ، وتالت من جهدى ووقتي الشيء الكثير . لان التصدى لمثل هذا الموضوع الشائك يقتضي كثيرا من البذل وعظيما من الجهد ، وواسعا من القراءة والاطلاع خاصة أنني تعمقت في هذه الدراسة وعابثت كثيرا من كنوز الادب ونخائره ، وقضيت معها ارسه متطاولة في القراءة والفهم واستخراج النتائج من المقدمات .

وسيرى القارئ الكريم مدى ما عانيت في تأليف هذا الكتاب ، ويقف على ما بذلت في الحديث عن كل مذهب ، وفي تصوير كل رأي ، ورسم كل اتجاه للدولة أو غيرها ازاء هذه الافكار وتلك الاندفاعات المذهبية التي كانت ترضيها تارة وتستهبطها اخرى .

ومعروف بين الأدباء ان الأدب انما هو تصوير دقيق للأساسيات والمشاعر التي نتخلج كل نفس ، وتتموج بكل حس ، فهو صورة ناطقة لهذه وتلك ، ورسم صادق للعاطفة التي يحدها كل أديب نحو

(و)

الاحداث التي تمر به ، والوقائع التي يعايشها ويحيا في ظلها ، ويتأثر بها كل التأثر ومن هنا تشاهد تلك العاطفة على مسرح الحياة الخاصة والعامة في تميز ووضوح .

ولقد كان هدي من تلك الدراسة - كما الممت سابقا - أن اوضح بين يدي الدارسين للأدب وعاشقيه والمولعين به صورة صادقة عن هذا الصراع في مجالاته المتعددة خلال العصر العباسي الاول من الجوانب السياسية والاجتماعية والفكرية . . التي كانت خافية على الباحثين او مهلة منهم .

والله أرجو ان يهبى لهذا البحث ظروفًا مواتية ، ويمنحه فرصة سعيدة يظهر فيها الى عالم الوجود حاملا كثيرا من الاطباق الشهية الى المائدة الأدبية التي يلتف حولها الكثيرون كي ينالوا من جناها ويقبسوا من سناها الذي يضيء لهم معالم الطريق .

والله المسئول أن يكتب له ولنا التوفيق والسداد ويهدينا الى سبيل الرشاد . . انه نعم المولى ونعم النصير .

د . حمدان عبد الرحمن أحمد

رمضان سنة ١٤٠٤ هـ

يونيه سنة ١٩٨٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أشرقت شمس الإسلام على الكون ، فبددت ظلمات الجهل والطيش ، وقضت على العصبية ، وانفردت العنصرية ، وحصل محمد صلى الله عليه وسلم مشعل الهداية للناس اجمعين ، ونادى بالوحدة ، والاخوة الاسلامية ، فالؤمنون يد واحدة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ، لا فضل لعربي على اعجمي ولا ابيض على اسود الا بالتقوى والعمل الصالح فعلمت المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر . .

ولما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ، سار الخلفاء الراشدون من بعده على طريقته ، ونسجوا على منواله ، فلم يفرقوا بين عربي ولا اعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، واكبر شاهد على ذلك أن ابا بكر رضي الله تعالى عنه عندما تولى الخلافة ، بدأ عهده بتقرير هذا المبدأ السامي في قوله : الا ان اقوامكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، واضدقكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه (١) .

وكان يسوى بين المسلمين جميعا في العطاء ، حتى غضب عليه أهل السب في الاسلام وقالوا له : يا خليفة رسول الله انك قسمت

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٢٢٢ .

هذا المال فسويت بين الناس ومنهم من لهم فضلٌ وسبقٌ فهلاً؟ فضلتهم؟ فقال: أما ما ذكرتم من السبق والفضل فما أعرفني به، وإنما ذلك ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاشٌ والاسوة فيه خير من الأثرة (١) .

ولما آلت الخلافة إلى عمر رضي الله تعالى عنه حرص - كذلك - على تقرير هذا المساواة بين المسلمين حتى أنه كان يحرم على أهل المدينة أن يتركوها إلا للجهاد في سبيل الله مخافة أن يكونوا عصبية عربية في أقطار الدولة الإسلامية الواسعة فتدشق وحدتها وتتداعى أركانها، وهي قريبة العهد بالتنازع الجاهلي (٢) .

ولقد كان رضي الله تعالى عنه مثالا لحاكم المسلم المغير على وحدة المسلمين، فأوضح سياسته مع الأعاجم في قوله:

« والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عين فهم أولى بغيره صلى الله عليه وسلم منا يوم القيامة فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » (٣) .

ثم تولى من بعده عثمان رضي الله عنه - وكان سهلاً لبناً - فترك مقاليد الأمور في الدولة - لقومه من بنى أمية بما هي الفرصة للعصبية أن تطل برأسها من جديد، ولكنها لم تكن عصبية بين العرب والموالى وإنما كانت عصبية قبلية بين بنى أمية وبنى هاشم، وكان ذلك من الأسباب التي عجلت باستشهاده .

(١) الخراج لأبي يوسف ص ٥٠ .
(٢) تاريخ الشعر السياسي للشافعي ص ٩٩ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣ : ٢١٣ .

أما على - كرم الله وجهه - فقد كان مثالا للعدالة والنزاهة ،
والبعد عن العصبية ، والتفرقة العنصرية ، فكان يسوى بين العرب
والموالى في العطاء ، ولعل هذا من الأسباب التي جعلت العسرب
يقتاعسون عن نصرته (١) .

ويروى : أن طائفة من أصحاب على «شوا اليه فقالوا : يا أمير
المؤمنين اعط هذه الاموال ، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش
على الموالى والمجم ، واستعمل من تخاف خلفه دن الناس ، وانما
قالوا له ذلك لما كن معاوية يصنع في المسال فقال لهم : تأمروني
ان اطلب النصر بالجور ؟ (٢) .

بهذه التعاليم السامية ، وبتلك المهادى الرفيعة ارتقى
الاسلام وانتشر في ارجاء الارض وعاش المسلمون اخوة متحابين
يجمعهم الايمان ، ويوحد بينهم القرآن في ظل عدالة الخلفاء وسماحة
الحكام .

أما الاعاجم فعلى الرغم من دخولهم الاسلام . . وتمتعهم
بعدالة الحكام . فقد كان بعضهم ما زال ناقما على العرب الفاتحين ،
الذين ازالوا ملكهم ، واستولوا على بلادهم ، ونزلوا ملكهم ،
وسواوا بين القوي والضعيف ، والغنى والفقير ، ولم يجدوا وسيلة
للتنفيس عن هذا الحقد الدفين الا الاغتتيال للقضاء على ملك العرب .

(١) شرح نهج البلاغة لابي الهذيل ١ : ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ١ : ١٨٢ .

وازالة دولتهم من الوجود ، فاغتالوا عمر رضي الله عنه على يد ابي
 لؤلؤة المجوسي بتحريض من الهرمزان قائد الفرس بالاجواز ذلك أن
 « الهرمزان » كان داهية بن دهم الفرس ، وقائدا فذا من قوادهم
 ولكن الدائرة قد دارت عليه فسيق أسيرا الى المدينة وهناك أعلن
 اسلامه بين يدي عمر رضي الله تعالى عنه ولكنه لم يكن مخلصا في
 اسلامه بدليل انه كان رأس المؤامرة التي انتهت بمقتل الخليفة عمر
 على يد فيروز ابي لؤلؤة المجوسي الذي كان ناقما على العرب حتى
 انه كان انا مر يصبى من سبانيا الفرس سح على رأسه وقال : اكل
 كبدى عمر (١) .

ولقد كانت هذه الواقعة اول طمعة توجه من الجوالى للعرب بعد
 الاسلام ، وليس صحيحا ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية من ان
 القتل كان لعداء شخصي بين ابي لؤلؤة وعمر ، فقد أشارت المصادر
 الصحيحة الى ان عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما لم ينم عن
 ثار أبيه حتى اقتصر من الهرمزان فلو كان القتل لاسباب شخصية
 لسلم به الهرمزان ولكن اقتصر من ابي لؤلؤة قوهده (٢) .

وهذا دليل على أن الصراع بين العرب والجوالى بدأ منذ الشرح
 الاسلامى لبلاد الفرس والروم ولم ينشأ فجأة في القصر العباسي كما
 يذهب الى ذلك بعض الباحثين الذين ارخوا للشعبوية .

(١) الطبرى ٥ : ٦٣١ .

(٢) مظاهر الشعبوية ١٢٦ .

الفصل الأول

الصراع بين العرب والموالي : في عصر بني أمية

اغتنب بنو أمية الخلافة من بني هاشم وأرغموا المسلمين على بيعتهم وحرصوا أن تكون هرقلية كلما مات هرقل جاء هرقل^{١٠٠} ولذلك فقد كثر أعداؤهم من الهاشميين والزبيريين والشمسوارج والموالي^{١٠٠٠}

ولم يأمن بنو أمية جانب الموالى قط طوال مدة حكمهم باستثناء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه^{١٠٠} وقد عبر معاوية عن خوفه من الموالى عندما دعا الاحنف بن قيس وسيرة بن جندب وقال لهما : انى رأيت هذه الحمراء قد كثرت - يقصد الموالى - وارهأ أقصد قطعت على السلف وكأنى أنظروا الى وثبة منهم على العرب والسفطان فقد رأيت أن أقتل شطرا وأدع شطرا لأقامة السوق وعمارة الطريق فما ترون ؟ (١) فماتع الاحنف في ذلك بحجة أنهم تشاركوا في النسب بينما وافق سيرة قائلا : انه يقولى ذلك وأكثر من ذلك ، غير ان معاوية عاد ورجع الى رأى الاحنف *

فكان طبيعيا أن يتوجس الموالى خيفة من الامويين وان يترهبوا بهم الدوائر^{١٠٠} ولكنهم لم يستطيعوا أن يجهروا بهذا العداء^{١٠٠٠} خوفا من بطش الخلفاء وغضب الحكام من بني أمية الذين كانت عندهم

(١) العقد الفريد ٢ : ٢٦٦ ابن عبد ربه الأندلسي *

عصبية عربية قوية ٠٠ وكتب الادب واحداث التاريخ اكبر شاهدا
على ذلك ٠٠

فقد روى الاغانى : أن رجلا من الموالي خطب بنتا من أعراب
بنى سليم وتزوجها فركب محمد بن بشير الخارجي الى المدينة
وشكى الى واليها ابراهيم بن هشام بن اسماعيل فأرسل الوالى
الى الموالى وفرق بينه وبين زوجته وضربه مائة سوط وحلق رأسه
ولحيته وحاجبيه فانطلق لسان ابن بشير بالثناء على الموالى في
قوله :

شهدت غداة خصم بنى سليم
وجسوما من قضائك غير سود
قضيت بسنة وحكمت عدلا
ولم ترث الحكومة من بعيد
اذا عمز القنا وجدت لعمري
قناتك حين تغمز خير عود
حمى حديا لحوم بنات قوم
وهم تحت التراب ابو التوليد
وفي المسكتين للمولى نكاح
وفي سلب الحواجب والحدود
اذا كفاتهم ببينات كسرى
فهل يجسد الميالى من مزيد
فأى الحسق انصف للموالى
من اصهار العبيد الى العبيد(١)

ويحكى المبرد : ان جريرا نزل يقوم من بنى العنبر فلم يضيفوه
حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول :

يا مالك بن طريف ان بيمكم
رقد القرى مفسد للدين والحسب
قالوا نبيعهك بيما فقلت لهم
بيعوا الموالى واستحيوا من العرب

ويقول المبرد : ان الموالى قد انتفت من هذا البيت لانه حطهم
ووضعهم ورأى أن الاساءة اليهم غير محسوبة عينا (١) .

ولما نزل الحجاج واستسطا نفى النبط منه وكتب الى عامله
بالبصرة وهو الحكم بن أيوب يقول : اذا اتاك كتابي فانف من قبلك
من النبط فانهم مفسدة للدين والدنيا (٢) .

وذهب اعرابي الى سوار القاضي فقال : ان ابي مات وتركني
وأخا لي - وخط خطين ناحية - ثم قال : وهجينا لنا - ثم خط خطا
آخر ناحية ثم قال : كيف ينقسم المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم
ثلاثا ان لم يكن وارث غيركم : فقال له : لا تصيك فهمت : انه
تركني واخي وهجينا لنا . فقال سوار : المال بينكم سسواء فقال
الاعرابي ياخذ الهجين كما أخذ ويأخذ أخي ؟ قال : اجل . فغضب
الاعرابي وقال : تعلم والله انك قليل الخالات بالدهناء (٣) .

(١) الكامل : ٢ : ٢٦١ .

(٢) حكي الاسلام ١ : ٢٤ .

(٣) عيون الأخبار ٢ : ٦١ .

وروى صاحب العقد أن العرب كانت تقول : لا يقطع الصلاة الا
ثلاثة : حمار او كلب أو مولى ٠٠

كما روى أن العرب كانوا لا يكون الموالى ولا يدعونهم الا
بالاسماء واللقاب ولا يمشون في الصف معهم ولا يقفونهم في الموكب
وان حضروا طمعا قاموا على رؤوسهم وان اطعموا المولى لسنته
او لعله وفضله اجلسوه في طريق الخبز لئلا يخفى على الناس
انه ليس من العرب (١) .

وكان نافع بن جبير يقول : اذا مرت به جنازة من هنا ؟

فان قالوا قرشي قال : واقومه ٠٠

وان قالوا عريبي قال : وابلوتاه .

وان قالوا مولى قال : هذا مال الله يأخذ ما يشاء ويدع

ما يشاء (٢) .

ولقد بلغ من احتقار العرب للموالى في العصر الاموي أنهم
كانوا - في معارك القتال - ينتظون صهوات الجياد ويرجلون الموالى
يدل على ذلك قول المختار الثقفي لابراهيم بن الاشتر يوم «خازر»
وهو اليوم الذي قتل فيه عبيد الله بن زياد : ان عتبة حنذك هؤلاء
الحمراء وان الحرب ان ضربتكم هربوا فاحمل العرب على متون
الخيال وأرجله الحمراء منهم (٣) .

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) العقد الفريد ج ٢ : ٦٣ .

(٣) الكامل : ٢ : ٦٢ .

وهذا ان دل على شيو فانما يدل على اختيار العرب للموالى
والاستهانة بشأتهم ففي الوقت الذي يضنون فيه بدمائهم الذئبية
تهون عندهم ذمء الموالى •

وحكى الجاحظ قال : قلت لمبيد الله الكلابى وكان فصيحاً فقيراً
أيسرك أن تكون مولى ذلك ألف جريب ؟ قال : لا أحب اللؤم بشيء
قلت فان امير المؤمنين ابن اُمة قال : اخذى الله من نطاعه (١) •

على ان زواج العربى من الاعجميات كان أهون بعض الشيء
من زواج العربيات بالاعاجم الا أنه لم يسلم من اللوم والمقتاب
فقد روى المصبرى : أن الحسين بن على رضي الله عنهما اعتسقا
جارية له ثم تزوجها فكتب اليه معاوية « من امير المؤمنين بهنوية الى
الحسين بن على رضي الله عنهما أما بعسد فانه بلغنى أنك تزوجت
جاريته وتركت اكفاءك من قريش ممن نستحسنه الولد وتوجد به في
الصور فلا لنفسك نظرت ولا لولدك انتفيت » •

فكتب اليه الحسين : أما بعد فقد بلغنى كتابك وتعبيرك اباى
بأنى تزوجت مولاتى وتركت اكفاءى من قريش فايس فوق رسول
الله صلى الله عليه وسلم منتهى في شرف ولا غاية في نسب وانما
كانت ملك يمينى خرجت من يدى بأمر التمسست فيه ثواب الله تعالى
ثم ارتجلتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد رفـع الله

بالاسلام الخسيبة ووضع عناء به النقيصة فلا لوم على امرئ
مسلم الا في أمر مؤلم وانما اللوم لوم الجمالية (١) *

ولما تزوج سيدنا اعلی زين العابدين من جاريته بعد عتقها
غيره بذلك مروان بن الحكم فرد عليه بقوله : « لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة » (٢) *

وليس معنى ذلك ان كل العرب في العصر الاموي كانوا يعاملون
الموالي هذه المعاملة القاسية فقد كان كثير من العرب يحترمونهم
ويجلونهم وبخاصة العلماء منهم امثال : الحسن البصري ومحمد بن
سيرين ، وسعيد بن جبير وعطاء بن يسار وهم جميعا من الموالى ..

فالمسلمون جميعا من عرب وعجم كانوا يجلونهم ، وبأخصون
عنهم وينتقلون من حلقة ائدهم الى حلقة الآخر حتى ان الحسن
البصري كان يعيب سياسة بنى أمية وينتقد تصرفاتهم ولا يصيبه
أحد بسوء ، ولما مات تبع الناس جنازته حتى لم يبق بالمسجد من
يصلى العصر .. ولقد قتل الحجاج آلاف العرب فلم يعبا احد بذلك
ولكن قتله لسعيد بن جبير - وهو من الموالى - أسخط عليه المساة
والخاصة .. نظرا لدينه وعليه *

ولقد كان من اثر هذه السياسة ان تقم الموالى على بنى أمية
واضربوا لهم العداوة والبغضاء وتمنوا زوال دولتهم واشتركوا في

(١) زمر الآداب ١ : ٥٧ *

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ١٥٩ *

كل ثورة عليهم وقابلوا عصبية العرب بمصيبة مماثلة - وبخاصة
الفرس - الذين كانوا يمدون حكم العرب لهم ضرب من سخرية القدر
وكانوا يفخرون على العرب بمجدهم القديم وعزهم التائد وظهور
ذلك على لسان بعض شعرائهم أمثال اسماعيل بن يسار الذي كان
يتغنى بمجد الفرس *

ويروي أنه دخل مرة على هشام بن عبد الملك في خلافته فأنشده
قصيدة يقول فيها :

انى وجدك ما عودى بنى شـور
عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
اصلى كريم وهجدي لا يقاس به
ولى لسان كحد السيف مسوم
لحيى به مجد اقوام ذوى حسب
من كل قوم بتاح الملك مـموم (١)
ججاجع بسلاة بلـجـ مرابـة
جـرد عـتاق مـسـايـح مـطـاعـيم (٢)
من مثل كسرى وسابور الجنودها
والهـرمـزان لـقـضـر او لتعظيم
أسد الكتائب يوم المروع ان زحفوا
وهم اذلوا ملوك الترك والروم

(١) مـموم : من عم رأسه اذا لفت عليه عمامة *
(٢) ججاجع : جمع ججاجع : وهو السيد السارح في الكارم *
والمرابطة : جمع مرزيان وهو رئيس الفرس *
والعتاق من الخيل : التجائب *

يمشون في حلق الماذى سايفة
 هشي الصراغمة الاسد الهاميم (١)
 هناك ان تسألني تذيبي بأن لنا
 جرثومة قهرت عز الجراثيم

فغضب هشام وقال : اعلى تفتخر وايى تشد قصيدة تمدح
 بها نفسك واعلاج قورك ؟ ففظوه في الماء فغطوه في البركة حتى
 كادت نفسه تخرج ثم امر باخراجه ونقده الى الحجاز (٢)

ويبدو أن أسرة يسار هذه كانت كلها على شاكلته تسيطر عليها
 نزعة شعوبية فلقد كان لاسماعيل بن يسار فتى يقال له ابراهيم
 وكان شاعرا شعوبيا كما يقول ابو الفرج الذي يقرر ان له قصيدة
 طويلة يفتخر فيها بالعجم (٣)

ولكن هذا الاتجاه صده الاديويون صدا عتيقا ولم يسمحوا
 لاحد من الموالي بأن يعبر عنه او يشيعه علانية بين الناس .. وكانوا
 يضربون بيد من حديد على ايدي الموالي الذين يقوون بأى تصرف
 من هذا النوع .

ومن اجل ذلك .. فقد كره الموالي الحكيم الاموي كرامة عريقة
 فسعوا في اسقاطه وقد كانت وجة نظرهم : ان الاديويين لم يمدلوا في

(١) الماذى : كل سلاح من الحديد والماذية : الدرع البيضاء والمهاميم :
 جمع لهيم وهو السائق الجواد من الخيل والناس .
 (٢) الأغانى ٤ : ٤٢٢ دار الكتب .
 (٣) الأغانى ٤ : ٤٢٧ .

حكيمهم لنا وترقبنا انتقال الامر من خليفة الى خليفة فكان امر الظلم على السواء اللهم الا اذا استثنينا عمر بن عبد العزيز - وهو فذ وليس في الامكان ان نحول الامر من العرب الى الفرس فيكونوا هم الحاكمين لان قى السلطة الكبرى لا تزال في يد العرب ولاننا اثرت هذه الدعوة تجمع العرب وغير الفرس من الموالي علينا فاندع اذا الى نقل الخلافة من يد الامويين الى يد الهاشميين فنجد القلوب مستعدة لقبول الدعوة * لان الهاشميين عرب ولانهم أقرب الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الامويين وهذا يسرع في قبول الدعوة ، ويصيفها صبغة دينية *

واخيرا فنحن اذا عضدنا الهاشميين راوا انهم وصلوا الى الحكم بمعونتنا ونجحوا بتدبيرنا فيكون ظاهر الحكم لهم وباطنه لنا نتولى المناصب العالية وتدير شؤون الدولة ونترك لهم ابهة الخلافة ومظهرها الخارجى فلهم الشكل ولنا الجوهر * لعل هذا كان اهم ما يدور في خلد المؤسسين من الفرس للدعوة العباسية (١)

ولقد فطن لذلك بعض العرب فحذروا الخلفاء مغبة هذه النزعة فهذا نصر بن سيار بلغت اليهم الانظار ويحذر اليمانية والنزارية مغبة الخلافة والعدو رابض من ورائهم يتربص بهم الدوائر فيقول:
أبلغ ربيعة من مرو واخوتهم
فليغضبوا قبل ان لا يقع الغضب

(١) ضحى الاسلام ١ : ٣٦ *

ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا
 حربا يحرق في حافاتهما الحطاب
 ما بالكم تلقحون المررب ببئكموا
 كان أهل الحجا عن راىكم عزب
 وتتركون عدوا قد اظنكموا
 مما تأشب لا دين ولا حسب
 قدما يدينون دينا ما سمعت به
 عن الرسول لم تنزل نه الكتب
 فمن يكن سائلا عن أصل دينهم
 فان دينهم ان تقتل العرب ؟

ولذلك فقد كان الموالى من الفرس هم الذين نصروا العباسيين
 وهم الذين اسقطوا الدولة الاموية بحد سيوفهم .. فكيف افاهم
 العباسيون على ذلك اعظم مكافأة واتخذوا منهم الولاة والفرادا
 واعترفوا بفضلهم عليهم في أقوالهم (١) .

فداود بن على يخطب في الكوفة فيقول : يا أهل الكوفة !! انا
 مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى اتاح الله لنا شيعتنا اهلاً
 خراسان فأحيا بهم حقنا ، وأفلج بهم حجتنا - واظهر بهم دولتنا ،
 واراكم الله ما كنتم به تنظرون ، واليه تنتشوقون فاطهر فيكم
 الخلفة من هاشم ، وبيض به وجوهكم ، وادالكم على أهل الشام (٢)

(١) المقد الفريد ٢ : ٢٦٥ .

(٢) الطبرى ٩ : ١٢٧ .

ويقول الجاحظ : دولة بنى العباس أعجمية خراسانية ودولة
بنى مروان اعجمية خراسانية (١)

وكانوا يسمون باب خراسان في بغداد باب الدولة لأقبال الدولة
العباسية من خراسان (٢)

وأوصي المنصور ابنه قبل وفاته فقال : وأوصيك بأهل
خراسان خيرا فانهم انصارك ، وشيعتك الذين بذأوا أموالهم في
دولتك ، ودماءهم دونك وهم لا تخرج محبتك من قلوبهم ان تحسن
اليهم ، وتتجاوز عن مسيئتهم وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخاف
من مات منهم في اهله وولده (٣)

وكان من نتيجة ذلك أن علاشأن الفرس في الدولة العباسية
وصارت لهم الكلمة العليا في تصريف شئون البلاد .. واستتبع ذلك
ان شعروا بفضالهم وأخذوا يعتزون بأصلهم .. ويفخرون بأجدادهم
ويطاولون على العرب ..

وفي ميدان اخر فقد سئحت لهم الفرصة للتنكيل بالامويين عن
طريق تحريض خلفاء بنى العباس عليهم فقد تمقبوا البقية الباقية
منهم بعد هزيمتهم في الحرب .. وأخذوا يرضون الخلفاء عليهم ..
والم يكن الخلفاء في حاجة الى تحريض فقد كانت قلوبهم تغلى جداً
وموجدة عليهم .

(١) البيان والتبيين ٢ : ٢٠٦ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ١٨٣ .

(٣) مروج الذهب ٢ : ١٩٠ .

دخل الشاعر سديف بن بيهون عنى السفاح فوجد عنده سليمان
بن هشام ابن عبد الملك فالتفت الى الخليفة وقال :

لا يغررك ما ترى من رجال
ان تحت الضلوع داء دوبا
فضع السيف وازفع السوط حتى
لا ترى فوق ظهرها امويا (١)

فالتفت اليه سليمان ٠٠ وقال : قتلتنى يا شيخ وغسلت تآثر
السفاح بقوله وأمر بقتله ٠

ومن تحريض سديف على الامويين قوله :

كيف بالذفر عنهم وقديم
قتلوكم وهتكوا الحرمات
أين زيد واين يحيى بن زيد
يا لهما من مصيبة وتراث
والامام الذى اصيب بحران
المام الهدى وارث الثقات
قتلوا احدا فلا غفر الذنب
سب مروان غافر السيئات

ومن حرض السفاح على الامويين أيضا شبل بن عبد الله
مولى بنى هاشم ٠ قال يغرى السفاح بهم وقد حضروا اليه ووضعت
لهم الكراسي والتمازق :

(١) الكامل للمبرد ٢ : ٢٥٤ وعيون الأخبار ١ : ٢٠٨ ٠

أصبح الملك ثابت الأساس
 بالبهبهليل من بني العباس
 طلبوا وتر هاشم فشفوها
 بعد ميل من الزمان ويأس
 لا تقيلن عيد شمس عثارا
 واقطعن كل رقلة وغراس
 ذلها اظهر التودد منها
 وبها منكم لجز المراس
 ولقد ساعنى وساء سراى
 قريهم من نمارق وكراسي
 أنزلوها بحيث أنزلها الله
 به بدار الهوان والامناس
 وذكروا مصرع الحسين وزيد
 وشهيد بجانب المهراس
 والقليل الذى بحران اضحى
 ثلويًا بين غربة وتناسي (١)

فأمر السفاح بهم فشدخوا والعمد ثم دعا ببراذع فإلقاهما عليهم
 وبسط عليها الانطاع ودعا بغذاته فأكل فوقفهم وان اثنين بعضهم
 لم يهدا حتى فرغ ثم قال : ما تهنأت بظعام منذ غفلت مقتل الحسين

الا يرمى هذا وقام فأمز بهم فجروا بأرجلهم وانغم اهل خراسان
اموالهم ثم صلبوا في بيستانه (١)

وهكذا قضى العباسيون على بني امية بتحريض من الفرس
•• فقتل من قتل وهرب من هرب فرار من بطش العباسيين ••

وبذلك قد شفيت صدور الموالين وعظم شأنهم وصاروا يمتزجون
بأجداهم ويفخرون على العرب بأصولهم •• وأخذ شعراؤهم يغنون
هذه النقرة •• ويتطاولون على العرب بل ويحتقرونها وهذه النقرة
عرفت في التاريخ باسم الشعوبية ••

الفصل الثاني

الصراع بين العرب والموالي في العصر العباسي

« الشموبية »

الشموبية قوم متمصبون على العرب لا يرون لهم فضلا على غيرهم من الامم ان لم يكونوا اقل منهم شأنًا ومنزلة (١)

وكانت غالبيتهم العظمى من الاعاجم وبخاصة الفرس الذين عز عليهم زوال ملكهم ، كما عز عليهم ما راوه من العرب أيام بنى أمية من أنفة وكبرياء فتحركت في نفوسهم هذه النزعة المدائنية التي ترمى الى تصغير شأن العرب والخط من قدرهم ..

والشموبية مأخوذة من الشعوب ، ومفردتها شعب وهو الجيل من الناس وقد سموا بذلك لقولهم : ان جميع الشعوب سواء لا فرق بين شعب وشعب ، وقيل لانتصارهم للشعوب الاعجمية التي من مغايرة القبائل العربية ، فقد ذهب قوم الى ان المراد بالشعب في قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجمعناكم شعوبا وقبائل » .. بطون المعجم .. والمراد بالقبائل بطون العرب .. وهذا بلا شك تفسير شموبي الغرض منه تقديم المعجم على العرب في الآية الكريمة .

ونذهب بعض الباحثين الى ان كلمة شعب لها معان ثلاثة : -

(١) النزاع والتخاصم للمغريزي ٨٢ .

المعنى الأول : يشمل العرب والعجم معا .
 والمعنى الثاني : يقصر كلمة شعب على العرب وحدهم .
 والمعنى الثالث : يطلق هذه الكلمة على غير العرب أى على العجم
 وهذا المعنى هو أكثر المعانى شيوعا . (١)
 أما من الوجه التاريخي فالشعوبية فرقة تتعصب على العرب
 وتحقـقـرهم .

والشعوبية وإن كانت لم تعرف بهذا الاسم إلا في مصر
 العباسية إلا أنها حركة ممتدة الجذور منذ بداية الفتح الإسلامي لدولتي
 الفرس والروم كما سبق أن أشرنا .

والجاحظ يصف الشعوبية بأنها نحلة حيث يقول : اعلم أنك لم
 تر قط قوماً من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ، ولا أشد
 استهلاكا لعرضة ، ولا أطول نصبا ولا أقل غنما من أهل هذه
 النحلة (٢)

وقد افرد الجاحظ في البيان والتبيين بابا كبيرا للشمسية عن
 الشعوبية وهو كتاب « العصا » وأصل هذا الكتاب ان الشعوبية
 كانوا ينكرون على العرب الخطابة وينكرون على خطابهم ما كانوا
 يصطنعونه - أثناء خطابهم - من هيئة وشكل وما كانوا يخذونه
 من أداة ، وكانوا يعميون على العرب اتخاذ العصا والمخصرة وهم

(١) الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي ص ١٩ زاعية قدورة .
 (٢) البيان والتبيين ٣ : ٣٠ .

يخطبون فكتب الجاحظ كتاب العصا ليثبت فيه ان العرب اخطب من العجم وان اتخاذا الخطيب العربي للعصا لا يغض من فنه الخطاسي ليست العصا محمودة في الكتاب والسنة والتوراة واحاديث القدماء .

ويذهب ابن قتيبة الى أن أكثر هؤلاء الشعوبية اعداء العرب هم الفوغاء من أبناء هذه الشعوب حيث يقول : ولم أر في هذه الشعوبية أرشح عداوة ولا اشد نصبا للعرب من السفلة والحشوة واوباش اثبط وابناء اكرة القرى ، ثم يعود فيذكر منهم قوما تحلوا بحليسة الادب فجالتسوا الاشراف ، وقوما اتسموا بميسم الكتاية فقربوا من انسلطان فدخلتهم الافقة لادابهم والفضفضة لاقسدارهم من لؤم دغارسهم ، وحدث عناصرهم فمنهم من الحق نفسه بأشراف العجم ، واعتزى الى ملوكهم واساورتهم ودخل في باب فسيح لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه ، ومنهم من اقام على خساسته ينافح عن لؤمه ويدعى لشرف للعجم كلها ليكون من ذوى الشرف ، ويظهر بغض العرب يتنفضها ، ويستفرغ هجورده في مشامها واظهار مثالبها ، وتحريف الكلم في مناقبها وبلسانها نطق وبهيمها :نف وبأدابها تسليح عليها فان هو عرف خيرا ستره ، وان ظهر حقره ، وان احتسمل التاويلات صرفه الى اقبحها . وان سبع سوءا نشره ، وان لم يجده تخرصه (١)

وهذا يدل على أن العداة للعرب لم يكن قاصرا على الفوغاء من العجم وانما كان بارزا على المستويين العام والخاص والدارس.

(١) كتاب العرب من رسائل البلغاء ص ٢٧٠ لابن قتيبة .

لتاريخ الصراع بين العرب والموالي في العصر العباسي يجد ان ذلك العصر كانت تسوده نزعات ثلاث :

١ - النزعة الاولى : تذهب الى ان العرب خير الامم ، واصحاب هذه النزعة اقبلوا احتجاجهم على الاسس الآتية :

١ - الاساس الاول : وهو الاساس السياسي ويؤداه أن العرب أمة عاشت حياتها مستتمعة بالحرية الكاملة فلم تخضعها أمة أخرى أو تفرض عليها سلطانها .

٢ - الاساس الثاني : وهو الاساس الاجتماعي حيث تبرز العرب مجموعة من القيم والمبادئ والصفات التي تميزوا بها كالمبالغة في اكرام الضيف والشهامة والنجدة ، وحفظ العهد ، وايواء الالجب دون مساءلته ، وتحمل تبعة ذلك هذا فضلا عن حفظهم للانساب واعتدادهم بالاحساب .

٣ - الاساس الثالث : وهو الاساس الديني : حيث ان الرسول عليه السلام كان منهم ، الاسلام كان فيهم وهم الذين حلوا دعوة الهداية بهديه الى سائر الشعوب ، وجاهدوا في سبيل ذلك ، وتحملوا اعظم المشاق في سبيله .

٤ - الاساس الرابع : وهو الاساس الفني حيث أنهم كانوا زمام اللغة فأسبلت لهم قيادها فكانت خطبهم وأقوال حكماهم وأمثالهم طرازا عاليا في البيان ، وقمة في الفصاحة والبدعة .

هذه الخصائص كانت حرية ان تملأ نفوس أبناء الشعوب الأخرى حسدا للمرب ٠٠ وقد قرر الجاحظ ذلك حينما قال : وقد شفى الصدور منهم طول جنوم الحسد على اكبادهم ، وترقد نار المشان في قلوبهم (١)

كما قر - ويروى أبو حيان التوحيدي عن شبيب بن شسبة انه قال : انا لوقوف في عرصة المريد - وهو موقف الاشراف ومجتمع الناس وقد حضر اعيان المصر - اذ طلع علينا ابن المقفع بما قينا احد - هنى له ، وارتاح الى مسائه ، وبنرنا بطلعته فقال : أى الامم اعقل ؟ فظننا انه يريد الفرس ، فقلنا : فارس اعقل الامم ، تقصد مقاربتة ، وتوخى مصانعتة فقال كلا ليس ذلك لها ولا فيها هم قوم علموا فتعلموا ، ومثل لهم فهتتلوا واقتدوا ليس لهم استبايط ولا ابتخراج ، فقلنا له : الروم فقال : ليس لك عندهما بل لهم آبدان وثيقة ، وهم اصحاب بناء وهندسة لا يعرفون سواهما ولا يصنون غيرها . قلنا للصين ٠٠ قل اصحاب اثاث وصنعة لا فكر ولا روية . قلنا فالترك قال : سباع الهراش ، قلنا فلهند ٠ قال : اصحاب وهم ومخرقة وشعبذة وحيلة .

قلنا فالزنج : قال بهائم هائلة ، فردنا الامر اليه فقال العرب فتلاحظنا وهبى بمضنا الى بعض غفاظه ذلك منا وابتقع لونه ثم قال : كأنكم تظنون في مقاربتكم ، فوالله لو ددت ان الامر ليس لكم

ولا فيكم ولكن لا أدعكم حتى أبين لكم ثم قلت ذلك ؟ لأخرج من عنده
المداراه وتوهم المصانعة ، ان العرب ليس لها أول تؤمه ، ولا كتاب
يدلها أهل بلد قفر ، ووحشة من الاتس ، احتاج كل واحد منهم في
وحدته الى فكره ونظره وعقله ، وعلموا ان معاشهم من نبات الارض
فوسوهوا كل شيء بنسبته ، وتسيوه الى جنسه ، وعرفوا مصلحة ذلك
في رطبه وبياضه واوقاته وازمنته ، وما يصلح منه في الشاة والبعير ..

ثم نظروا الى الزمان واختلافه ربيعياً وصيفياً ، وقيظياً
وشتوياً ثم علموا ان شربهم من السماء ، فوضعوا لذلك الاتواء ،
وعرفوا تغير الزمان فجعلوا له منازله من السنة ، واحتسبوا الى
الانتشار في الارض فجعلوا نجوم السماء ادلة على اطراف الارض
واقطارها فسلكوا بها البلاد ، وجعلوا بينهم شيئاً ينتهون به عن
المنكر ، ويرغبهم في الجميل ويتجنبون به عن الذنابة ويحضهم على
المكارم حتى ان الرجل منهم وهو في فج من الارض يصف المكارم فما
يبقى من نعمتها شيئاً ، ويبهرق في ذم المساوية فلا يقصر ، ليس
لهم كلام الا وهم يحاضون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجيز
ويذلل المال ، وايتناء المحقق كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله ،
ويستخرجه بغطته وفكرته ، فلا يتعلون ولا يتأدبون ، بل نصاب

(١) هنا يكشف عن نوايا ابن المقفع تجاه العرب وشعوبيته وحدهم
عليهم وحسنه لهم كما قال الجاحظ ولكنه ذكر نضائل العرب من باب
الانصاف .

مؤدبة ، وعقول عارفة فلذلك قلت لكم : انهم اعقل الامم لصحة
الفطرة ، والاعتدال البنية ، وصواب الفكر ، وذكاء الفهم (١)

هذه اهم الحجج التي بنى عليها الراي القائل بتفضيل العرب
على سائر الامم .

٢ - النزعة الثانية : تذهب الى ان العرب ليسوا افضل من
غيرهم من الامم ولا امة افضل من غيرهم . . . وهؤلاء هم اصحاب
التسوية وهم في ذلك يعتمدون على ما ورد في القرآن الكريم والسنة
الشريفة من تعاليم في هذا الشأن مثل قوله تعالى : « يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان
اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » .

وما ورد في الحديث الشريف « ليس لعربي على عجمي فضل
الا بالتقوى » .

وقوله عليه الصلاة والسلام « المسلمون اخوة تتكافأ دماؤهم »
ويسمى بدمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم »

وابن قتيبة بعد ان دافع عن العرب في كتابه « تفضيل العرب »
عاد الى نفسه وقرر المساواة حيث يقول : واعدل القول عندي ان
الناس كلهم لآب وأم خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب ، وجروا

في مجرى البول وطراً عليهم الأقدار فهذا نسبهم الأعلى الذي يردع به أهل العقول عن التعظيم والكبرياء ، والفخر بالاباء ثم الى الله مرجعهم ، فتنقطع الانتساب ، وتبطل الاحساب الا من كان حسبه التقوى . (١)

ولقد قرر هذ النزعة كذلك ابو حيان التوحيدي الذي أكد أن لكل امة فضائل ووزائل ولكل قوم محاسن ومساوىء ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها ، وعقدها كمال وتقدير ، وهذا يقضي بأن الخيرات والفضائل والشجاعة والشورى والنفاذ دفاضة على جميع الخلق مفضوضة بين كلهم : فللفرس السياسة والآداب والحدود والرشوم وللروم العلم والحكمة ، وللهند : الفكر الروية والخفة والسحر والانة وللترك الشجاعة واقدام ، والزنج الصبر والكند والقرح ، وللعرب النجدة والقرى والموفاء والبلاء والجود والذمام ، والخطابة والبيان .

ثم ان هذه الفضائل المذكورة في هذه الامم المشهورة ليست لكل واحد من فرادها ، بل هي الشائمة بينها ، ثم في جملتها من هو عار جميعها وموسوم بأضدادها يعني انه لا تخلو الفرس من جاهل بالسياسة خال من الادب داخل في الرعاع والهيج ، وكذلك العرب لا تخلو من جبان جاهل طباش بخيل عبي . وكذلك الهند والروم وغيرهم ، فعلى هذا اذا قوبل أهل الفضل والكمال من الروم بأهل الفضل والكمال من الفرس تلاقوا على صراط مستقيم ولم يكن

بينهم تفاوت الا في مقادير الفضل وحدود الكمال ، وكذلك اذا قوبل
 اهل النقص والرتيلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة اخرى
 تلاقوا على تهج واحد ولم يقع بينهم تفاوت الا في الاقدار والحدود
 فقد بان بهذا الكشف ان الامم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص
 باضطرار الفطرة ، واختيار الفكره ، ولم يكن بعد ذلك الا ما يتنازعه
 الفاس بينهم بالنسبة الترابية والعادة المشئية ، والهوى الغالب
 من النفس الغضبية ، والنزاع الهائج من القوة الشهوية (١) .

٣ - النزعة الثالثة : تميل الى الحط من شأن العرب وتفضيل
 غيرهم من الامم عليهم وحجتهم في ذلك :

١ - ان العرب ليست لها أية ميزة على أية امة من الامم .. واخروا
 ينقضون عليهم كل دعاويهم دعوة دعوة ويثبتون تقدمهم عليهم في
 كل جانب وتفوقهم عليهم في كل مجال .

فبن حيث طرز الحياة قالوا : ان حياة العرب حياة بدائة ، وان
 بيئتهم فقيرة حتى انهم كانوا يقتلون ابناءهم خشية الاملاق ، وان
 حديثهم عن كرمهم البالغ ليس سوى جبالغة روجها الشعراء فقد
 كانوا لا يكفون عن غزو بعضهم بعضا للسلب والنهب وكانوا يبسلون
 النساء فيما يبسلون ، بل كانوا في بعض نظمهم يبجحون المرأة
 لاكثر من رجل وكل ذلك يطمئن في انسابهم التي يفاخرون بها هذا
 في حين عاش الفرس والروم حياة استقرار وتحضر ، وكانت لهم

(١) الامتاع والمزائة ١ : ٧٤ .

مدنهم الكبيرة ونظمهم الاجتماعية الراقية ، وملوكهم وقياسرتهم
العظماء ..

أما فخر العرب بنعمة الاسلام فان الاسلام ليس دينهم وحدهم بل هو دين الناس جميعا على أنهم هم انفسهم كانوا اول من وقفوا في وجهه وحاربوه ، وارتد كثير منهم عنه ، لانه كان حربا على نزعته العصبية فهدم الثغره الجاهلية ، وجعل مقياس الشرف للتقوى والعمل الصالح واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب فان جميع الانبياء سوى اربعة هم - هود وصالح وشيب ومحمد كانوا من غير العرب .

وأما فخر العرب بروعة اشعارهم وبلاغة خطبهم ، وما حققوا في هذا المجال فانهم لم ينفردوا بهذه الجزايا دون سائر الشعوب فقد كان لدى اليونان والرومان الشعراء القطائل الذين نظموا اشعارهم - كالعرب - موزونة مقفاه .

وكان لدى اليونان والرومان والفرس خطباء مصاقيع ،لكوا ازمة تقول مع فضل عقل وسحر بيان .

وقد تولى الجاحظ تفنيد كل مزاعم الشعورية فيما تنقصوا فيه العرب وفيما ادعوه لانفسهم من المفاخر وبخاصة في ذلك الجانب من النتاج الوجداني والمغلق متملا في :شعر والخطبة فنن : -

« جملة القول انا لا تعرف الخطب الا للعرب والفرس .. وأما الهند فانما لهم معان «دوتة» ، وكتب مجلدة لا تضاف الى رجل معروف

ولا الى عالم موصوف ، وانما هي كتب متوارثة ، وآداب على وجه
الدهر سائرة مذكورة ٠٠

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق نفسه
بكى الانسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيلا
ومعانيه وخصائصه وهم يزعمون ان « جالينوس » كان انطق الناس
ولم ينكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة ٠٠

وفي الفرس خطباء الا ان كل كلام الفرس وكل معنى للمعجم فاتها
هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة وبعاونة وعن
طول التفكير ودراسة الكتب وحكاية الثاني علم الاول وزيادة الثالث
في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند اخرهم (١).

ثم يقول : وكل شيء للعرب فانما هو بديهية وارتجال وكأنه الهام
وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا اجالة فكرة ، ولا استمالة وانما
هو ان يصرف همه الى الكلام او الى رجز يوم الخطام او حين تمح
على راس بئر او يحدو ببعير او عند المقاربة والمنساقنة او عند
صراع او في حرب فما هو الا ان يصرف همه الى جملة المذهب والى
العمود الذى اليه يقصد فتأتيه المعانى ارسالا وتنتال عليه الالفاظ
انثيالاً ثم لا يقبده على نفسه ولا يدرسه احدا من ولده ٠٠ وكانوا
لميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلمون ، وكان الكلام الجيد عندهم

(١) البيان والتبيين ٣ : ٤٠٤ .

أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر ، وكل واحد في نفسه انطق ،
ومكانه من البيان ارفع ، وخطبواهم أوجز والكلام عليهم أسهل وهو
عليهم أبسر من أن أفتقروا الى تحفظ او يحتاجوا الى تدارس وليس
هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من كان قبله فلم يحفظوا
الا ما غلق بقلوبهم والتحم بصدورهم ، واتصل بمقولهم ، من غير
تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب ، وان شيئاً من الذي في أيدينا
جزء منه لبالقدار الذي لا بعليه الا من احاط بقطر السحاب ، وعسد
التراب ، وهو الله الذي يحيط بما كان والعالم بما سيكون .

ونحن أبغاك الله اذا ادعينا للعرب اصناف البلاغة من القصيد
والارجاز ، ومن المثنوي والأسجاع ومن المزدوج وما لا يزدوج فبعنسا
العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب
والسيك والنحت الذي لا يستطيع اشعر الناس اليوم ولا أرفعهم
في البيان ان يقول مثل ذلك الا في اليسير والنبة القليل .

وانحن لا نستطيع ان نعلم أن الرسائل التي في ايدي الناس
تلفرس أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة اذا كان مثل
ابن المقفع وسهل بن هارون وأبي عبيد الله وعبد الحميد ، وغيلان
وفلان وفلان لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا
مثل تلك السير .

واخرى انك متى اخذت بيد الشعبي فأدخلته بلاد الاعراب
الخلص ومعدن الفصاحة التامة ، ووقفته على شاعر مقلق ، أو
خطيب مصقع علم أن الذي قلت هو الحق ، وابصر الشاهد عينه

فهذا فرق ما بيننا وبينهم فتفهم عنى ما أنا قائل في هذا (١) •

ثم يختم دفاعه عن العرب ببيان حقيقة الشعوبية وما يضطرم في صدورهم « من الحسد للعرب فيقول :

« واعلم أنك لم تر قوما قط اشقى من هؤلاء الشعوبية ، ولا اعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكا لعرضه ، ولا أطول نصيبا ولا أقل غنما من أهل هذه النحلة » وقد شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقه نار الشنآن في قلوبهم ، وغليان تلك المراحل الغائرة ، وتسعر تلك النيران المضطربة ، ولو عرفوا اخلاق كل ملة ، وزى كل لغة وعللهم في اختلاف اشاراتهم والاتهم وشعائلهم وهيكاتهم وما علة كل شيء من ذلك ولم اختلافوه ؟ ولم تكلفوه ؟ لاراحوا أنفسهم ولحفت مؤونتهم مع من خالطهم (٢) •

وتجلت الشعوبية أكثر ما تجلت في المناظرات والمساجلات وما أكثر ما كانت تمقد في هذا العصر (٣) وكان يحدث ان يلتقى رجلان أحدهما عربى والآخر فارسى فيتناولان موضوعا من الموضوعات كالضيافة مثلا :

فيقول الاعرابى : نحن أقرى للضيف فيقول الفارسى وكيف ذلك؟ فيقول الاعرابى : لان أحدنا ربما لم يملك الا بعيرا فإذا حل به ضيف

(١) البيان والتبيين ٣ : ٤٠٥ •

(٢) المصدر السابق ٣ : ٤٠٦ •

(٣) انظر مروج الذهب للمسعودى ٣ : ٢٠٠ •

نحره له فيقول الاعجمي : نحن احسن مذهبا في القرى منكم نسعى
الضيف « مهبان » معناه : انه أكبر من في المنزل (٣) *

٢ - اشهر شعراء الشعوبية

وقد حمل لواء الشعوبية شعراء بتمصيين من الفرس فكانوا
لسانها النصب ، وسلاحها المساول ، وابواقها المفتوحة ، وكانوا
يجهرون احيانا بالعداء يناصبون به العرب .. وكان هؤلاء الشعراء
مظهرا صارخا من مظاهر الشعوبية ومن ابرز هؤلاء الشعراء (١)
بشار بن برد وهو الشاعر الضريب الفارسي الاصل (٤) من عجم
طخارستان (٥) *

كان أبوه من سبى المهلب بن ابي صفرة واستقر ولاؤه في بني
عقيل (٦) ابن كعب فنشأ بينهم وأخذ اللغة عنهم وعن أعيراب
البصرة فشب فصيح اللسان قوى البيان ، ونطق بالشعر وهو
صغير دون العشرين من عمره . وكان من مخضرمي الدولتين الاموية
والعباسية (٧) *

(١) الحاسن والمساوي للبيهقي ٢٠٢ *

(٢) وفيات الاعيان ١ : ٢٤٥ *

(٣) الأغاني ٣ : ١٣٨ *

(٤) البيان والتبيين ١ : ١٦ *

(٥) معجم التنصيص - العباسي ١ : ١٨٩ *

وجاء في الاغانى : ان بشارا كان « كثير التلون في ولائه شديد
التشعب والتعصب للمجم » (١)

فقد كان يفتخر أحيانا بولائه لقيس ثم يتبرأ من ولائه للمعرب
ويعود ويهتز بولائه لبيى عقيس بن كعب وفي كل موقف تلمس
الشعبوية والحنين الى أصله الفارسي في شعره ..

ويروى انه لما دخل على المهدي سأله : فيمن يعتد به فقال
له بشار : أما اللسان والذى فعربيان وأما الاصل فأعجمي كما قلت
في شعري يا أمير المؤمنين :

ونبتت قسوما بهم جنّة
يقسولون من ذا وكنت العلم
الا ايها السائل جامدا
ليعرفنى انا أنف السكوم
تمت في السكرام بنى عامر
شروعى وأصلى قريشي العجم (٢)

ب - دينه وعقيدته :

كان بشار رقيق الدين ، بززع العقيدة ... يدين بالرجعة
ويكفر جميع الامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لانها حادت عن
الجلادة فلما سئل عن على كرم الله وجهه تمثل بقول عمرو بن مكرم:

(١) الاغانى ٣ : ٢١ .

(٢) الاغانى ٣ : ٢١ .

وما شر الثلاثة أم عيسرو بصاحبك الذي لا تصبحينا (٢)

كان يصوب رأى ابليس في تفضيل النار على الطين ورفضه
المسجود لآدم وفي ذلك يقول :

ابليس خير من أبيكم آدم

فتنبهوا يا معشر الفجار

ابليس من نار و آدم طينة

والارض لا تسمو سمو النار

وقوله :

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

ولا شك ان هذا يدل على فساد عقيدته وخبث طويته وقد تكلم

ابو الفرج عن فسوقه وزندقته الشيء الكثير ، كما اشار الى من

جاداوه فيما ذهب اليه من تفضيل ابليس على آدم والنار على الطين

وتكفير ابي بكر وعمر وعثمان *

ففي قصيدة طويلة للشاعر صفوان الانصاري يرد فيها عليه

فيقول :

زعمت بأن النار أكبر عنصر

وفي هالارض تميا بالمجساة والزند

ويخلق في أرحامهم ما وأزومها
 أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
 وفي القمر من ليج البحار ما يقع
 من اللؤلؤ المكنون والعتير الورد
 كذلك سر الأرض في البحر كله
 وفي الغيضة الغناء والجبل أصلد

ثم يقول :

فيا ابن حليف الطين (١) واللؤم والعسى
 وأبعد خلق الله من طرق الرشيد
 اتوجهوا إيا بكر وتخلع بسببه
 علينا وتمسروا كل ذلك إلى برد
 كأنك غضبان على الدين كله
 وطالب دخل لا يبيت على حقد

هذا وقد دفعته زندقته إلى السخرية من الإسلام والتنكر لليوم
 الآخر وما فيه من بئس وحساب كما برته زندقته كذلك إلى أن يفرض
 شعره على القرآن ٠٠ فقد روى أنه سمع إحدى الجوارى تغنى شعره
 فأعجبه صوتها فقال : هذا والله أحسن من سورة الحشر (٢) .

(١) المصنوع بقوله : يا ابن حليف الطين : لأن أباه كان نجارا يفتح
 المثل والجراد .
 (٢) الأغاني ٣ : ٢١١ .

ج - صفاته وأخلاقه :

كان بشار مجدود الوجد قبيح المنظر مكفـوف البصر كما كان
دميما مشوها ضخيم الجسم وكان الى جانب ذلك قظا غليظ القلب
جائي الطبع سييء الخلق كما كان فاجرا ماجنا مستهترا على الرغم
من شاعريته الفذة وبهيبته النادرة ولسانه الطلق .

وقضلا عن ذلك فقد كان اباحى النزعة أخذ لنفسه مجنسا
خاصا يدعى « البردان » يحضره النساء اللاتى يحادثنه ويحادثهن
فيهشق من بينهن صاحبة الصوت الرخيم فاذا ما انصرفت ارسل
غلامه في اثرها فاذا ابنت قدفها بفاحش القول وزور الكلام (١) .

وكان مالك بن دينار اذا سمع اشعار بشار يقول :
« ما شيء ادعى للفسق لاهل هذه المدينة من اشعار هذا الاعب
ويقول ابو عبيدة : آى حرة حسان تسمع قول بشار ولا يؤثر في قلبها
فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التى لا هم لها الا الرجال » (٢) .

وقد بلغ به الفجر انه كان يقرى انفتيان بالفتيات ويحرضهم
على ملاحقة النساء في قوله :

قاسي الهموم تنل بها نجدا
والليل ان وراءه صبحا

(١) الأغانى ٣ : ٢٠٢ .

(٢) حديث الأربعاء ٢ : ٢٠٥ .

لا يبيئتك من مخيئة
 قول تفلظيه وإن جرحا
 عسر النساء إلى ميمنة
 والصعب يمكن بعدنا جحا

ويقال : إن المهدي هدد بالقتل عندما سمع هذا الشعر إن هو
 عاد لخالها (١) .

ويقول :

لا خير في العيش إن كنا كذا أبدا
 لا نلتقى وسبيل الملتقى نهج
 قالوا حسرام فقلت لهم
 ما في التلقى ولا في قبلة حرج
 من راقب الناس لم يظفر بحاجته
 وفاز بالطيبات الفاتك النهج

ولا شك أن هذا اتجاه إباحي لا ينشأ إلا من نفس خبيثة شريرة
 لا تقدر الدين ولا تؤمن بتماليه وهو يدل على ظهور الزندقة التي
 انتشرت بين الفرس في هذا العصر . . . وهل الزندقة إلا مظهر من
 مظاهر الشعرية ؟ ؟

(١) زهر الآداب ١ : ٤٦٨ .

د - مذهبه السياسي :

كان بشار شعوبيا مذهبيا بل كان رأس الشموية في عصره
فكان يحتقر العرب ويتبرأ من ولاته فيهم حيث يقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم
مولى العربي فخذ بفضلك فافخر
مولك أكرم من تميم كلها
أهل الفعال وإن قريش المشعر
فارجسح الى مولك غير مدافع
سيحان مولك الاجل الأكبر (١)

وهو لم يكتف بذلك بل كان يحرض قومه على نبذ الولاء والرجوع
الى اصولهم حتى ضج العرب لهذا ..

يقول أبو الفرج : ان رجلا من بنى زيد وقف على بشار فقال له :

لقد أفسدت علينا موالينا تدعوهم الى الانتفاء منا وترغيبهم في
الرجوع الى اصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زكي الفرع ، ولا معروف
الاصل .. فقال بشار : والله لاصلى أكرم من الذهب ، وفرعى أركى
من عمل الأبرار وما في الأرض كلب يود أن تسبك له يشبهه ولو شئت
أن اجعل جوابك شعرا لفعلت . ولكن مرعدك غد! المزيد فرجع الرجل
الى منزله وهو يتوهم أن بشارا يحضر معه المزيد ، ليفأخره فخرج

(١) ضحى الاسلام ١ : ٣٩ .

من الغد يريد المرید فاذا رجل يئشده قصيدة كلها فحش وشتسم
وسأل عن قال : هذا فقيل له هنا بشار فيك رجسع الى منزله ولم
يدخل المرید أبدا (١) .

ولا شك ان لبشار شعر كثير يفيض بغضا للعرب ، وكراهية
لهم ولكن غير المسلمين على الاسلام والعروبة لم تحفظ هذا الشعر

ولم يسلم من الشعر الشعوبى الا ذلك القدر الذى استقر في
الصدور فلم يكن للعرب سبيل الى ابادته أو نزعته من الصدور .
ومع ذلك فقد بقى لبشار شعر شعوبى كثير ومن ذلك ما رواه صاحب
الانغانى من أن اعرابيا دخل على مجزاة من شور السدوسي وبشار
عنده وعليه بزة الشعراء فقال الاعرابى : من انزل ؟ فقالتوا :
امولى هو ام عربى ؟ فقالوا : بل مولى . فقال الاعرابى : ما للمولى
والشعر ؟ فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال : أناذن لى يا أبنا
شور ؟ قال : قل ما شكنت يا أبنا معاذ فأتشد بشار :

خليلى لا أنام على اقتنار

ولا أبى عساي مولى وجار

سأخبر فأخر الاعراب منى

وعده حين تأذن بالفخار

انا ابن الاكسرهمين أبنا وأما

تنسارعتنى المرازب من طخار

إذا انقلب الزمان علا اعبد
 وسفل بالطريق الكبار
 ملناكم فطيننا عليكم
 ولم نتمسبكم عرضا لزار
 أحين كسيت بعد العرى خزا
 ونادمت الكرام على العفار
 تفاخر بين راعيصة وراع
 بنى الاحرار حسيك من خسار
 وكنت اذا ظمئت الى قراح
 شركت الكلب في ولغ الاطوار
 تريد بخطية كسر الهوالى
 وينسبك ايكارم صسيد فر
 وتغدو للقتسافة تدر بها
 ولم تمقل بدراج الديار
 وتنشج الشمال للابسيها
 وترعى الضان بالبلد القفار
 مقامك بيننا دنس عايننا
 فليتك غائب في حسر نار
 وفخرك بين خنزير وكلب
 على سئلى من الحدث الكبار

فقال مجزاة للاعرابي : قبحك الله فاذت كسيت هذا الشر
 نفسك ولامشاك ٠٠ (١) ٠

فهذه زفتة مصدور كأيها حفر وكراهية العرب ٠٠ وريح أن الشعر
 جاء ارتجالاً فقد دل على عاطفة جياشة بكره العرب جميعاً واتخذ
 من ذلك الاعرابي هدفاً يصب فيه جام غضبه على كل العرب ٠٠
 وعلى هذا النحو قوله يفخر بأبائه واجداده الفرس ويذم
 العرب :

هل من رسول مخبر	على جميع العرب
من كان حياً منهم	ومن ثوى في التهرب
بأننى ذو حسب	عالم على ذى الحجب
جدى الذى أسبو به	كسرى وسهمان أبى
رقيصير نعالى اذا	لعددت يوماً نسبى
كم لى وكم نى من أب	بتجاه معتصب
أشوس فى مجالسه	يجثى له بالركب
يفدو الى مجالسه	فى الجهر اللذهب
مستقبل فى فنك	وقساتم فى الحجب
يسعى البهاتيق له	بساتيات الذهب
لم يسق اقطاب سقا	يشربها فى العلب
ولا حدا قط أبى	خلف بهير أجرب
انا ملوك لم نزل	فى سالفات الحقب (١)

وهكذا يفخر بشار بانتسابه الى ملوك الفرس من جهة ابيه
 واثى قيصر الروم من جهة أمه وفي ثنايا ذلك يبرج على هجو العرب
 وتحقيرهم من خلال تلك الموازنة التي عقدها بين سيرة آياكه من
 ملوك الفرس وبين جانب من جوانب الحياة البدوية عند العرب حيث
 يعرض بالعرب الذين يشربون الماء في الملب حتى لا تتكسر وحدائهم
 للابل الجربة ..

وكان بشار كثيرا ما يدل على العباسيين بالدور الذي قام به
 الفرس من اجل نصرتهم وفي مساندهم للدولة الجديدة فيقول :

دون الخليفة بنا كل مأسدة
 ومن خراسان جند بعدد أجناد
 قوم يذبون عن مولى كرامتهم
 ويحسدون جوار الوارد الصادي
 لله درهم جندا اذا حسوا
 وشبت العرب نارا بعد الغماد
 انا سراق بنى الاحرار وقمرنا
 ركض الجياد وهز المنصل البادي
 في كل يوم لنا عيد وملحصة
 حتى سياتنا بأسياف والغماد
 سقنا الخلافة تحدها اسبتنا
 والقاسطون على جهد واسهاد
 حتى ضربنا على المهدي قبته
 فسباطه ملك بأطناب وأوتاد (١)

هذا هو بشار الزنديق المارق الشيعوي الماجن الذي استطاع
بقومه الفرس على العرب وتطاول بهجائه على الخلفاء والوزراء .
لقد كانت سيرته المعفنة ولسانه السليط سبباً في قتلته والقضاء
عليه فلقد أطلق لسانه في هجاء الورير يعقوب بن داود وأخيه صالح
بن في هجاء الخليفة نفسه .

يقول في هجاء صالح بن داود مخاطباً أخاه الوزير :

هبوا حملوا فوق المنابر صسالحا

اخاك فضجت من اخيك المنابر

وغضب الوزير اذلك كما غضب بن قوله فيه (٤) :

بنى امية هبوا طال نومكم

ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا

خليفة الله من التاي والعود

ولقد حانت الفرصة ليعقوب ان ينتقم من خصمه حينما هجا

الخليفة الذي حرمه جوائزه ، بقوله :

خليفة يزور بمعاته

يلعب بالديوق والاصولجان

أبدلنا الله به غميره

ودس موسي في حر الخيزران (١)

(١) الديوان ص ٤٧ .

وحدث أن بلغت هذه الأبيات مسامع الوزير الموتور على لسان
يونس النحوي فطار بها إلى المهدي وقال يا أمير المؤمنين ان هذا
الاعمى الملاح قد هجك . فقال : بأى شيء ؟

قال : ما لا يتطرق به لساني ، ولا يتوهمه فكري . فما زال به
الخليفة حتى أخبره بها كناية لا لفظا فكاد قاب الخليفة ينشق غيظا
وسرعان ما انحدر إليه فوجده تملا بظهور بالآذان في الضحى فقال له
يا زنديق : اقله بالآذان وانت سكران ؟ ثم وكل به ابن نهييك
صاحب الزنادقة فجلده حتى قتل غير مأسوف عليه ويقال : ثم يبق
بالبصرة شريف الاعمى لصاحب الزنادقة بالفرس والكبسوة
والهدايا .

٢ - أبو نواس

كان أبو نواس من أبرز شعراء الشعوبية . . . واختلف المؤرخون
في نسبة ويريى أن أبا نواس سئل عن نسبه فقال : أغناني ادبي عن
نسبي (١) ويقال انه فارس من جهة امه أما أبوه فيدعى هانيء ولا
يعرف له أصل واغلب الظن أنه فارسي ويقال انه كان جنديا أو حاكما
أو راعيا وكان هانيء هذا مولى الجراح بن الحكيم بن مسعد العنبرية
ابن مالك بن اد من بنى كهلان بن سبأ من اليمينية (٢) .

(١) وفيات الأعيان ١ : ٣٧٤ ابن خلكان .
(٢) جهمر أنساب العرب لابن حزم ص ٣٨٢ .

وقد تأثر أبو تواس بمائلين دقما به الى تعصبه للفرس
وهجائه للعرب .

اولهما : أن نسبة كان فارسيا بن جهة أمه على أقل تقدير .

وثانيهما : ضعة نسبه من جهة الاب فقد كون ذلك في نفسه
مركب النقص فتذبذب في ولائه للعرب فكان يتنسب بالولاء تارة الى
اليمين عرب الجنوب وتارة يدعى أن ولاءه لعرب الشمال من التزارية
وهم اعداء عرب الجنوب و اراد أن يتنسب الى الفردق الشاعر أو
لعبيد الله بن زياد ولكنه لم يوفق الى شيء من ذلك يظل طوال حياته
مردود النسب والولاء فكان ميله الى الفرس ومدح اياهم ، وعشرته
لهم نتيجة لهذا النقص الذي فيه فانهم لا يتفاضرون ولا يتباهون
بأنسابهم كما يفعل العرب الذين كان يستهجن « يشتمهم في البادية
ويؤثر عليها الترف والحضارة الفارسية » .

وأشهره التي يسخر فيها من العرب ومن تقاليدهم وعاداتهم
في المأكل والمشرب وسبل المعيشة . . ويكاتهم أثار الديار والاطلال
كثيرة . .

فهن قصائده التي يسخر فيها من العرب ومن آدابهم قوله :

عاج الشقى على رسم يسائله
وعجت أسسـال عن خبارة البلد
بيكى على ظل الماضين من أسد
لا در درك قل لى من بنمو أسد

ومن تميم ومن قيس ولهم
 ليس الاعراب عند الله من أحد
 لا جف دمع الذي يبكي على حجر
 ولا صفا قلب من يصفو الى وتد
 كم بين ناعت خمر في دساكرها
 وبين ياك على نوى ومنتضد
 دع ذا عمدتك واشربها معتقسه
 صفراء تفرق بين الروح والجسد (١)

ومن تهكبه اللادع بمن يقفون على الديار من العرب قوله :
 قل لمن يبكي على رسم درس
 واقفيا ما ضر لو كان جلس
 تصف الربع ومن كان به
 مثل سلمى ولبنى وخنس
 اترك الربع وسلمى جانبيا
 واصطحب كرخية مثل القيس (٢)

وهو يفضل معاشره القرس في ابيات يقول فيها :
 ولقارس الاحرار انفس انفس
 وفخارهم في عشرة دمدموم

(١) الديوان ص ٤٦ .
 (٢) الديوان ص ١١٠ .

وانا أنادم عصابة عربية
 بدرت الى ذكر الفخار تميم
 وعدت الى قيس وعدت قولها
 سبيت تميم وجعهم مهزوم
 وينسو الاعاجم لا احاذ منهم
 شرا فينطق شربهم مذوم
 لا يبخون على النديم اذا انتشرا
 ولهم اذا العرب اعتدت تسليم
 وجميعهم لي حين أقعد بينهم
 يتنزل وتهيب موسوم (١)

ومن قوله في وصف للفرس وفنونهم :
 تدور علينا الكأس في عسجدية
 حبيتها بأنواع التصاوير فارس
 قرارتها كسرى وفي جنباتها
 مها تديرها بالقس الفوارس
 فللخر ما زرت عليه جيوبها
 وللماء ما دارت عليه القانيس (٢)

ويفضل تراث كسرى على تراث العرب فيقول :

(١) ديوان أبي نواس ص ٣٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٥ .

بمسارحها الغربي من نهر صرصر
 فقطربل - فالصالحية فلاغفر
 تراث انو شروان كسرى ولم تكن
 مواريث ما ابقت تميم ولا تكرر
 قفرت بها ليلي وليلى ابن حرة
 له حسب زاك وليس له وفر (١)

ومن فخره بقومه واعزازة بالكسرية :
 بنينا على كسرى سماء بدامة
 مكلة حافاتوسا بنجوم
 فلو رد في كسرى بن ساسان روجه
 اذا لاصطفاتي دون كل نديم

أما بغضه للعرب وتعصبه عليهم فقد بلغ المدى فما يكاد
 يبتدىء في خمرياته حتى ينسل منها للعرب فيكنارثهم بالسبواته
 السليط وعصبية البغضة استمع اليه يقول :

دع الاطلاق تسقيها الجنبوب
 وتبكي عهد جدتها الخطوب
 وخلق اراكب التوجناء ارضا
 تحت بها التجييسة والتجيب

ولا تأخذ مع الاعتزاز ابها
 ولا عينا فميشهم جنديا
 ذر الابن ان يشربها انا
 رقيق العيش عندهم غريبه
 بأرض نيتهمسا عشر وطلع
 واكثر صيدها ضيغ وذيغ
 اذا راب الحليب قبل عليه
 ولا تخرج فما في ذاك حبوب
 واطيب منه صافية شون
 يطوف بكأسها ساق اريب
 كأن مراتها في الدن تصمى
 مراة القس قابله الصليب
 يمد بها اليك يدا غلام
 ان كانه رشنا ريب
 فها العيش لا خيم البوادي
 وهذا العيش لا اللبن الحليب
 فأين البدو من ايوان كسرى
 واين من الميسادين الزروب
 اعزلة اقصرى عن بعض لومى
 فراجى توبتى عندى يخيب (١)

ومن قصائده في الشهريية أيضا قوله :
 يا ساحر الطرف أنت الدهر وسنان
 سر القلوب لدى عينيك اعلان
 مالي ومالك قد جزأتني شيئا
 وآنت مها كسانى الدهر عريان
 اراك تعمل فى قتلى بلا ثرة
 كأن قتلى عند الله قـربان
 غاد المدام وان كانت محسرة
 فللكائر عند الله غفران
 صهباء تبلى حبابا كلما مزجت
 كأنه لؤلؤ بتلوه عقيان
 كانت على عهد نوح فى سفينته
 ومن حر شحنتها والارض طوفان
 فلم تزل تعجم الدنيا وتعجمها
 حتى تخيرها بلجباء رهقان
 فسانها فى منار الارض فاختلفت
 على الدفينية ازمان وازمان
 ببدة لم تصل كلب بها طنبا
 الى ظباء ولا عيس وذبيان
 ليست لذهل ولا شيباتها وطننا
 لكنهما ابنى الاحرار اوطان

أرض يهني بها كسرى دساكره
 فما بها من بنى الرعاء انسان
 وما بها من هشيم العرب عرقمة
 ولا بها من غذاء العرب حطبان
 لكن بها جنسار قد تفرعه
 آس وكلله ورد وسوسان (١)

ويقول :

دع الرسم الذي دثرا
 يمانى الريح والمطرا
 وكن رجلا أضاع العمد
 م في اللذات والخطرا
 ألم تر ما بنى كسرى
 وسبايور لمن غجرا
 منازه بين دجلة وائ
 فرات تقيأت شجرا
 بأرض باعد الرحم
 - عن عنها نطلع والعشا
 ولم يجعل مصايدها
 برايعها ولا وصرا
 ولكن سور غزلان
 تراعى بالمالا بقرا (٢)

(١) الديوان ص ١٢٦

(٢) الديوان ص ٥٥٧

وكما كان بشار يحرض الموالي على عدم الولاء للعرب والتوصل
من الانتساب اليهم كان ابي نواس يفعل الشيء نفسه ويهجو الموالي
الذين يعتدون بولائهم ويخلصون للعرب ..

يقول في هجاء المهيثم بن عدى :

مررت بهيثم بن عدى يوما
وقدما كنت أمنحه الصفاء
وقد آليت ان أهجو دعيا
ولو بلغت نروءته لاسماء (١)

ويقول في هجائه للرقاشي :

قلت يوما للرقاشي وقد سبب الموالي
ما الذي تحاك عن اصراك من عم وخال
قال قد كنت مولى زمننا ثم بدا لي
انا بالبصرة مولى عسري بالجيبلي
انا حقا ادعيهم لسؤالي وهزالي (٢)

هذا هو ابو نواس الشعبي المنتسب المتطرف في اباحيته
ونزعه القومية وعصبية للفرس فهو لم يكتف بسب الموالي ،
والسخرية بهم بل نراه يسب الموالي الذين يدعون النسبة الى
العرب .

(١) ديوانه ٥٧١ .

(٢) نفس المصدر ص ٥١٣ .

••

أما تورثه على القديم ودعوته الى التجديد في مطالع القصص
فما هي الا ضرب من الشعوبية الهدامة لتراث العرب الادبي ••

ولذا يقول الدكتور طه حسين عن مذهب أبي نواس في تركه
القديم « انه لم يكن مذهباً شعوبياً فحسب بل كان ايضاً مذهباً
سياسياً يذم القديم لا لانه قديم بل لانه قديم عربى ويمتدح الحديث
لا لانه حديث بل لانه حديث فارسى فهو اذا تفضيل للفارس على
العرب في مذهب الشعوبية » (١)

٣ - الشسريه

•• هو ابو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهى الشاعر المعروف
بالخريبي « فارسى الاصل فقد ولد في بلاد الصسفد ثم رحل الى
بغدا (٢) •

وكان ولاؤه في جنى خريم •

اتصل في اول نشأته بططيع بن ايانس ويحيى بن زياد كحسا كان
على صلة بحماد الراوية وهبادة عجرد واتصل اخيراً بسادات عصره
ككافضل وجعفر البرمكيين (٣)

(١) حديث الأرياء، ٢ : ١٢٠ •

(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٦ الخطيب البغدادي •

(٣) الوزرا، والكتاب ٢٣٩ الجهشياري •

تزعته الشعوبية :

كان الخريمى كثير الفخر والاعتزاز بقومه من الفرس وقد كان
 صريحا في رفع راية الشعوبية استمع اليه يعتز بنسبه الفارسي :

انى امرؤ من سراة الصفد البستي
 عرق الاعاجم جلدًا طيب الخبر

يقول ياقوت : ومن أجل هذا نسب الى الشعوبية (١) .

ويقول مفتخرا بقومه ومعرضا بالمرب :

وناديت دن «مرو» و «بلخ» فوارسا

لهم حسب في الاكرمين حسب

فيا حسرتنا : لا دار قومي قريسة

فيكسر منهم نصري ويطيب

وان ابي ساسان كبرى بن هرمز

وخاقان لى لو تعلمين نسبي

ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم

لنا تابع طوع القيد جنيب

نسوا حكموا خسفا ونقضي عليكم

بما شاء منا مخطيء ومعيب

فلما أتى الإسلام وانتشرت له

صدر دور به نحو الانام تنيب

(١) معجم البلدان ٥ : ٣٦٣ .

تبعنا رسول الله حتى كأننا

سماء علينا بالرجال تصوب (١)

وتتبد به العصبية ، وتسيطر عليه الشعوبية فيتناول على
العرب ويتناول قبائلهم بالتعريض قبيلة قبيلة فيقول : -

أبا الصغد بأس إذ تعيرني جهل

سفاها ومن أخلاق جارتني الجهل

فإن تفخرى يا جمل أو تتجملى

فلا فخر إلا فوقه الدين والعقل

أرى الناس شرعا في الحياة ولا يرى

لقبر على قبر علاء ولا فضل

وما ضربني إن لم تلدني يحابر

والم تشتتل حرم على ولا عكل

إذا أنت لم تحم القديم بحادث

من المجد لم ينفعك ما كان من قبل (٢)

٤ - أبو اسحاق المتوكل

هو إبراهيم بن ميثاذ أحد كتاب أصفهان وشعرائها ولد بقرية

« أسيجان » إحدى قرى « رستاق جي » (٣)

(١) الشعر والشعراء ٢ : ٨٣٦ .

(*) جمل : كناية عن العرب .

(*) يحابر وجرم وعقل قبائل عربية .

(٢) الشعر والشعراء ٢ : ١٦ .

(٣) معجم الأدباء ٢ : ١٦ .

رحل إلى العراق واستقر في بغداد اتصل بالخليفة المتوكل وظل
يستميله بأدبه ويتقرب إليه بظرفه حتى صار من ندائه المقربين
ولذا أطلق عليه « المتوكلى » .

وقد تجلت عبقريته في رسالته البليغة التي قرظ فيها الخليفة
المتوكل ووزير الفتح بن خاقان تلك الرسالة التي كانت كما يقول
« موضع اعجاب الكتاب في العراق يتناولها فيما بينهم جيلا بعد
جيل (١) »

وبعد موت المتوكل ساءت علاقته بالعباسيين ولم يجد في بلاطهم
من يقربه أو يحنو عليه فخلع ثوب الوفاء لهم وانبرى يهجوهم
ويطلق أساتره فيهم وينطاول عليهم بأبانه من الفرس .

وقد تجلى ذلك في قصيدة له مشهورة تدل على نزعة الفارسية
وكراهيته الشديدة للعرب - حيث يقول فيها :

أنا ابن الأكارم من نسل جم (٢)
وجسائر أرت ملوك العجم
ومحبي السخى باد من عسزهم
وعفى عليه طوال القدم

(١) المرجع السابق ٢ : ١٧ .

(٢) يزيد بن جندب : جندب ملك الفرس .

وطالب أوتارهم جهرة
 فمن بهم عن جفهم لم انم
 يهيم الاتام بالذاتهم
 ونقي تهم بسوق انهم
 الى كل امر رفيع العماد
 طويل النجاد منيف العظم
 واتي لامل من ذي العملا
 بلوغ مرادى بخير التسم
 معى علم « الكايبان » الذى
 به ارتجى ان أسود الامم (٢)
 فقل لبني هاشم أجمعين
 هلبوا الى الخلسع قبل الندم
 مكنياكم عشوة بالبرما
 ح طعنا وضربا بسيف جنم (٣)
 وأولاكم المسك آباؤنا
 فما ان وفيتم بشكر النعم
 فعودوا ان ارضكم بالحجاز
 لاكل الضباب ورعى الفتم
 فاني ساعثر بهرير الملوك
 بحد الحسام وحرف الكلم (٤)

- (١) معجم الأدياء، ١٢ : ١٩١ .
 (٢) الكايبان : نسبة الى كابة (جاره) حداد فارس نفع علم المتوبة :
 (٣) السيف الحتم : القاطع -
 (٤) معجم الأدياء : ١ : ٣٢٣ .

٥ - إعلان الشموبي

يرجع نسبة إلى الفرس وكان راوية عارفا بالأنساب والمثالب والمنافرات وكان منقطعا إلى البرامكة (١)

وكنت حرفته الوراقفة ويالنسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة وينسب إليه كتاب « المثالب » الذي هتك فيه العرب ويروى أنه اهداه إلى طاهر بن الحسين قائد المأجون فأنعم عليه بثلاثين ألف درهم تنشيطا وتشجيعا له .

ويذكر ابن النديم أنه له من الكتب كتاب المثالب ويحتوى على مثالب قريش ومثالب بنى مخزوم ومثالب أسامة بن لؤى ومثالب عبد الدار بن قصي ومثالب ولد زهرة بن كلاب وغيرهم ابتداءً فيه بقبائل بنى هاشم قبيلة قبيلة ثم قبائل العرب إلى آخر قبائل اليمن .

وكان إعلان حجة في مسائل الخصومة الخاصة بأنساب القبائل العربية .

وقد ضاعت معظم كتبه في المثالب ولم يبق منها إلا النذر اليسير نجده مبعوثا هنا وهناك في بعض المصادر التاريخية الأدبية .

(١) مجمع الأدباء ١٢ : ١٩١ .

ويروي ان عبد الله بن طاهر بن الحسين أنشأ قصيده يمتاز فيها
بقويته الفرس لانهم كانوا من اشياخ الجاهون الذي انتصر بسيفهم
على اخيه الامين ويقول فيها :

أقصرى عما لهجت به
ففرأني عتلك مشغول
أنا من تعرفي نسبي
سلفي الفر اليها نيل
مصعب جدى نقيب بنى
هاتم والامر مجهول
سل بهم تنبئك نجدتهم
مشرقيات مصاقيل
أبي من لا كفاء له
من يساوى مجده ؟ قولوا
سل بهم والخييل ساهمة
حوله جرد ابابيل
انظر انظر ككله
وحواليه المقباويل
فتوى والشراب مضجعه
غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو نائلة
ضاق عنه العرض الطول

من خراسان ماضي مهينهم

كيبوت ضحيتها غيل (١)

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة الأديب بقصيدة يرد فيها عليه
وقد روى أنه قال : لما بلغتني هذه القصيدة امتعضت انمرب وانفت
أن يفخر عليها رجل من المعجم لانه قتل ملكا من ملوكهم بنسيف اخيه
لا بسيفه فيفخر عليها بهذا القدر ، ويضح منها هذا الوضع فرددت
عليه قصيدته بقولي :

لا يرعك القتال والقييل

كل ما بلغت تضليل

يا بن بيت النار موقدها

مالصانية سراويل وسهل

أي هجد لك ترفعه

أو نسيب لك يهاسول

من حسنين ؟ من أبوك ومن

مصعب غالتكموا غول

نسب في الفخر مؤتنب

وأيسوات ارازيل (١)

ولما بلغت هذه القصيدة مسامع عذراء الشعوبى نار لقنومه من
الفرس ورد على محمد بن يزيد الأديب بالقصيدة الآتية يمدح فيها

(١) الفرج بعد السنة ٢ : ٦٨ للتوشى .

(٢) الأغانى ١١ : ١٢ وما بعدها .

عبد الله بن طاهر ويفضل فيها العجم على العرب. وهذا ضرب من
الناقض التي شاعت في ذلك العصر بين الفرس والعرب يقول
علان :

أيها اللاطي بحفرته
في قرار الارض مجبول
قد تجاللت على دخل
واستخفتك التهويل
وايو العباس غادية
لعزالية الهمائل
تطر المقيان راحتهم
وله بالجود تهويل
رسمتى في نرى شرف
زانه تلج واكاييل
وعليسه من جلالته
كرم عند وتجيل
ان لى فخرا مباهته
في قرار النجم ماهويل

٢ ابو عبيدة معمر بن المثنى-

كان ابو عبيدة من اشهر الافويين الذين عرفوا بنزعتهم
الشعبية وقد كان أبوه من يهود فارس (١) وبعد اسلامه انتسب
بالولاء لبني تميم ..

واشتهر ابو عبيده بسلاطة اللسان وكثرة الهجاء فلم يسلم
من طعنه احد (١)

وكان الاصمعي عدوه اللدود لما بين الشخصين من اختلاف
في الاصل والصفات وسعه العلم ..

فالاصمعي كان يتعصب للعرب بحكم اصله العربي كما كان نارا
دين متين وخلق قوييم فلا يروى الا اصح اللغات ولا يجيب في انقرآن
ولا في الحديث خشية الخطأ (٢)

وكان لا يفسر شعرا فيه هجاء وكأنه كان يرى ان ذلك يمس
دينه لانه يرى ان في الهجاء خطأ من المهجو او قبيلته وفي ذلك مساس
بالمربية وكان يمتاز عن ابي عبيدة بحسن القائه ، ولطف نغمته .

أما ابو عبيدة فقد اشتهر بالكذب والدس (٣) وكان اكبر همه
ارجاع مآثر العرب وحضارتهم الى عناصر اجنبية ، فلم يترك شعرا
ولا نثرا ولا شيئا مما تفخر به العرب الا نسبه الى الاعاجم حتى
القصص الخرافية التي يتناقلها العرب ، وجد لها نظائرها في اساطير
الادب الفارسي ولم تسلم اخلاق العرب المتوارثة وسلوكهم المعتاد
من قبل هذه المحاوله (٤)

(١) المزهر للسيوطي ٢ : ٢٠٩ .

(٢) وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٨ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ١٣٠ .

(٤) مروج الذهب ٢ : ٢٥٧ .

وكان الى جانب ذلك ذا ثقافة واسعة يعرف تاريخ الفرس لغارسيته ، وتاريخ اليهود ليهودية آبائه وتاريخ العرب لانه نشأ بينهم وكان يفسر القرآن الكريم حسب رأيه وهواه فكان الاصمعي يؤاخذ على ذلك (١)

يقول الاستاذ احد امين : يظهر ان كلا من الاصمعي وابى عبيدة يمثل فكرة فالاصمعي : يمثل العربية ، والتعصب لها وحب العرب وأجلالهم والاشادة بذكرهم ، وابو عبيدة يمثل فكرة التسموية والبحث عن معاييب العرب والتشهير بهم وكان كل منهما زعيماً يلتف حوله من يؤيدون فكرته ، ويناصرونه ، ويتعصبون له ، فالعرب كانوا يناصرون الاصمعي ويلتفون حوله ، والفرس كانوا يناصرون ابا عبيدة ويلتفون حوله . فنرى اسحاق بن ابراهيم الموصلى وهو فارسي يقول للفضل بن الربيع :

عليك ابا عبيدة فاصططنمه

فان المام عند ابي عبيدة

وقدمه وآثر عليه

ودع عنك القريد بن القريدة (٢)

ويقول أبو الفرج : ان اسحاق الموصلى كشف للرشييد معاييب الاصمعي واخبره بقلة شكره وبخله وضعة نفسه ، وان الصنمية

(١) وفيات الأعيان ٢ : ١٥٥ .

(٢) ضحى الاسلام ١ : ٧٣ .

لا تزكو عنده ووصف له أبو عبيدة بالثقة والصدق والسباحة والعلم
وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به - ولم يزل حتى وضع
مرثية الأصمعي واسقطه عندهم ، وانفذوا إلى أبي عبيدة من
أقدمه (١)

وسئل أبو نواس - وهو شعوبي - عن أبي عبيدة والأصمعي
فقال : أما أبو عبيدة فاتهم أن يكونوا قرأ عليهم أخبار الأولين
والآخرين ، وأما الأصمعي فليل يطرهه، بنفاته (٢) والأصمعي
يقم البرامكة ويتهمم بالشرك والزندقة في قوله :

إذا ذكر الشرك في مجلس

اضاءت وجوه بني برمك

وإن تليت عندهم آية

أتوا بالاصاديت عن «شرك»

وأبو عبيدة يشيد بذكر الفرس ويؤلف كتاب « فضائل الفرس»
يصف فيه طبقات ملوكهم من سلف وخلف وأخبارهم وخطبهم
وتشعب أسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكسور وامتفروه من
الانهار واهل البيوتات منهم ، وما وسم به كل فريق من السهارجة
وغيرهم (٣)

(١) مروج الذهب ١ : ١١٣ .

(٢) عيون الأخبار ٢ : ١٣١ .

(٣) الأغانى ٥ : ١٠٧ .

ولعل أخطر ما وجهه أبو عبيدة للحضارة العربية من ضربات ما ذهب إليه من أن الأشخاص الذين كانت لهم منزلة رفيعة في الإسلام أغلبهم من أصل فارس ويضرب على ذلك مثلاً بأسرة الرقاش وهي أسرة اشتهر أفرادها جميعاً بملكة البيان اخصهم ابن ابن عبيد الحميد الرقاش وقد اشتهر بأنه كان شاعراً عربياً ممتازاً ومترجماً للكتب الفارسية وورث عنه هذه الملكة ابنه حمدان وأخوه عبد المجيد وكان ابن أخيه الفضل بن عيسى بن ابن الرقاشي محدثاً خطباء العرب المشهورين في هذا الفن (١)

أما علم الانساب فقد برع فيه أبو عبيدة كل البراعة وعرف بطهته في الانساب والشك فيها (٢) فقليل عنه « انه كان يقسح في الانساب ولا ينسب له » (٣)

ألف أبو عبيدة كتباً كثيرة في الشعرية • ضاعت كلها • منها كتاب الموالي ، وكتاب المنافرات وكتاب القبائل وكتاب ادعياء العرب وكتاب « لصوص العرب » وكتاب فضائل الفرس وغيرها (٤) وهكذا كان أبو عبيدة من أخطر الشعوبيين على العرب وانسابهم وثقافتهم • وقد كان لوضاعة أصله • وثقافته الفارسية واليهودية أكبر الأثر في حقه على النصر العربي •

(١) الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي ص ١٢٥ د • ازمية قنورة
(٢) بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٩٥ •
(٣) الأغاني : ٢٠ : ٧٨ •
(٤) انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٠ •

دفاع العرب :

إذا كان الاصمعي العربي الشهم الغيور كان يمثل الثقافة العربية - والحزب العربي ٠٠ فان هناك شعراء اخرين من العرب كانوا غيورين مثله على عربيتهم وكانوا يكرهون الاعاجم ويكرهون من يقف بجانبهم من العرب حتى ولو كانوا من خلفاء بنى العباس ولكن هؤلاء الشعراء كانوا قليلين بالقياس الى شعراء التشعوبيين ٠٠ ولعلهم كانوا كثرة ٠٠ ولكن المؤرخين من الفرس قد طمسوا ما قالوه في الاعاجم ٠٠ وقلبوا حقائق التاريخ راسا على عقب ارضاء لنزعتهم الشعوبية وتعصبهم الاعمى ضد كل ما هو عسرى ٠٠ ومن هؤلاء ابو خالد يزيد بن محمد المهلبى وابو الاسد نجلته بن عبد الله الحماتى الشيباتى وابو الطيب المتنبى وابو فراس الحمدانى وغيرهم ٠٠

فأما يزيد المهلبى : فقد كان من العرب الغيورين على عربيتهم الناقمين على الجولى على العرب ، وهذا ماجر على الدولة ٠٠ بل على الخلفاء انفسهم ابشع العواقب ٠٠

ففى رثائه لمتوكل ٠٠ بعد قتله من الترك تراه يظهر اللوعة والاسى لفقد الخليفة ٠٠ ويتحسر على قتله بيد الاعاجم ، ويتبنى أو دافع عن الخليفة بسيفه وجاهد الاعداء بروحه ٠٠ وابلى فى الدفاع عنه بلاء حسنا ٠ حيث يقول :

لا حزن الا اراه دون ما أجسد
وهل كمن فقدت عيناي مقتقد
لو ان سيفى وعقلى حاضران له
ابليتة الجهد الذى لم يبيله اسد

جاءت منيته والعين هاجمة
 هلا انته المنيا والقنا قصد
 اضحى شهيد بنى العباسي بوعدة
 لكل ذي عزة في رأسه صيد
 خليفة لم ينل ما ناله احد
 ولم يضع مثله روح ولا جسد

ثم يلتف موجهها كلابه الى بنى العباس الذين ارخوا العنان
 للموالى فيصب عليهم جام غضبه ، ويظهر سخطه عليهم ونقمة
 منهم ٠٠ ويتكر عليهم استبدالهم العبيد بالاحرار ، ويشيد بالعرب
 الاحرار اصحاب المجد التليد والدين القويم ٠٠ فيقول :
 لما اعتقدتم اناسا لا حلوم لهم
 ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
 ولو جعلتم على الاحرار نعمتكم
 حمتكم السادة المذكورة الحشد
 قوم هم الجذم والانساب تجمعهم
 والجد والدين والارحام والبلد
 ان العبد اذا ادلتهم صلحوا
 على الهوان وان اكرمتمهم فسدوا
 اذا قريش ارادوا شد ملكهموا
 بغير قحطان لم يبرح بها اود
 قد وتر الناس طرا ثم قد صبتوا
 حتى كان الذي نيلوا به رشد

من الأولى وهبوا للمجد انفسهم
فما يباليون ماتالوا اذا حمدوا (١)

فهذه نغمة مصدور من شاعر عربي غيور على العروبة والاسلام.
قد ماله مقتل الخليفة على يد الاعاجم .. فصب جام غضبه على
اولئك الخلفاء المخدوعين الذين تركوا ابناء جلدتهم .. وراحوا
يقربون الاعاجم الموتورين ، الحاقدين على العرب فكان جزاءهم
القتل والتنكيل بأيدي عبيدهم ومواليهم ولو أنهم اصطفوا ابناء
العرب وقربوهم لاستقامت الامور وصلحت الاحوال .. لان العرب
احرار يعرفون كيف يحفظون على من يكرههم اما الموالي فهم
عبيد وشأن العبد ان لا يصلح الا اذا اهنته .. أما اذا اكرمه فيتحرر
على حد قول الشاعر :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ولقد صدق الشاعر فيما قال .. فان هؤلاء الموالي قد استبدوا
بالخلفاء .. وضيقوا عليهم الخناق .. وراحوا يعبثون بهم يخلصون
من يشاؤون .. ويجلسون على كرسي الخلافة من يشاؤون فساءت
احوال الدولة .. وانفرط عقدها وتقسمت الى دويلات مازلنا نعانى
من آثارها حتى اليوم .

(١) زهر الآداب للحصري ١ : ٢١٧ .

٢ - أبو الأسد نباته بن عبد الله الصماني

كانت بيته وبين علي بن يحيى المنجم خصومة ٠٠ وكانت تقوم بينهما مهاجمة ٠٠ وكان من المتوقع ان يكون هجاءه لابن المنجم هجاء شخصيا لا يتمداه الى سواه ٠٠ ولكنه هجا قومه من النبط ٠٠ وصب عليهم جميعا جام غضبه ، وافرغ في قصيدته كل ما في قلبه من كره وموجده مشيدا بالعرب حيث يقول :

صنع من الله اني كنت اعرفكم

قبل اليسار وانتم في التباين (١)

فما مضت حتى رايتكم

تتهشون في القز والقوه وفي اللين (٢)

وفي المشارق ما زالت نسائكم

يصبحن تحت الدوالي بالوارثين (٣)

فصرن يرقن في وشي العراق وفي

طرائف الخز من دكن وطارون (٤)

انسين قطع الحلاني من معانها

وحملهن كشوثا في الشقابين (٥)

(١) التباين : سواويل صغيرة مفردا تباين وهو فارس مغرب *

(٢) القوهى : ثياب بيض وثيقة *

(٣) الوارثين : مفردا ورشان وهو طائر *

(٤) الطارون : ضرب من الحرير *

(٥) الكشوت : نبات طيب يلفت على الشجر ويضرب به المثل في الخسة

الشقابين : مفردا شقبان : وهو ذيل العباءة *

حتى اذا أيسروا قالوا وقد كذبوا
 نحن الشهاريح اولاد الدهاقين
 لو سيل اوضعهم قدرا. وأنذلهم
 لقال من فخره انى ابن شوبين
 وقيل اقطعنى كسرى وورثنى
 فمن يفاخرنى ام من يمشونى
 فقل لهم وهموا أهمل لتربية
 شر الخليفة باختر العثمانيين
 ما الناس الا نزار في أرومتها
 وهاشم سرجها الشم العرانيين
 والحق من سلقى قحطين اتهموا
 يزرون بالنبط اللكين الملاشين

ثم يقول :

اما تراهم وقد حظوا برادعهم
 عن اتهم واستبدوا بالبرازين
 وأفرجوا عن مشارات البقر الى
 دور الملوك وأبواب السلاطين
 تفل على العرب من غيظ مراجلهم
 عداوة لرسول الله والدين (١)

وهذه القصيدة على قصرها تكشف بوضوح ما كان يعانيه العرب من الجوالى ٠٠ وما كان يعتمل في صدورهم من حقد وموعدة نحوهم ٠٠ فلقد سيطروا على الدولة ، وتصرفوا في مصائرهم وتطاولوا على العرب ٠ بل على الخلفاء اولياء نعمتهم وراحوا يفتخرون زورا وبهتانا على العرب ٠٠ وكل واحد منهم حتى وان كان من ارباب القوم وسفهاءهم يزعم أنه من نسل كسرى ٠٠ ولقد ردد كثير من شعراء الشعوبية هذا الادعاء ٠٠ مع انهم كانوا معروفين بوضاعة الاصل ٠٠ وهوان النسب ٠٠ بل ان بعضهم كان مجهول النسب ٠٠ وهذا ما جعل العرب يكرهونهم ٠٠ ويحاربون جاهدين ان يكشفوا حقيقتهم كما فعل هذا الشاعر ٠٠ الذي بين ان معظم هؤلاء الذين كانوا قبل اليسار فقراء معوزين يسعون في طلب الرزق وما تكون الفتات فاذا بما ايسروا نسوا اصلهم ٠٠ وتفاخروا على العرب وزعموا انهم اولاد الدهاقين ٠ ولذا يقول المستشرق « فون كريمر » ان هذه القصيدة تمثل الحزب العربى تمثيلا صادقا (١)

الفصل الثالث

الصراع بين العرب والروم

تمهيد :

الصراع بين العرب والروم قديم قدم الفتوحات الإسلامية . . . ذلك ان الاسلام فرض على المسلمين الجهاد في سبيل الله من اجل الدفاع عن الدين ونشره في ربوع الارض . . . ومنذ خلافه ابي بكر رضي الله عنه خرج المسلمون من شبه الجزيرة بعد ان قضاوا على المرتدين الى بلاد الفرس والروم . . . يقتصمون البلاد . . . وينشرون الاسلام وما أسرع ما استولوا على العراق وفارس وبلاد الشام ومصر في رهن وجيز . . . ولذا فقد اضطر الخليفة معاوية أن ينقل عاصمة ملكه الى الشام حتى يكون على مقربة من بلاد الروم وحتى يستطيع ان يدافع عن حدود الدولة الإسلامية المترامية الاطراف وبعد القضاء على دولة الفرس في العراق وفارس . . . لم تكن هناك دولة مجاورة للمسلمين تستطيع ان تهدد حدودهم الا دولة الروم الشرقية . . . التي اخذت تقرّبص بالمسلمين الدوائر . . . بعد ان اخذ المسلمون منهم بلاد الشام ومصر . . . ومنذ ذلك الحين بدأ الصراع بين العرب والروم . . . العرب يريدون حماية حدودهم الجديدة وتأمينها . . . ويريدون الانطلاق منها الى قلب بلاد الروم لنشر الاسلام . . . وتحقق نصر حاسم على عاصمة الكفر القسطنطينية والروم يرون انهم مهددون بالعرب . . . وبهذا الدين الجديد الذي انتشر في ربوع الارض . . . وهو بما اشتمل عليه من عقيدة التوحيد والاتفاق مع الفطرة السلية التي فطر الله للناس

عليها تهدد عقيدة التثليث التي يؤمنون بها في الصميم ٠٠ ومن ثم يرون انه لا بد لهم من حماية بلادهم ودينهم من هذا الخطر الجديد، ومن هنا بدأ الصراع بين الطرفين ٠٠

ولان بلاد الروم التي كانت تشمل آسيا الصغرى كثيرة الجبال ، وعرة المسالك شديدة البرودة شتاء كان أنسب وقت يقوم فيه العرب بغزواتهم لهذه البلاد هو فصل الصيف ومن ثم اطلق على هذه الغزوات او على المحاربين المشتركين فيها اسم « الصائفة » أو « الصوائف » ومنذ عهد عمر بن الخطاب صار غزو الصائفة تقليديا يحرص عليه خلفاء المسلمين من الامويين والعباسيين ٠٠

وكانت اول صائفة هي التي وجهها عمر بن الخطاب الى بلاد الروم في سنة ٢١ هـ وجعل قيادة الجيش فيها لعمير بن سعد الانصاري ٠٠ واذا لم يتهيأ للخليفة نفسه الخروج على رأس هذه الغزوة الصيفية فانه كان يعقد لواء الجيش لواحد من اقربائه المقريدين والا فقائد من قوادهم الذين يتق في مقدرتهم (١)

فقد ارسل معاوية بن ابي سفيان ابنه يزيد على رأس جيش كبير لغزو بلاد الروم وسار حتى وصل الى القسطنطينية سنة ٤٩ هـ وحاصرها واظهر في القتال بطونة فائقة حتى اذا انتهى الصيف عاد بجيشه الى الشام ٠٠ وقد استشهد في هذه الغزوة الصحابي الجليل أبو أيوب الانصاري ودفن بناء على رغبته تحت اسوار المدينة .

(١) اني الشعر العباسي ص ١٢٨ د ٠ عز الدين اسماعيل .

وقد ظلت هذه الغزوات الصيفية دأب الخلفاء الامويين وحققوا فيها انتصارات ساحقة على الروم ٠٠

وكانت المنطقة بين القسطنطينية واهنطكية مسرحا لحروبهم مع الروم وفتحوا كثيرا من البلدان مثل اماسية وخرشنة وعمورية وسلاقوية وقيسارية والبصيرة وفيها حصون فتحها العرب كحصن بولاق والاخرم وبولس وقمقم وحصن المرأة (١)

ومما يؤكد استمرار هذه الغزوات مهادح به الاخطل عبد الملك بن مروان في قوله :

وفي كل عام نمنك للروم غزوة
بعيدة آثار السنايك والسرب
وان لها يومين : يوم اقامة
ويوما تشكى القرض من حذر الدرب

وعلى الرغم من ان الامويين قد وصلوا الى القسطنطينية وحاصروها ثلاث مرات - فيما يقول المؤرخون - فانهم لم يتمكنوا من اقتحامها ٠٠ والاستيلاء عليها ٠٠ ومن اجل ذلك ظل الروم مصدر قلق واضطراب للدولة الاسلامية طوال العصر العباسي ٠

ومن هنا ظل الصراع مستعرا بين الروم والمغرب وكان له آثار في الادب العباسي ٠

(١) شعر الحرب في ادب العرب ١٢٨ د - زكي انجاسني ٠

٢ - الصراع في العصر العباسي

كان الجيش الاسلامي في العصر العباسي يتكون من الجنود النظاميين الذين تجنّدهم الدولة وتدّون اسمهم في السدواوين وتجري عليهم الارزاق .. وهؤلاء كانوا يقيمون في الثغور المتاخمة لبلاد الروم ويسهرون للدفاع عن حدود الدولة الاسلامية .. وفي الصيف كانوا يغيرون على بلاد الروم يفتحون البلاد وينشرون الاسلام حتى اذا اقبل الشتاء بيرده الشديدا عانوا ادراجهم الى بلاد المسلمين محمّين بالغنائم والاسرى .. وظل هذا ذابهم في العصر العباسي الاول ..

وكان الى جانب هؤلاء الجنود النظاميين متطوعون .. قد نذروا انفسهم للدفاع عن الاسلام .. وحماية بلاده لا يطلبون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا .. وانما كان الدافع عندهم هو الفوز باحدى الحسنين اما الظهور وانما الشهادة وهؤلاء هم المرابطون في سبيل الله .

« وكانت الثغور نوعين : ثغور برية واخرى بحرية »

وفي هذه الثغور بنوعيتها كانت تقع الحروب بين العرب والروم همزة يغلب هؤلاء وهمرة هؤلاء .. ومن اجل ذلك كونت هذه المناطق بيئة لها طبيعتها الخاصة وكان لها - نتيجة لذلك - اثر بعيد المدى في حياة الشعبين العربي والرومي على السواء فكما كانت مجالاً للصراع الحربي بين الشعبين كانت مجالاً كذلك للاحتكاك

المضارى بينهما : الاجتماعى والفكرى والادبى والفنى (١)
ومنذ قيام الدولة العباسية لم تنقطع الفارات الاسلامية على
بلاد الروم ..

ففى عهد أبى جعفر المنصور انمار الروم على « ملطية » وكانت
اذ ناك من الثغور الاسلامية فدخلوها عنوة فى سنة ١٣٨ هـ وقهروا
أهلها وهدموا أسوارها وحين علم المنصور بذلك أغزى الصائفة
عنه صالح بن على ومعه أخوه العباس ابن محمد بن على فبنى ماكن
صاحب الروم هدمه من ملطية ثم خرجا معا للغزو من درب الحدث
وتوغلا فى ارض الروم فى حين توغل جعفر بن حنظلة البهرانى من
درب ملطية وقد انتهى هذا الغزو بتبادل الاسرى وبهذا استنقذ
المنصور من الروم أسرى المسلمين (٢) .

وفى سنة ١٤٠ هـ غزا الصائفة الحسن بن قحطية مع عبدالوهاب
ابن ابراهيم الامام واقبل قسطنطين صاحب الروم فى جيش كثيف
فنزل جيحان قبله كثرة المسلمين فأحجم عنهم ثم لم تكن صائفة
بعد ذلك الى سنة ١٤٦ هـ لاشتعال المنصور بأمر محمد بن عبد الله
الملوى فى المدينة ثم استؤفت الصرائف بطريقتها التقليدية حتى
سنة ١٥٥ وفى هذه السنة طلب صاحب الروم الصالح على أن يودى
للمسلمين الجزية (٣) .

(١) فى الشعر العباسى ١٢٩ د عزالدين اسماعيل .

(٢) فى الشعر العباسى ص ١٣٠ .

(٣) المرجع السابق ١٣٠ .

وفي عهد المهدي ساءت العلاقات بين العرب والروم ٠٠ واتسع نطاق الحرب بين الفريقين فأصبحت في البر والبحر على الأسراء. ففي سنة ١٦٣ هـ أرسل المهدي بابنه هارون الرشيد على رأس جيش ضخم إلى بلاد الروم ففتح حصن « سملا » بعد حصار دام ثمانيا وثلاثين ليلة واستخدم في ضربه المنجنيق وقد تم الفتح على أساس ألا يقتل هارون أحدا من الأهل والأولاد إلا يفرق بينهم ٠ وفي سنة ١٥ هـ غزا هارون الصائفة مرة أخرى بجيش قارب مائة ألف رجل فأوغل في بلاد الروم حتى بلغ القسطنطينية وهناك جرت بينه وبين « ايريني » أم الملك التي كانت تحكم نيابة عن ابنها مكاتبات في طلب الصلح والمودعة واعطاء الفدية فقبل منها هارون ذلك وكان الصلح على أن تدفع للمسلمين جزية قدرها تسعمائة ألف دينار برتين كل عام وهناك كتبت شروط الهدنة لثلاث سنوات وتبادل الأسرى (١)

وقد ذكر مروان بن أبي حفصة هذه الواقعة في قوله :
 أطفقت بقسطنطينية الروم مسندا
 إليها القنا حتى اكتسي الذل سورها
 وما رمتها حتى انتك فكسوكها
 بجزيتها والحرب تغلى قدورها (٢)

(١) نفسه ١٣٦ ٠

(٢) شعر مروان بن أبي حفصة ص ٦٠ جمع تحقيق د. حسين عطوان

وبعد هذه الهدنة عاد الرشيد الى بغداد وكان الروم قد نقضوا
المهد قبل انقضاء السنين الثلاث وغدروا بالمسلمين فوجه اليهم
المهدى جيشا بقيادة يزيد بن بدر البطل فردهم من حيث اتوا وظفر
منهم *

وقد أشاد مروان بن ابي حفصة بالدور الذي قام به المهدي في
حماية الثغور وحماية بلاد المسلمين في قوله :
هل تعلمون خليفة من قبله
اجرى لغايته التي اجرى لها
طلع الدروب مشرا عن ساقه
بالخيل منصاتها يجد نماتها
قودا تربع الى اغر لوجهه
نور يضيء امامها وخلالها (١)
قصرت حمائله عليه فقلصت
ولقد تحفظ قسنتها فآطالها (٢)
حتى اذا وردت اواقل خياله
«جيجان» بث على العدو رعالها (٣)

(١) القود : جمع اقواد وهو الذلول السهل من الخيل ، تربع تصغى
وترجع *
(٢) الحمائل : نجاد السيف والرجل يمدح بالطول * والقين : صانع
السيوف * تحفظ : احتاط *
(٣) جيجان : نهر بالشام ينبع من بلاد الروم * الوعال : جمع وعيل
ومعز الطليعة *

أحمن بلاد المسلمين عليهم
 وأبلى سهل بلادهم وجبالها
 أدبت ذوابير خيله وشكيمها
 غاراتهن والحقت نطالها (١)
 لم تبق بعد مقادها وطرادها
 إلا نحائرها وإلا آلهها (٢)

وهكذا لم يتوان المهدي في حرب الروم ٥٥ ولم يتراخ في تأديبهم
 كلما أرادوا كيدا للإسلام ٥٥ وظل على هذا الحال حتى توفي .

ولما تولى الرشيد خلافة المسلمين سار على طريقة والده وكان
 كما يقول ابن خلدون يحج عناء ويغزو عناء ويوصل في كل يوم مائة
 ركبة (٣)

وفي بداية عهده قام الروم بانقلاب ضد الملكة « إيريني »
 وخلعوها من عرشها وولوا مكانها « نقفور » سنة ١٨٦ ٥٥ وجعلوه ملكا
 عليهم ٥٥ وقد بدأ نقفور عهده بتهديد المسلمين إذا أرسل إلى
 الرشيد كتابا يقول فيه « من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب
 أما بعد ٥٥

(١) الدابر : المؤثر ، الشكيم : الحديدة المعرضة في قم الفرس .
 الأطل : جمع اطل : وهو منقطع الأضلاع من الخاصرة ، الحقت ضميرت .
 الأطلال : جمع اطل : وهو منقطع الأضلاع من الخاصرة ، الحقت ضميرت .
 (٢) شعر مروان بن أبي حفصة ص ٩٨ ، ٩٩ .
 (٣) مقامة ابن خلدون ص ١٣ .

فإن الملكة التي كانت قبلى اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها
 بحام البيئق فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل امثاله اليها
 ولكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فاذا قرأت كتابى فاردد ماحصل
 قبلك من اموالها وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك والا فالسيف
 بيننا وبينك »

فلما قرأ الرشيد الكتاب استغذ الضيب فدعا بدواة وكتب
 على ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم : من هارون أمير المؤمنين
 الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ان تبسمه
 والسلام « (١)

وخرج الرشيد في غزوة تأديبية ردا على تهديد « نقفور » تدمير
 البلدان وأخذ الغنائم وتوغل في بلاد الروم حتى اتاخ بباب هرقلية
 فطلب منه نقفور السلم على جزية يؤديها كل عام -١٠ فقبل الرشيد
 ذلك منه ولكن ما كاد يقفل راجعا الى بلاد المسلمين حتى كان «نقفور»
 قد نقض العهد فاحتال المسلمون بالشاعر أبى «حجد بن عبد الله
 ابن يوسف كى يبلغ الرشيد الخبر فأنشد بين يديه :

نقض الذى اعطيته نقفور
 وعليه دائرة البوار تدور
 أبشر أمير المؤمنين فقه
 فتح اتاك به الاله كبير

(١) تاريخ الامم الاسلامية ص ١٣٠ محمد الخضرى .

هلقد تباشرت الرعية ان أتى
 بالتقص عنه وافد وبشير
 ورجت يمينك ان تعجل غسوة
 تشفى النفوس مكاتها مذكور
 اعطاك جزيتته وطاطا حده
 حذر الصوارم والردى محذور

الى ان يقول :

نقفور أنك حين تغدر ان لاي
 عنك الامام لجاهل مغرور
 اظننت حين غدرت أنك مفلت ؟
 هيلتك امك ما ظننت مغرور
 القك حيثك في زواجر بحره
 فسنت عليك من الامام بحور
 ان الامام على اقتسارك قسادر
 قربت ديارك ام نأت بك دور
 ليس الامام - وان غفلنا - غافلا
 عما يسوس بحزمه ويدير
 ملك تجرد للجهاد بنفسه
 فعدوه ابدأ به مقهور (١)

(١) في الشعر العباسي ص ١٣٣ .

وأدرك الرشيد ما حدث من نقض نقفور للمهد فكر مغاضبا
الى « هرقله » وأنزل بها الخراب وشقى غليل نفسه وفي ذلك يقول
ابو العتاهية :

ألا نادى هرقله بالخراب
من الملك الموفق بالاصواب
غدا هارون يرعد بالمنسيا
ويرقب بالذاكرة القصاب
ورايات يحل النصر فيها
تر كأنها قطع السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فانبثتم
وابشرت بالغنيمات والاياب

وظل هارون الرشيد طوال حكمه ساهرا على حماية الثغور مجاهدا
في سبيل الله ٠٠ غاريا للاعداء قائدا للجيش بنفسه فان تعذر ذلك
عليه أرسل قواده العظام أمثال : هرثمة بن أعين ، وعقبة بن جمفر
وغيرهما وقد أشاد الشعراء بجهوده الموفقة في الدفاع عن المسلمين
وحماية حدود الدولة الاسلامية ، ومطاردته للروم وغزوهم في عقر
دارهم كما استطاع الى ذلك سبيلا .

يقول مروان بن ابى حفصة :

وسدت بهارون الثغور فاحكمت

به من امور المسلمين الجدائر (١)

(١) المرائر : العزائم .

وما انتفك مهقودا بنصر لواءه
 له عسكر عنه تشظى العساكر
 وكل ملوك الروم اعطاه جزية
 على الرغم قسرا عن يد وهو صاغر (١)

وكان من أهم الاحداث في حروب الرشيد ما حدث من عداوة
 للاسرى بين المسلمين والروم في سنة ١٨٦ هـ حيث استعاد المسلمون
 جميع اسراهم لدى الروم ٠٠ والى هذا يشير مروان بن حفصة
 في قوله :

وفكت بك الاسرى التي شيدت لها
 محابس ما فيها حميم يزورها
 على حين اعياء المسلمين فكاكها
 وقالوا سجون المشركين قيورها (٢)

ومهما يكن من شيء فقد أبلى الرشيد في هذه الحروب بلاء
 حسنا ولقن الروم دروسا قاسية طوال حكمه وكانت كفته راجحة
 في هذه الحروب ٠٠ وقد تركت هذه الحروب بصماتها على الشعر
 العربي ٠٠ حيث اشاد بهذه الانتصارات شعراء كثيرين .

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ص ٥٣ .
 (٢) شعر مروان بن أبي حفصة ص ٦١ .

المأمون

وصل المأمون إلى الخلافة بعد حرب ضروس قامت بينه وبين أخيه محمد الأمين ٠٠ والتي انتهت بمصرع الأمين وتولى المأمون خلافة المسلمين بعد أحداث جسام أدت قلوب المسلمين ٠٠ فكان طبيعيا أن تخلو السنوات الأولى من حكمه من الحروب ريثما يلتقط أنفاسه التي تقطعت بعد طول معاناة ٠٠

وما كاد الأمر يستتب له حتى خرج بنفسه غازيا بلاد الروم في شهر المحرم من سنة ٢١٥ هـ بعد أن استخلف على بغداد اسحاق ابن ابراهيم بن مصعب واجتاز في طريقه منبج ثم دابق ثم انطاكية ثم المصيصة ثم طرسوس ومنها أخذ يوغل في بلاد الروم ففتح حصن « قرة » وأمر بهدمه ثم أخضع غيره من الحصون وحين قفل المأمون إلى الشام بلغه اغارة ملك الروم على طرسوس والمصيصة وقتله لعدة آلاف منها فعاد إلى بلاد الروم وظل حتى بلغ هرقلة فاستسلم أهلها وطلبوا الصلح في حين افتتح أخوه اسحاق عددا كبيرا من الحصون ، كما اغار وزيره يحيى بن أكتم اغارات غنم فيها وحين رضيت نفس المأمون بذلك رحل إلى مصر وكان ذلك في سنة ٢١٦ هـ ومن مصر عاد المأمون إلى دمشق في السنة التالية ومنها دخل إلى بلاد الروم للمرة الثالثة حتى إذا بلغ حصن لؤلؤة ضرب عليه حصارا استمر مائة يوم ثم غادره بعد أن أقام عجيفا - أحد قواده خلفا له على الحصار وانتهى الأمر بخروج أهمل لؤلؤة إلى عجيف بالامان (١)

(١) في الشعر العباسي ص ١٣٤ .

وهذا الصراع بين المأمون والروم يدلنا على ان الصراع كان متبادلا بينهما ٠٠ ففي الوقت الذي كان يجد كل منهما فرصة للنيل من الاخر لم يكن يتراجع عن اغتنامها ٠٠ وحين كانت الحرب تضسع اوزارها كانت تعقد هدنة بين الطرفين لالتقاط الانتفاص وفك الاسرى وتبادل التجارة وتأمين الطرق ٠٠

ومما يدل على وجود هذا التبادل الحضاري بين الشعبين العربي والرومي في فترات الهدنة والاسترخاء العسكري رسالتان تبادلتهما ملك الروم والخليفة المأمون بتأان هذا الامر ٠٠

« وخلاصة رسالة ملك الروم انه يذكر المأمون بما كتبه اليه من قبل ينشد السلام والمودعة بين الشعبين مع اتصال المرافق بينهما وتبادل التجارة وانه مازالت هذه الرغبة وانه اذا رفض المأمون هذا العرض فانه - أي ملك الروم - سيقود اليه الجيوش الجرارة التي لا تبقى ولا تزر ثم ينهيهما بقوله « وان أفعل فبمسد ان قدمت اليك المعذرة وأقمت بيني وبينك الحجة »

فرد عليه المأمون بقوله :

اما بعد : فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة ، ودعوت اليه من المودعة وخلطت فيه من اللين والشدة فما استعظفت فيه من فسح المتاجر ، واتصال المرافق ، وفك الاسرى ، ورفق القتل والقتل ، فلولا ما رجعت اليه من أعمال التؤدة والأخذ بالحظ في تقليب الفكرة ، وان لا اعتقد الرأي في مستقبله الا في اصلاح ما ارثره في معتقه لجمعت لجواب كتابك ذبلا تحيل عن اهل التأس

والتجدة والبصيرة ينازعونكم عن شككم ويتقربون الى الله بدمائكم، ويستقلون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ثم اوصل لهم من الامداد ، وابلغ لهم كافيًا من العدد والعتاد ، هم أظمأ الى المسابيا منكم الى السلاية ومن مخوف معرفتهم عليكم ، موعدهم احدى الحنين ، عاجل غلبة ، او كريم منقلب غير انى رأيت ان اتقدم اليك بالموعظة التى يثبت الله بها عليك الحجة ، من الدعاء لك ، ولن معك الى الوجدانية ، والشريعة الحنيفة فان ابيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة ، وان تركت ذلك ففى يقين المعايينة لقوتنا ما يغنى عن الإبلاغ في القول ، والاعراق في الصفة والسلام على من اتبع الهدى (١)

وتستطيع ان تستخلص من رسالة المأمون الحقائق التالية في شأن الصراع بين العرب والروم :

١ - ان كلا من العرب والروم كان حريصا على هزيمة صاحبه والسيطرة عليه واخضاعه لنفوذه ٠٠ وأن كلا منهما يتوجس خيفة من الآخر .

٢ - ان هناك فترات كانت تستريح فيها الجيوش وتستمد لجولات تاليه ٠٠ وفي هذه الفترات كان يقوم بين الطرفين نوع من السلام والمسالمة حيث يفكون الاسرى ويتبادلون التجارة ويؤمنون الطرق ويعمرون بها خربته الحرب ويعالجون الجرحى ٠٠ ومن خلال ذلك يتأثر كل طرف بحضارة الطرف الاخر ويحاكيه في أسلوب حياته رضي أم كره بحكم المجاورة والاحتكاك ٠٠

(١) تاريخ الأمم الاسلامية ص ٢٢٤ محمد الخضرى .

٣ - ان هذه الحروب كانت في المقام الاول حروب دينية يحرض كل طرف فيها ان يحافظ على دينه ومعتقداته من هيمنة الطرف الآخر^{١٠} وان المسلمين كانوا يعدون قتال الروم جهادا في الآخر^{١١} وان المسلمين كانوا يعدون قتال الروم جهادا في سبيل الله واعلاء لكلمته فكانوا يتقربون الى الله بديانتهم ولذا كان المأمون حريصا على أن يعرض على ملك الروم واصحابه التوحيد والدخول في رحاب الاسلام والشريعة السمحاء فان ابي جرى عليه وعلى الروم حكم الشريعة الاسلامية في اهل الذمة في دفع الجزية فان ابي فالسيف^{١٢}

فالجهد في سبيل الله هو الهدف الاول من هذه الحروب ولم يكن الدافع كذلك حب السيطرة والظهور واستعباد الشعوب والتحكم في مقدراتها وانما كان الهدف هو اعلاء كلمة التوحيد حتى يكون دينا عالميا كما اراد الله له ان يكون^{١٣} ولذلك كانوا ينتصرون^{١٤}

- المعتصم بالله -

تولى المعتصم الخلافة بعد المأمون^{١٥} وكانت اول مشكلة قابله في بداية حكمه هي فتنة بابك الخرمي^{١٦} وهي الفتنة التي بدأت في سنة ٢٠٢ هـ حين رفع بابك هذا راية العصيان على الخلافة العباسية في شمال فارس بعد ان ادعى الالهية وأهل لاتباعه السلب والنهب والاعتصاب والقتل والتبثيل بالغير (١)^{١٧}

وقد اتعب بابك هذا المأمون اذ لم تستطع الجيوش التي كان يرسلها اليه ان تقضي عليه نظرا لكثرة اتباعه وتحصنه في الجبال

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٩٤ *

الرورة ٠٠ ولذا فقد أوصى المأمون أخاه ان يولى هذه الفتنة امتباءه
الكامل ٠٠

من اجل ذلك كقد جعل المعتصم اكبر همه بعد ان تولى الخلافة القضاء على بابك واصحابه ٠٠ وأدرك « بابك » الخطر الذي يتهدده فأرسل الى « تيوفيل » ملك الروم يخبره بأن الفرصة اصسبحت سانحة له لغزو المسلمين حيث ان جيوشهم قد أصبحت مهسغولة بأمره وكان هدفه من ذلك تخفيف الضغط عليه من ناحية وارهاق المسلمين بحريهم في جبهتين من ناحية ثانية ٠٠

ولذا فقد اعتمد ملك الروم الفرصة وعبا جيوشه واتجه الى « زيطرة » احدى ثغور المسلمين فأحرقها وقتل الرجال وسبى النساء والذرية ثم انتقل منها الى « ملطيس » فألحق بها وبأهلها الخراب والدمار وكذلك صنع في عدد من حصون المسلمين ٠٠ ولما قفل « تيوفيل » بالغنيمه الى بلاده هرب من زيطرة عدد من أهلهما الذين تحرقت دورهم وساروا حتى بلغوا قصر الخليفة المعتصم في سامراء ٠٠ ويضيف ابو الفدا في تاريخه ان امراه عربية من أهمل زيطرة صاحت وهى أسيرة في ايدى الروم : وامعتصماه ٠٠

فلما بلغ المعتصم استغاثتها وهو جالس على سريريه صرخ لبك ٠٠ لبك (١)

ومن سوء حظ الروم ان المعتصم كان قد قضى على بابكة الخرمى حيث وقع أسيراً في يد « الأفشين » قائد جيش المعتصم فساقه أسيراً الى سامراء حيث أمر المعتصم بقتله وصلبه عندئذ تفرغ المعتصم لقتال الروم وكانت « زبطرة » التي هدمها « تيوفيل » مسقط رأس المعتصم وحين سأل عن اتبع حصون الروم قيل له « عمورية » وتصادف ان كانت عمورية هي مسقط رأس « تيوفيل » فقرر المعتصم تدميرها رداً على تدمير « زبطرة » والانتقام للمسلمين الذين نكبوا في زبطرة على أيدي الروم ٠٠

ومن هنا استعد المعتصم للغزو وللجهاد في سبيل الله فركب جواده ، وحمل معه حقيبة فيها زاده ، ثم عبأ جيشه واحضر قاضي بغداد وجمعا من العدول فأشدهم على ما وقف من الضياع وما يجب ان يصير بعده من أمر الخلافة وهنا دليل على صدق المخشنة ووثبته الخالصة لنصرة العرب والمسلمين ٠٠ وسار بجيشه الى بلاد الروم بعد أن أعده احسن اعداد وجعل عليه جماعة من اعظم القسوان امثال : الأفشين ووصيف وبغا ، واشناس ، وعجيف بن عنيسسه وغيرهم وقد قسمه الى كراديس على كل فريق واحد من هؤلاء القواد وسير بين يديه الطلائع وكانت خطته الحربية أن يهدم « انقرة » قبل حصار « عمورية » في بهرة الاناضول وانقرة في شمالها الشرقي بمثابة حصن لها وملجأ (١) ٠

وقد نجحت خطته في الاستيلاء على انقرة فاستسلمت له دون

(١) شعر الحرب ص ١٨٦ د زكي العاصمي ٠

كبير عناء ٠٠ ثم نظم جيشه لمداومة عمورية فجعل الأفضسين على
اليمينه واشناس على الميسرة وكان هو على القلب وضرب حصاراً
على عمورية ثم أخذ يضرب اسوارها وابراجها بالمنجنيق حتى تهدم
جزء من السور فتدفق المحاربون من الثغرة التي فتحت في سور
المدينة والتحموا مع جنود الروم وأسموهم قتلا واشعلوا النار في
المدينة حتى تداعت جدرانها وتهاوت ابراجها وتهدمت مساكنها
واصبحت أثرا بعد عين ٠٠

والذي يهمنا من سرد هذه الاحداث هو دراسة الادب الذي
واكبها وعزف على قنارتها وسجل خطواتها ٠٠ وقد استطاع الشاعر
المجلم ابو تمام ان يسجل يصدق وامانة احداث هذه الواقعة وان
يرسم بقلبه خطوطها المتشابهة وان يعطينا صورة صادقة لعز
العرب وقوة المسلمين أيام المعتصم ، كما نجح في رسم ما حل
بعمورية ، من خراب ودمار على أيدي أبطال المسلمين ٠٠

بدا ابو تمام قصيدته بالسخرية من المنجمين وبيان كذبهم وكشف
دجلهم حينما زعموا ان عاقبة هذه الغزوة غير مأمونه ٠ وأن الوقت
غير مناسب لفتحها ولكن المعتصم لم يعبأ بقولهم ٠٠ ونجح فيما
عزم عليه ضاربا بأقوالهم عرض الدائط يقول ابو تمام في مطلع
هذه الملاحمة الرائعة :

السيف صدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح في
متوتهن جلاء التمسك والتريب

ثم يعلمهم ان القول الفصل للرياح الالامعة وليست في النجوم
السامقة فيقول :

والعلم في شهب الارماح لامعة
بين الخبيسين لا في السبعة الشهب

وتثبت الاحداث كذب المنجيين ودجلهم وأن كلامهم عن مسند
الغزوة كان احاديثا ملفقة لا تساوى شيئا فيقول :

تخرصا واحاديثا ملفقة
ليست بتبع اذا عدت ولا غرب

ثم ينتقل بعد ذلك الى الحديث عن فتح عمورية فيقول :

فتح الفتوح تعالى ان يحيط به
نظم من الشعر او نثر من الخطب

انه الفتح الذي يرضي الله عنه في عليائه ويفرح المسلمون به
في ارضه :

فتح تفتح ابواب السماء له
وتبرز الأرض في آثابها القشب

ويتحرك الشاعر بعد ذلك في اطار من البهجة الروحية حيث
لم يكن هذا النصر الذي احرزته المسلمون سوى انتصار للحق على
الباطل انتصار للتوحيد على الكفر فيقول :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت
 عنك المنى حفلا ممسولة الحلب
 ابقيت جد بنى الاسلام في صعد
 والمشركين ودار الشرك في صيب

ثم مثل عمورية بغادة ساقرة الوجه ، رائعة الحسن خطب
 ودها المشاق والخطاب فتأيت عليهم فلم ترض بكسرى ولا يملك
 تبع وما تزال من عهد الاسكندر وحتى عصر المعتصم في ميعه
 انصبا وقمة الشباب والجمال ، وذلك كناية عن عزتها ومنعتها
 ومنزلتها في نفوس الروم فيقول :

وبرزة الوجه قد اعيت رياضتها
 كسرى وصدت صدودا عن ابي كرب (١)
 من عهد اسكندر او قبل ذلك قد
 شابت نواصي الميالي وهي لم تشب

وعلى الرغم من سخريه ابي تمام من كلام المهجمين تراه هنسا
 بيّن بالفأل والنحس حيث يذكر ان النحس الذي حل بأنقره قد اعدا
 عمورية كالجرب فلحقت بأختها أنقره - فيقول :

جری لها الفأل نحسا يوم انقرة
 اذ غودرت وهشة الساحات والرحب

(١) أبو كرب : هو أسعد بن مالك الحميري البهاني وكان ملكا من
 ملوك التباينة .

لما رأت اختها بالابن قد خربت
كان الخراب لها اعسدى من الجرب

وفي هذه الغزوة يلقي الكفر مصرعه على ايدي المسلمين وسلاحهم
الفاتك ٠٠ لقد طال به الامل ، وامتد به العمر واستمصي على الدهر
ولكن أجله قد حان على ايدي المعتصم وجنوده الابطال :

لو يعلم الكفر كم من اعصر كمنست
له المنية بين السم والعضب

وهذا الفتح المبين تم بتدبير محكم وتخطيط دقيق وثقة في الله
كبسيرة :

تدبير معتصم ، بالله منتقم
الله مرتقب في الله مرتغب

ويتابع أبو تمام وصفه للمعتصم بالله الذي ارهبت جيوشه
الاعداء ٠٠ قبل ان تصل اليهم ٠٠ فلقد نصره الله بالرعب ٠٠
لم يفر قوما ولم ينهض الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها في جحفل لجب

ثم يعزف ابو تمام مرة اخرى على قيثاره الاسلام والاعتقاد
الراسخ في نصر الله وتأييده ٠٠ وهل كان هذا الفوز سينجح ويحقق
اهدافه لو لم يكن بنصر من الله وتأييده

رمى بك الله برجيها فهدمها
ولو رمى بك غير الله أم تصب
من بعد ما أشبوها واثقين بها
والله مفتاح باب المعقل الأثيب

ولما كانت عمورية هي أقوى الحصون فهي بذلك أقوى مراكز
الشرك ومن أجل ذلك اختار المعتصم غزوها حتى يهدم الشرك في
أقوى حصونه فتنهار بعد ذلك بقية الحصون :

حتى تركت عمود الشرك منقرا
ولم تعرج على الأوتار والطيب

وما قيمة الأوتاد والطيب بعد ان انكسر عمود الخيمة ؟

ثم يدعو الله ان يجازى المعتصم خيرا على ما قدم للإسلام
والمسلمين لانه ادرك ان الراحة الكبرى لا تدرك الا بالتعب فيقول :

خليفة الله جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والاسلام والصب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال الا على جسر من التعب

ثم ربط ابو تمام بين انتصار المعتصم في عمورية وبين انتصار
المسلمين في بدر فقال :

ان كان بين صروف الدهر من رحم

موصولة أو زعام غير منقضب

قبين أيامك اللاتي نصرت بهما
وبين أيام بدر أقرب النسب

ثم يدعو على الروم ان يختم الله على وجوههم بالصغار وان
يجلو اوجه العرب فيقول :

ابقت بنى الاصفر المصفر كاسهم
صفر الوجوه وجلت، أوجه العرب

وتتجلى براعة ابي تمام الفنية في وصفه عمورية وهي تحترق
فصورها في لوحة فنية رائعة اختلط فيها ضوء النيران بسحب
الدخان المتصاعد حيث يقول :

لقد تركت - أمير المؤمنين بهما
لنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحي
يشله ويسطها صبح من الذهب
حتى كأن جلابيب الضحى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضمي سحب
فالشمس طالعة من ذا قد أفلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

رواضح التمداده من قابون الاضداد في وصف حريقها ليلًا

وهو استمداد تخلق في تضاعيفه هذا الخيال بلّ الحلم العجيب فهو في الليل البهيم ويتصور كأنه في الصبح المضيء بلّ هو في الضحك المنير وكأنما خلع الليل ثيابه بلّ لكأنما رغب عنها بلّ كأن الشمس لم تغب ولم تغرب بلّ لقد غربت ولم تلبث ان أشرقت في ربوع عبورية (١)

وفي عمرة هذه الاحداث والمشاهد لم ينس أبو تمام ان يصنوع
مشاعره الخاصة ازاء هذه المدينة التي احترقت وتهدمت وصارت
أطلالا خربة ، ان خرابها ليروق في عينيه بلّ انه يتلذذ بمشهد الكفار
وهم يعذبون فاذا نشوة الظفر يجرى رحبقها في نفسه فاذا هو يحسن
ازاءها احساسيس لذينة كاحاسيس ذى الرمه عندها كان يتذكر مية
وقد طاف بديارها فيقول :

ما ربع مية معمورا يطيبف به
غيلان أبهى ربي بن ربعها الخرب
ولا الضدود وان ادبين من خجل
أشهى الى ناظري من خدما الترب
سماجه غنيت منا العيون بها
عن كل حسن بدا او منظر عجب

وفي القصيدة الى جانب ذلك اشارات تاريخية كحالة «تيوفيل»
ملك الروم الصالح مع المعتصم عندما ادرك أنه لا قبل له بملاقاته
لن طريق دفع الجزية ثم اخفاق هذه المحاولة لان المعتصم ما خرج

(١) العصر العباسي الأول ص ٢٨٥ د شوقي ضيف .

لاخذ الجزية او جمع الاموال وانما خرج محتسبا اجره عند الله تعالى
ولم يكن هدفه هو الكسب المادى فيقول :

لما رأى الحرب رأى العين « توفلس »
والحرب مشتقة المعنى من الحرب
غدا يصرف بالاموال جريتها
فعمزة البحر ذو التيسار والمعب
هيئات زعزت الارض الوقور به
عن غزو عتسب لا غزو مكتسب
لم ينفق الذهب المربى لكثرتة
على الحصى وبه فقرر الى الذهب

ويتضح من كلام ابي تمام ان « تيوفيل » قد خاب في
مسمعاه في بذل المال لايقف الحرب فولى هاربا وهو اخرس الحجة
فقال عنه :

ولى وقد الجم الخطى منطقه
بسكته تحتها الامشياء في صخب

وبعد ان ذكر صورة تيوفيل الهارب ذكر عدد القتلى من الروم
في هذه الموقمة فقال :

تسعون الفا كآساد الشرى نصجت
جلودهم قبل نضج التمين والعنكب

ومهما يكن من شيء فقد نجح ابو تمام في تسجيل هذه الموقمة

وتصويرها تصويراً رائعاً في أطول قصيدة يكتبها شاعر لتصوير
الصراع بين العرب والروم ٠٠

أبو سعيد الثغري

هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري المروزي عامل المعتصم
على أرمينية ٠٠

وإذا كانت المراجع التاريخية قد ظلمته ولم توليه ما كان يجب
من الرعاية والحفاوة فإن أبا تمام والبحتري قد سجلا بطولاته
النادرة في حرب الروم اصديق تصوير واضفيا عليه من البطولة
والشجاعة ما هو جدير بهما ٠٠

ومن هنا يظهر فضل الادب على التاريخ فالادب مرآة صادقة
للأحداث التي كثيرا ما يغفل عنها المؤرخون ولقد كان أبو سعيد هذا
بطل الثغور دون منازع ومن ثم كان تلقيبه « بالثغري » ولقد أمضى
أيامه منذ ولاء المعتصم على أرمينية سنة ٢٢٠ هـ الى موته في خلافة
المثوكل سنة ٢٣٧ هـ بيني الحصون ويقاثل الروم (١)

وقد اعجب أبو تمام بهذا البطل وسجل معاركه مع الروم في كثير
من قصائده ومن خلالها يتبين ان أبا سعيد كان البطل العظيم في
حروب عصره وانه لم يكن كما أشار اليه المؤرخون عاملاً من العمال

(١) الحدود الإسلامية البيزنطية ٣ : ٢٨٩ د - فتحى عثمان ط
دار الكتاب العربى بالقاهرة *

على الثغور وانما كان سورا انسانيًا منيعا حصنت به الخلافة العباسية
نفسها من الروم طول سبع عشرة سنة غلب عليه لقب الثغرى
وكان لقبه من قبل المروزي (١)

وكان ابو تمام معجبا بأبي سعيد لبطولاته النادرة ، وكفاحه
المستمر ضد الروم طوال مدة حكمه وايضا لجودة وكرمه واعداقه على
الشعراء بالاموال الطائلة والجوائز السنوية .

ومن غزوات ابي سعيد المشهورة والتي سجلها أبو تمام في
شعره تلكم الغزوة التي سار فيها أبو سعيد الى بلاد الروم يقودا
جيشا عمرهما فاجتاز خليج ابيسفور وحاصر مدينة القسطنطينية
عاصمة الدولة البيزنطية ومحاولته فتحها وفرار « سنويل » قائد الروم
من جهة وقد سجل ابو تمام هذه الواقعة في قصيدته التي مطلعها :
لا اتت انت ولا الديار ديار
خف الهوى وتولت الاوطار

وتنتهيا :

خبر جلا صعدا القلوب ضياؤه
اذ لاح ان الصدق منه نهار
لولا جلاذ ابي سعيد لم يزل
للشفر صدر ما عليه صدار

(١) شعر الحرب في ادب العرب ص ١٩٥ د زكي المحاسني .

قدت الجياد كأنهن أجادل
 بقرى « درولية » لها أوكار
 حتى التوى من قسطلها على
 حيطان قسطنطينية الأعصار

ثم يصف النار التي أوقدها أبو سعيد في القرى على مقربة من
 الخليج فحمل الهواء شررها إلى البسفور وعلل رجوعه عن حصار
 القسطنطينية بأن أهلها قد كفاهم ترويه حصاراً وهم الذين تولاهم
 سلطان صولته فكان لهم بمكانة الموت من النفوس فيقول :

أوقدت من دون الخليج لاهلها
 نارا لها خلف الخبيج شرار
 الا تكن حصرت فقد اضحى لها
 من خوف قارعة المصار حصار
 فهنك نار وغي تشب وهاهنا
 جيش له لجب وثم مغاد
 خشوا لصولتك التي هي عندهم
 كالموت يأتي ليس فيه عار

ثم مثل كيف سار جيش العرب من درب لروم وكان لجبا تصيح
 منه الأرض فيسمع له صوت وكأنه خوار التيران فهضي مبكرا في
 «نهار ساريا في النيل حتى بلغ حصن « الحمة البيضاء » والخليج
 الذي هو من جسم القسطنطينية بمنزله الشعار على البندن وقرت
 جيوش الروم امامه ساكنة تختنق اتفاسها خوفا من بأسه وسطوته
 وانتقله :

ولقد فصلت من الدروب اليهم
 بعروم للارض منه خوار
 ان يبتكر ترشده أعلاه الصوى
 او يسر ليلا فالتجوم منار
 « فالحة البيضاء » ميعساداهم
 والقفل ختم والخليج شعار
 والمشي همس والنداء اشارة
 خوف انتقامك والصدية بمرار

ثم يتحدث ابو تمام بعد ذلك عن هروب « منويل » قائد الروم
 ويكائه على جيشه المهزوم فيقول :

أن لا تنل « منويل » أطراف القنا
 او تثن عنه البيض وهي حرار
 فلقد تسمى ان كل مدينة
 جبل أشم وكل حصن غار
 ان لا تفر فقد اقيمت وقصد زات
 عينك قدر الحرب كيف تفرار
 لما أتتك فلولهم امددتهم
 بسوابق العبرات وهي غزار

وفي قصيدة اخرى لابي تمام يشيد ببطولات ابي سعيد في موقعة
 من اشرس مواقع ابي سعيد واضراها وهي وقعة « عقرقس » وفي
 هذه القصيدة يصور ابو تمام ابا سعيد بأنه داهية نزلت على الروم

ويصف جنوده وعليهم الدروع السلوقية وكيف انهم يستمدبون طعم الموت ثم يذكر مواقع الروم وحصونهم التي راح ابو سعيد يفتحها الواحد بعد الاخر ، وما يقع بأهلها من التنكيل على يديه وما يقع له من المغامرات حتى وصل الى وادي « عقرقس » حيث كانت المعركة الفاصلة فاستبسل الابطال واستماتوا وصاح المسلمون صيحتهم الكبرى مستعينين بأبي سعيد استماتة الفريق .. يقول ابو تمام :

في كفة يكسون نسيج السلوقى
وتعمدو بهم كلاب سسلوق
يتساقون في الوغى كأس موت
هى موصولة بكأس الرحيق
وطئت لهامة النسواحى فلما
ان قضت حقها من «القبذوق» (١)
الهمتها الشياط حتى اذا أشـ
فت باطلاقها على «الناطوق» (٢)
شنها شزبا فلما استباحت
« بالبقار » كل سهب ونيق (٣)
سبار مستقدا الى الباس يزجى
وهجا بانسقا الى الابسيق (٤)

- (١) القيدوق : مدينة محضة من مدن الروم .
(٢) الناطوق : أرض الأناضول .
(٣) البقلاء : اسم منطقة من بلاد الروم .
(٤) الابسيق : بلدة رومية ذات حصون .

ثم ألقى على « درولية » البرك
 محلا بثمين والتوفيق (١)
 فحوى سوقها وغادر فيها
 سوق موت طمت على كل سوق
 فهبوا هاربون بين حريق النـ
 سيف صلتا بين نار الحريق
 واجدا « بالخليج » ما لم يجد قط
 « بما شان » لا ولا « بالزريق » (٢)
 وقمة زعزعت مدينة قسطنطين
 حتى ارتجت بسوق فـروق
 كم أسير من سريهم وقتيل
 رادع الثوب من دم كالخلوق
 يستغيث البطريق جهلا وهـل
 يطلب الا مبطرق البطريق ؟ (٣)
 ثم ناهضت في الفئول رجالا
 ورجالا بالضرب والتحريق
 وبوادي « عقرقس » لم تمر
 عن رسيم الى الوعى وعنيق (٤)

(١) القى البرك : أى أناخ ابله فى هذه البلدة *
 (٢) الغليج : هو خليج البسفور ، وماشان والزريق : بلدتان من بلاد الروم *
 (٣) مبطرق البطريق : هو من جملة بطريقا وهو ملك الروم وهو الرأس الذى يعلبه أبو سعيد *
 (٤) العنيق : ضرب من سير المطايا كالرسيم *

جار الدين واستغفك بك الاسـ
سلام من ذلك مستغاث الغريق

وهكذا يتتبع ابو تمام هذه الغزوة مرحلة بعد اخرى ليجعل ذلك كله في اطار نجدة الدين وتلبية لداعى السلام ثم يبين وقع هذه الانتصارات في نفوس المسلمين فيرى ان ما حل بالروم من خراب ودمار ما هو الا عيد عند المسلمين :

ان ايامك الحسنان من الرـ وملاحم الصبح حمر الغبوق
معلمت كأنها بالدم المهبـ سراق يوم التحر والتشريق

وفي قصيدة اخرى يتفنن أبو تمام في أداء المعانى التى تدل على قهر ملك الروم واذلاله وترويع بلاده حتى شبه الردى بعاشق يمشقه فهو أنى هرب فالردى يلاحقه كقوله :

ولما رأى « توفيل » رايتك اتتى
إذا ما استقامت الا يقاومها الصلب
تولى ولم يأل الردى في اتباعه
كان الردى في قصده هائم صب
كان بلاد الروم عمت بصيحة
فضمت حشاها اورغا وسطها الشيب

« ومن الاشياء الطريفة والدالة في الوقت نفسه أن شخصية أبى سعيد الثغرى كانت قد صارت معروفة لدى أبناء الشعب الورى .

لا بوصفه قائدا من قواد جيوش المسلمين بل بوصفه شخصية
أسطورية مهولة كشخصية الغول أو الجنى أو ما أشبه مما تحفل به
الحكايات الشعبية الخرافية ومن أجل ذلك كانت نساء الروم يخوفن
أطفالهن به حتى ينصاعوا لهن ويكفوا عن البكاء والى هذا أشار
البحترى في قوله :

فزعموا باسمك الصبي فمادت حركات البكاء منه سكونا (١)

وهذا البيت وحده يغنى عن قصائد مطولة في تصوير بطولة أبى
سعيد الثغرى وبنطشه في ديار الروم وحماية حدود المسلمين ..

ثم يتابع البحتري في القصيدة نفسها وصفه لمعركة «عقرقرس»
التي وصفها استاذة أبو تمام من قبل فيصور اذلال أبى سعيد لك
الروم ويذكر انهم ليسوا بتاجين منه ولو اعتصموا بالنجوم فيقول :

ربما وقعة شهلت بها الروم فباتوا اذلة خاضمين
قد أمنا أن يأتوك على حال ولو صبروا النجوم حصونا

ثم يصف خيول أبى سعيد فيذكر انها خيول عبوسية في يوم
عبوس وأنها تجوس ديار الروم وعليهن الدارعون وقد اهزلهن طول
السير واضبرهن السفر فأصبحت خفافا ضامرات كوعول الجبال ..
ولكن النوع لها قرون ٠ وهذه الخيول لا قرون لها الا الرماح الطويلة
في ايدي الفرسان فيقول :

(١) في الشعر العباسي د٠ عز الدين اسماعيل ص ١٤٩ ٠

وتواخت خيلك من أرض
 (طرسوس وقلاقيلا بأروندوتا)
 عباسات يحملن يوما عبوسا
 لاناس عن خطبه غافلينا
 زرن بالدارعين أرض (البقار)
 فاجلوا عن (صاعري) صاعرينا
 قد طواهن طيهن الغيساني
 واكتسينا التوجيف حتى عمينا
 كوعول الهضاب رحن وما يمكن
 الا صم الرماح قسرونا

والبحترى كآبى تمام في رؤيته لهذه الحروب وما تحدثه
 انتصارات المسلمين في نفسه من البهجة والسرور . ان ينظر دماء
 الاعداء يطربه .. وخراب بلادهم ينعشه تماما كما فعل ابو تمام في
 وصفه خراب عمورية واثرها في نفسه .

وان كلا منهما ينطلق من واقع ايمانه بالله وحبه للاسلام ..
 فخراب الروم في نظر كل منهما انهزام للكفر .. وارتفاع لكلية الله
 ومن هذا المنطلق نجد البحترى يطرب لمنظر الدم وهذا يصور لنا
 المغزى الدينى لهذه الحروب والابيات التالية التى يتحدث فيها
 البحترى عن ابي سعيد توضح ذلك يقول :

همه في غد بتلغيسى هام في قرى (المازرونا، المازرونا)
 ولعمري ما ماء زمزم احلى عنده من دم (بزارمينا)
 غير وان في طاعة الله حتى يطمئن الاسلام في (طيينا)

وفي البيت الثاني يبرز بشكل ملموس تأثر البحتري بموقف أبي تمام أراء مواطن القبح والبشاعة ومواطن الصنن والجمال حيث يفضل الأولى على الثانية ويرأها أجمل في نفسه إذ كانت صورة لما حل بالروم الكفرة من خراب وتكبر وتفضيل أبي تمام منظر عمسورية المخربة على الربع العابر الاتيق ما تزال قريبة من أذهاننا والبحتري هنا يرى دم الروم المسفوك بسيف المسلمين أكثر ارواء لتمطش أبي سعيد الروحي لنصرة الاسلام من ماء زمزم ليدنه (1) .

وعلى الرغم من البطولة الفائقة التي أظهرها أبو سعيد في حرب الروم ٠٠ فقد عزل من منصبه زمن المتوكل على الله وصودرت أملاكه ٠٠ وذلك أن حساده قد نعموا عليه من المجد الذي حققه ومن الشهرة التي نالها ٠٠ فوشوا به عند المتوكل متهمين إياه بأخذ أموال الثغور ٠٠ وربما كان مدح أبي تمام والبحتري له من الأسباب التي جعلت المتوكل ينقم عليه . فقد اضيفا عيسىه من البطولة والشجاعة ما لم يحظ بمثله الخليفة نفسه ولذا فقد خلع وعذب وصودرت أمواله ٠٠ وما كان ينبغي أن تكون هذه نهاية بطل مسوار حمى ثغور المسلمين طوال سبعة عشر عاماً فروع الروم ، واقض مضاجعهم ٠٠ وجملهم يرتجفون من ذكر اسمه ولقد سكت المؤرخون عن تسجيل بطولته ٠٠ ولم يملوه من التقدير والاحترام ما هو جدير بهما ولم يتحدثوا عن نكبته الا في كلمات مقتضبة لا تشفى غليل الباحثين ٠٠

وحين سكت التاريخ تكلم الشعر فسجل كل ما يدور حوله

(١) في الشعر العباسي من ١٤٩ .

أحداث ولذا يقول البحتري عنه بعد أن عزلَ وسلم إلى أعدائه لينكروا
به ويصلاوه :

هذا ابن يوسف في يدي أعدائه يجزى على الأيام بالأيام
ناست بنو العباس عنه ولم تكن عنه أهية لو رعت بنيام

ثم يتحسر على ما صار إليه أمر البطل الذي دوخ بلاد الروم واذل
رجالهم فيقول :

صرفوك عن حرب الثغور بقدر ما عرفوك يابن محمد بسواكا
والروم تعلم أن سيفك لم يزل حتفا نصيد ملوكها وهلاك
لن يأخذ الحساد مجسداك بالمضى انه أعطك الذي أعطساكا

ويبدو أنه بعد مصادرتة وتعذيبه قد عاد إلى أرمينية وفيها
أمنه وبنيه مؤثرا إلا بتعدد عن دار الخلافة حيث الحاشية الفاسدة
والقواد الكاشحين فبات بعيدا في أرمينية حيث لا يزار ولا يلم به انيس
في قبر اذا مر به الابطال ذكروا بطولته صاحبه فكسروا فوقه رماحهم
وشققوا عليه الرايات ..

وقد استراح الروم من حروبه فانهرا ملء جفونهم بهمسد أن
ايقتطهم سيوفه طوال سبعة عشر عاما قضاها واليا على أرمينية
وحارسا لحدود المسلمين فيقول البحتري :

ليهنا الروم استراحتهم فقسد هدهوا بأفواه الدراب وناموا
امنوا وما أمنوا الردى حتى انطوى في الترب ذاك الكر والاعتماد
يا صاحب الجدث المقيم بمنسزل ما للانيس بحجرتيه مقسام
قبر تكسر فوقه سر القنسا من لوعة وتشسقق الاعلام

وهكذا تنتهي حياة بطل همام .. وأسد من أسود الله وهب نفسه
للدفاع عن بلاد المسلمين .. فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء ..

ويبدو أن المتوكل قد ندم على فتكه بأبي سسييد .. فولى
ابنه يوسف خلفا له على أرمينية .

وكان بطلا مغوارا كأبيه ، وقد سكتت المراجع التاريخية عن
دوره في حرب الروم سواء مع أبيه أو في زمن ولايته ولكن الباحثرى قد
سجل بطولاته كما سجل بطولات ابيه من قبل فيذكر في احدى قصائده
أنه توغل في بلاد الروم حتى بلغ « مجمع البحرين » اى خليج البسفور
مارا بعدد من مواقع الروم الحصينة فيقول :

اظالمة العينين مظلومة الحشا	ضعيفته كفى الخيال المورقا
ولا وصل حتى تقضى الحرب أمرها	بمفترق او فضل عبر فيلتقى
وبما هو الا يوسف بن محمد	وأعداؤه والموت غربا ومشرقا
ومبارضه المستمطر الجود انه	تجههم فوق «الناطوق» فاطرقا
وأضعف « بالقبارقين » سجاله	وارعد «بالاسيق» شهرا فأبرقا
فحسرق ما بين الدروب اتيه	الى مجمع البحرين حتى تحرقا
وبرد خريف قد لبسنا جديده	فلم تنصرف حتى تزعناه بخلقا
وبدرين افضسناهما بعد ثالث	أكلناه بالايحاف حتى تمحقا

الى ان يقول عن يوسف :

حوى كل ما دون الخليج ولم يدع
فؤادا بما دون الخليج معلقا

وفي عهد يوسف هذا اضطرب أمر أرمينيد وشغب عليه النصراني
بزعامة كبير البطارقة « بقراط بن آشوط » الذي طلب الإمارة لنفسه
فحاربه يوسف وانتصر عليه وأخذه مكبلا بالأغلال وساقه إلى دار
الخلافة حيث أسلم بين يدي الخليفة المتوكل هو وابنه ٠٠

والى هذه الواقعة يشير البحتري في قوله :

إذا خرس الإبطال في حمس الوعى
علت فوق أصوات الحديد زماجره
ولا عز لثأرك من بعد ما التقت
على السفح من عليا «طرون» عساكره
وما كان يقراط بن آشوط عنده
بأول عبد أسلمته جسرأثره
وقد شاغب الإسلام خمسين حجة
فلا خوف ناهيه ولا العام زاجره
ولما التقى الجمعان لم تجتمع له
يداه ولم يثبت على الخوف ناظره

ثم وصف البطريق وقد سبق قلبا بالحديد فقال :

تصنه ثقل الحديد واحكمت
خلائله من صوغه وأساوره
ولم يبق «بطريق» له مثل جرمه
«بأران» إلا عازب تلب طائره (١)

(١) لم يكن البطريق عند البيزنطيين رجل دين فحسب بل كان قائدا حربيا كذلك ٠٠

كسرتهمو كسر الزجاجية بعده
 ومن يجبر الكسر الذى أنت كاسره؟
 وقد علم العاصي وان أمعتت به
 جعلته في الارض أنك زائره
 حسام وعزم كالصمام وجحفل
 شدداد قواه محكمات مراثره

وهكذا استمرت هذه الحروب المتبادلة بين العرب والروم
 غزوة من هنا تخرب وتقتل وتأسر وتأخذ الغنائم .. وأخرى من هناك
 تصنع نفس الصنع .. ولكن فيما بين الغزوات كانت هناك فترات
 راحة يلتقاط الإنفاس حيث كانت تتم فيها عمليات تبادل الاسرى
 بين الطرفين المتحاربين كما كان يقوم نوع من التبادل التجارى بين
 الدولتين الكبيرتين في فترات الهدنة ..

وكان الشعر دائما هو السجل الخالد لهذه الحروب فكان وثيقة
 من وثائق العصر ولولاه لما عرفنا الا القليل عن هذا الصراع .

وقد ارتبط هذا الصراع بأكثر شعراء العصر العباسي فظهرت
 آثاره في كثير من اشعارهم ، فلم يكونوا .. بعزل عن هذا الصراع
 الكبير الذى تحشد الدولة له كلما سعت لها الفرصة واستعفتها
 الظروف فقد كان صراعا بين أقوى دولتين في الشرق كما كان صراعا
 بين حضارتين وان اصطبغ بصبغة دينية .

إفصل الرابع

١ - الصراع بين العباسيين والملويين

٢ - التاريخ السياسي للصراع :

يرجع نسب العباسيين والملويين الى هاشم بن عبد مناف . .
فالعباسيون ينتسبون الى العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم
الذي صلى الله عليه وسلم والملويون يرجع نسبهم الى علي بن ابي
طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عم النبي صلى الله عليه وسلم
فكلا البيتين وثيق الصلة بالنبوة .

ومن ثم لم ينشأ أي خلاف بين البيتين طوال العصر الراشدي
والاموي . . فالعباس بن عبد المطلب كان من المرشدين لعلي بالخلافة
بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى . . وابنه
عبد الله بن عباس كان من المؤازرين لعلي رضي الله عنه بعد أن تولى
الخلافة وقد اتبرى للخوارج بعد أن انشقوا عليه بفند آراءهم ويبطل
حججهم . .

ولم يكن يدور يخلد احد من المسلمين في العصر الاموي أن البيت
العباسي سوف ينافس الملويين في طلب الخلافة أو الاستئثار بها
دونهم ذلك لان الصراع كان على اشده في العصر الاموي بين الملويين
خاصة وبين بنى أمية .

ويشهد تاريخ الملويين صراعا دمويا مع بنى أمية فقد استشهد
على بعد صراع طويل مع معاوية واستشهد الحسين في عهد يزيد
ابن معاوية .

وفي سنة ٦٥ هـ قلمت حركة التوابين للأخذ بتأره في خلافة عبد الملك بن مروان وخرج زيد بن علي بن الحسين يطالب بالخلافة في زمن هشام بن عبد الملك فقتلوه وصلبوه وأحرقوا جثته وقد لقي ابنه يحيى ما لقي أبوه من القتل والصلب والتحريق .

أما العباسيون فقد استغلوا قرايتهم لأهلويين استغلالاً ذكياً فقد غلّفوا دعوتهم بالغبوض وراحوا يدعون للرضا من آل محمد دون أن يحددوا اسمه وهذا ما دفع الكثيرين من المسلمين للانضمام للثورة العباسية على أساس أن الإمام من أولاد علي فلما نجحت الثورة واستتب الأمر لبني العباس نقم العلويون عليهم ونافسوهم في طلب الخلافة فكان هذا بداية الصراع بين العلويين والعباسيين : الأهلون يدلون بجدهم علي بن أبي طالب ابن عم النبي وزوج ابنته فاطمة والآخرون يدلون بجدهم العباس عم النبي صني الله عليه وسلم واحتدم القتال بينهم سرا وجهراً ورأى العلويون أن نار بني أمية كانت جنة إذا قيست بنار العباسيين ولذا يقول شاعرهم :

باليث جور بني مروان عاد لنا باليث عدل بني العباس في النار (١)

وروى أبو الفرج أن أبا عبد المطلب الشاعر الأموي قال في بداية انصر العباسي قصيدة في رثاء بني أمية جاء فيها :

تقول أمية لما رأته نشوزي عن المضجع الأنفس
وقلة نومي على مضجعي لدى هجمة لاعين النفس
أبي ! ما عراكه ؟ فقلت الهموم منهن أباك فسلا تلبس

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٢٨٢ .

وقد قصد هذا الشاعر عبد الله والحسن ابنا الحسين - الامام بن العلويان - فاستنشداه هذه القصيدة فأنشدها فنها اثنى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن فقال له غيره الحسن بن حسن : اتبسكى على بنى أمية ؟ فقال والله يا عم : لقد كنا نقيمنا على بنى أمية ما نقيمنا فما ينو العباس الا أقل خوفا لله منهم وان الحجة على بنى العباس لاوجب ماها عليهم ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم ليست لابي جعفر فأعطوا أبا عدى ما لا كثيرا (١) .

ومعنى هذا ان العلويين لم يسعدهم قيام الدولة العباسية ونم يهناؤا بالعيش في ظلالها . . . وانما لاقوا من العنت والضف على يد بنى عمهم أكثر مما لاقوه على يد بنى أمية .

ولقد كانت حجة العلويين على بنى أمية هي القرابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء العباسيون ينازعونهم هذه القرابة بل وزعموا أنهم أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم لانهم ينتسبون الى العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام والعلويون ينتسبون الى علي بن ابي طالب ابن عم النبي والعم أقرب من ابن العم في النسب . . .

وكان العباسيون يركزون على هذه القرابة في جميع المناسبات فعندما بويع أبو العباس السفاح بالخلافة صعد المنبر وقال : الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه فكريمه وشرفه وعظمه واختاره

لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام بد ، والذابين عنه،
والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا.
يرحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربته ، وأنشأنا من آياته،
وانبتنا من شجرته ، واشتقنا من نبعته ، جعله من أنفسنا عزيزا
عليه ما عنتنا حريصا علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ووضعنا من
الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذاك على أهل الاسلام كتابا
يتلى عليه فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن « إنما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (١) » .

وقال : قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى .

وقال : « وانذر عشيرتک الاقربین » وقال : ما افاء الله على
رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذی القربى واليتامى « وقال :
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذی القربى
واليتامى » .

فاعلمهم جل ثناؤه فضلنا ووجب عليهم حقنا ومودتنا ، واحزل
من الفىء والغنيمة نصيبنا تكربة لنا ، وفضلا علينا ، والله ذو الفضل
المعظم (٢) .

ولما ولي داود بن عان الحجاز من قبل السفاح قام فخطب
كقائل : « أتزعم الضلال - خنثت أعمالهم - ان غير آل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أولى بثرائه ؟ ولم ؟ ربح معاشر الناس ؟ الكم

(١) تاريخ الطبرى ٩ : ١٢٦ .

(٢) تاريخ يعقوبى ٢ : ٤٢٢ .

الفضل بالصحية دون القرابية ؟ الشركاء في النسب ، واليرثه
للسلب .

لم ير مثل العباس بن عبد المطلب ، اجتمعت له الامة بواجب
حق الحرمة ابو رسول الله بعد أبيه وجلدة ما بين عينيه يوم خيبر
لا يرد له امرا ، ولا يعصي له قسما (١) .

وناقش المأمون يوما على بن موسى الرضا فسأله بم تدعون
هذا الامر ؟ قال : بقراية على من النبي صلى الله عليه وسلم وبقراية
فاطمة رضي الله تعالى عنها فقل المأمون : ان ثم يكن هناك شيء
الا القرابية ففي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بن أهل بيته
من هو أقرب اليه من علي ومن هو في القرابية بهنله وان كان بقراية
فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمة
للحسن والحسين وليس لعلي في هذا الامر حق وهما حيان ، واذا كان
الامر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا بهما حيان واستولى على
ما لا يجب له فيها احار على بن موسى نطقا (٢) .

واذا كان العلويون يدعون ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد
بشر بدولتهم وان جدهم علي بن ابي طالب هو الوصي الذي قال عنه
النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ..

اقول اذا كان العلويون يدعون ذلك فان العباسيين يزعمون مثل
هذه الدعوى فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعنه

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٢٢ .

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٢ : ١٤١ .

المعبس : انها تكون في ولدك ، وانه حين اتاه بابنه عبد الله أنن في
أذنه وتفل في فيه وقال : اللهم فقه في الدين وعلية التأويل ثم دفعه
الى ابيه وقال له : خذ اليك ابا الاملاك (١) *

ومهما يكن من أمر فقد استتب الامر لبني المعباس وتربعوا على
عرش الخلافة بعد ان تخلصوا من الامويين وقضوا عليهم قضاء
ميرما ٠٠ أما العلويون فقد سكتوا على مضض حتى اذا تولى أبو
جعفر المنصور الخلافة خرج عليه رجل من البيت العلوي من فرج
الحسن بن علي بن ابي طالب هو محمد بن عبد الله الذي كان يلقب
بالنفس الزكية وقد كان يرى نفسه أحق بالخلافة من العباسيين ولذا
فقد امتنع عن مبايعة ابي المعباس السفاح كما امتنع عن مبايعة
المنصور من بعده **

ولما ضاق به المنصور ذرعا طلبه في المدينة ولكنه اختفى غامر
بكل ما كان بالمدينة من ابناء الحسن فحسبها بها ثم حملهم الى العراق
وأذاقهم صنوف العذاب فظهر النفس الزكية بالمدينة وأخذ لنفسه
البيعة من اهله لانهم كانوا يجارونه ويقدرونه ويرونه افضل من
المنصور *

واثر ذلك قابت بين الطرفين مكاتبات غاية في الجودة البلاغة
وهي تعد من أعلى درجات أدب الحوار ، كما تعد في الوقت نفسه
وثيقة تاريخية على درجة كبيرة من الاهمية والخطورة *

(١) الفخرى في الآداب السلطانية ١٨٨ *

كتب المنصور الى النفس الزكية لما علم بخروجه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله اما بعدنا
« اما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يندفوا
من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا
الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم» (١)

ولك عهد الله ونهته وميثاقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم ان
تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤينك عني نفسك وولدك وأخوتك
ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وأن اعطيتك ألف الف درهم
وانزلك من البلاد حيث شئت وإن أقضي لك ما شئت من الحاجات وأن
أطلقك في سجنى من أهل بيتك وشيعتك وانصارك ثم لا أتتبع
أحدا منكم بركوه فإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجه الى من يأخذك
من الميثاق والمهد والامن ما أحببت والسلام (٢) .

فأجابه النفس الزكية بكتاب شارحا وجهة نظره ويوقفه من
الخلافة وأحقيته وأهل بيته فيها دون سواهم . قال :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين
لانى عبد الله بن محمد أما بعد « طسم : تلك آيات الكتاب المبين تنزل

(١) سورة المائدة ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) الكامل للبرد ٤ : ١١٤ .

عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علماً في الارض وجعل أهلها شيها يستضعف طائفة منهم يذبح ابنائهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين وفريد ان تمن على الذين استضعفوا في الارض وتجلهم ائمه وتجعلهم الوارثين وتمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» (١)

وأنا اعرض عليك من الامان بمثل الذي اعطينى وقد تعلم ان الحق حقنا ، وانكم انما طلبتموه بتنا ونهضتم فيه بشسيعتنا وخبطتموه (٢) بفضلنا وأن ابنا عليا عليه السلام كان الوصي والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن احياء وقد علمت انه ليس احد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وانا بنو ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة في الاسلام من بينكم فانا اوسط بنى هاشم نسباً وخيرهم أما وانا لم تلدنى العجم ولم تعسرنى في امهات الاولاد ، وان الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين افضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه اقدسهم اسلاماً وأوسعهم علماً وأكثرهم جهاداً على بن ابي طالب ومن نسائه افضلهن : خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى الى القبلة ومن بناته افضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ثم قد علمت أن هاشمياً

(١) سورة القصص من ١ : ٥ .

(٢) خبطتموه : من الخبط وهو ضرب الشجر بعصا ليتناثر ورقه فتطمسه الدواب ، يريد : جاهداً فيه حتى جنوا ثماره .

ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدي الحسن والحسين. فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في النار فولدني ارفع التسلسل درجة في الجنة وأهون أهل النار عذابا فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت في بيعتي ان أومنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله ؟ وحقا مسلم او معاهد فقد عثمت ما ينرمك في ذلك .. فأنا اوفي للعهد منك وأخرى لقبول الامان فأما املاك الذي عرضت على فأي الامانات هذه : امان ابن هبيرة ؟ أم امان عمك عبيد الله ابن لعي ؟ أم امان ابي مسلم ؟ والسلام .

ويتضح من هذا الكتاب ان النفس الزكية يقيم برهانه على الدعائم الآتية :

- ١ - ان العلويين واتباعهم هم أصحاب الفضل الاول في نجاح الثورة ، وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيقتنا ، وجعلتموه بفضلتنا ..
- ٢ - ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصي بالخلافة لعلي وأن ابتاعه أحق بميراثه ما داموا احياء .. وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصي والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن احياء ؟
- ٣ - ان محمد بن عبد الله النفس الزكية - أفضل من ابي جعفر المنصور حسبا ونسبا وبهتدا ..

٤ - ان ابا جعفر المنصور لا امان له ولا خلاق اذا أنه غدر بابن هبيرة والى الامويين على العراق بعد ان كان قد امنه وقربه من نفسه كما غدر بجمعة عبد الله بن علي الذي كان قد طلب الامر لنفسه في الشام وكذلك غدر بأبي مسلم الخراساني القائد الاعلى لجيوش الثورة العباسية .

وقد رد عليه المنصور بالكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد ابن عبد الله .

اما بعد : فقد أتاني كتابك ، وبلغني كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجنة والفوحاء ، ولم يجعل الله النسب كالمهومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء ، ولقد جعل العم ابا وبدأ به على الوالد الاذنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه الصلاة والسلام « راتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ولقد علمت ان الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعسة فأجابه اثنان احدهما ابي وكفر به اثنان احدهما أبوك ، فأما ما ذكرت من النساء وقربتهن فلو اعطين على قرب الانساب وحق الاحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه ، فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد ام عني بن ابي طالب ، وفاطمة أم الحسن وإن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم ثم يله هاشم الا مرة واحدة ، ولم يله عبد المطلب الا مرة واحدة ، وأما ما ذكرت من انك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل ابي ذلك فقال « ما كان محمد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله

«وخاتم التبیین» ولكنکم بنو ابنته ، لقرابة قریبة غیر انها لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف توارث الامامة من قبها ؟ وقد طالب بها أبوک بكل وجه فأخرجها تخاصما ومرضها سرا ، ودفنها ليلاً فأبى الناس الا تقديم الشيخين ، ولقد حضر أبوک وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ، ثم أخذ الناس رجلاً رجلاً فلم يأخذوا أبک فيهم ثم كان في اصحاب الشورى فكل دفعه عنهم بايع عبد الرحمن عثمان وقبها عثمان وحارب أبک طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابہ دونه ثم بايع معاوية بمسده .. وأفضى أمر جدک الى أبیک الحسن فسلبه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يد شيمته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير اهله وأخذ ما لا من غير حله فان كان لکم شيء فقد بعتموه ، فأما قولک ان الله اختارک في الکفر فجعل أبک أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ولا من عذاب الله هين » .

ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترده فتعلم « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وأما قولک أنك لم تلدک العجم ولم تعرق فيک أمهات الاولاد وأنک أوسط بنى هاشم نسباً وخيرهم أما وایا فقد رأيتک فخرت على بنى هاشم طراً وقدمت نفسك على من هو خير منك اولاً وآخراً واصلاً وفضلاً كخرت على ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ولده ، فانظر ويحك أين تكون من الله غداً وما ولد فيکم مولود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من على بن الحسين وهو لام ولد .

ولقد كان أخیر من جدک حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على

خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر خير منك ولقد علمت أن
جداك عليا حكم حكيم واعطاهما عهد الله وميثاقه على المرضا بما
حكيا به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين على بن مرجانة ز
فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتب
بغير أو طيه - كالكسبي المجلوب - الى الشام ثم خرج منكم غير
واحد فقتلنكم بنو امية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جزوع النخل
ثم جرحنا عليهم فادركنا بثأركم ان لم تدركوه ورفعنا اقسدا راكم
وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد ان كانوا يلعبسون أبك في أدبار
الصلوات المكتوبة كما تلعن الكفرة فمغنقناهم وكفرناهم وبيننا فضله
واشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت اننا لما ذكرنا من فضل
على أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل أوتك بضوا سألين
مسلمنا منهم وابتلى أبوك بالدعاء *

ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم ذولاية
زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها أبوك الى عمر فقضي
لنا عمر وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في عمومته احد
حتى الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب وطلب الخلافة ثير
واحد بن بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس انه اب رسول
الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنو القادة والخافاء فقد
ذهب بفضل القديم والحديث ، ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها
لمات عمك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتية وشيبة فذهب

(١) ابن مرجانة : هو عبيد الله بن زياد *

عنهما العار والشنار ، ولقد جاء الاسلام والعباسيون ابنا طالب
 للأزمة التي اصابتهم ، ثم فدى عقيل يوم بدر فقد علمناكم في
 الكفر وقديناكم من الاسر وورثنا دوتكم خاتم الانبياء وحرنا شرف
 الآباء وادركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا
 انفسكم والسلام (١) .

ويتطبع ان تستخلص من هذا الكتاب الادلة التي اعتمد عليها
 بنو العباس في احقيتهم بالخلافة وهي :

أولا : انهم أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأن العم مقدم
 في الجراث على ابن العم وعلى أبناء البنات .. والامامة لا تورث من
 قبل البنات وإنما تورث من قبل الاعمام ومن ثم فهم اولى بهذا
 الامر من العلويين .

٢ - ان التاريخ السياسي للعلويين أثبت فشلتهم الذريع في
 الحصول على الخلافة .. وذلك أن شيعتهم في كل مرة كانوا يفضون
 من حولهم ويسلمونهم الى بنى أمية حيث القتل والصلب والاحراق ..
 ولم يصعد امام بنى أمية ويهزمهم في كل ميدان الا العباسيون ومن
 ثم فهم اولى من العلويين لانهم امهر منهم في شئون السياسة
 وقيادة الامة .

٣ - ان العباسيين انتقموا من بنى أمية الذين نكلوا بالعلويين

وانهم بذلك أصحاب الفضل على العلويين لانهم أخذوا بثأرهم من أعدائهم واعدوا لهم مكائدهم التي اهدرها بنو أمية ومن ثم فهم أحق بالامر منهم .

وقد انتهى هذا الجدل الى الحرب المسلحة بين الطرفين حيث جهز ابو جعفر جيشا بقيادة عيسى بن موسى ارسله الى المدينة فدهمها وقتل محمد بن عبد الله النفس الزكية . وارسل راسه الى المنصورة سنة ١٤٥ هـ .

ثم خرج اخوه ابراهيم بن عبد الله ومضي الى البصرة وظهر امره هناك وكثرت جموعه وانضم اليه كثير من الزيدية والمعتزلة فأرسل اليه عيسى بن موسى ايضا فكانت الغلبة لمسكر المنصور كذلك وقتل ابراهيم في قرية قريبة من الكوفة وقتل معه في مسننه الممرك كثير من البيت العلوي وقبض على عدد عديد منهم حبسهم المنصور في سراديب على شاطئ الفرات بالقرب من الكوفة لا يصل اليهم ضوء حتى ماتوا « (١) »

ويبدو ان وقع هذه الامداث كان ثقيلًا على المنصور فخشي ان تحدث بسببها فتنة بين اشباع بيته من الخراسانيين وغيرهم فاضطر الى أن يجمع جمعاً منهم وأن يلقي فيهم خطبة يبرر لهم فيها ما حدث .

(١) ضحى الاسلام أحمد أمين ص ٣ : ٢٨٩ .

فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم صلى على النبي -
صلى الله عليه وسلم - ثم قال :

« يا اهل خراسان : أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا وليسوا
بإيعتكم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد
علي بن ابي طالب تركناهم والله الذي لا اله الا هو والخلافة فلم
تعرض لهم فيها بقليل ولا كثير فقام فيها علي بن ابي طالب فتنازع
وحكم عليه الحكماء فافتقرت عنه الامة واختلفت عليه الكلمة ثم وثب
عليه شيعته وأتصاره وأصحابه ويطانته وثقاته فقتلوه ثم قام من
بعده الحسن بن علي فوالله ما كان فيها برجل قد عرضت عليه
الإموال فقبلها فدىس اليه معاوية انى اجعلك ولى عهدي من بعدى
فخدعه فانسلخ له مما كان فيه وسلمه اليه فأقبل على النساء يتزوج
في كل يوم واحدة فيطلقها غدا فلم يزل علي ذلك حتى مات علي
فراشه . ثم قام من بعده الحسين بن علي فخدعه اهل العراق وأهل
الكوفة اهل الشقاق والتفاق والاعراق في الفتنة اهل هذه المدة السوداء
- وأشار الى الكوفة - فوالله ما هى بحرب فأحاربيها ، ولا سلم
فاسألها فرق الله بينى وبينها فخذلوه ، وأسلموه ، حتى قتل ثم
قام من بعده زيد بن علي فخدعه اهل الكوفة وغروه فلمسا اخرجوه
واظهروه أسلموه . ثم وثب علينا بنو أمية فأباتوا شرفنا وأذهبوا
عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله الا
فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم فنفرنا من البلاد فصرنا مرة
بالطائف ومرة بالشام ومرة بالشرقة حتى ابتعثكم الله لنا شيعه
وأنصارا فأحيا شرفنا وأظهر حقنا وأصار اليتنا هيراثنا عن نبيينا

صلى الله عليه وسلم فقرر الحق مقره واظهر متارة واعز انصـاره
وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلما استقرت
الامور فينا على قرارها من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا ، وثبوا
علينا ، ظلما ، وحسدا ، منهم لنا ، وبغيا لما فضلنا الله به عليهم
واكرمنا به من خلافته وميراث نبيه - صلى الله عليه وسلم -

جهلا على وجبنا من عدوهم

فيكست الخلتان الجبن والجهل

كانى والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الامر ما أتيت بجهالة
بلغنى عنهم بعض النقم والتعرم ، وقد درست لهم رجلا فقلت :
قم يا فلان قم يا فلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالا يعاون
عليه فخرجوا حتى اتوهم بالبديثة فسدوا اليهم تلك الاموال فوالله
ما بقى منهم شيخ وشاب ولا صغير ولا كبير الا بايعهم بيعة استحللت
بها دماءهم واموالهم وحلت لى عندك بنقضهم بيعتى وطلبهم
الفتنة والتماسهم الخروج على فلا يرون انى ابيت ذلك على غير يقين
ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية : « وحيل بينهم وبين
ما يشتهون كما فعل بأشسيعاهم من قبل انهم كانوا في شك
مريب » (١)

وواضح ان المنصور هنا يركز على فشل العلويين في كل
محاولاتهم التى قاموا بها لطلب الخلافة في العصر الاموى ٠٠ ولنا

(١) تاريخ الطبرى ٩ : ١٣٢ .

فهم لا يصلحون للحكم لهذا الامر وهذا هو السر في حسد العلويين لهم
ونقمتهم عليهم كما ان المنصور يخشي الخراسانيين من جراء
الفظائع التي ارتكبها في حق البيت العلوي .. فهو يسترضيهم
ويبرر امامهم اخطاه حتى لا يفلت الزمام من يده وبخاصة ان الدولة
العباسية كانت ما تزال في بداية عهدها ..

وبهذا الوضع اصبحت حجة العلويين على العباسيين اضعف
من حجتهم على بنى امية لاشترك الجميع في القربى من رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وهي الاساس الذي يبنون عليه
احقيتهم في الخلافة . ولم ينته الصراع العلوي العباسي بقضاء
المنصور على الفرع الحسنى من العلويين في المدينة بل استمر هذا
النزاع بين الطائفتين مقبة طويلة من العصر العباسي ..

ففي عهد الهادي خرج العلويون في المدينة بزعامة الحسين بن
علي بن الحسن والتف حوله العلويون وغيرهم من شيعتهم . وفي
الطريق بين مكة والمدينة التقى بجيش العباسيين عند وادي «فخ»
على بعد اميال من مكة وكانت معركة عسيرة قتل فيها الحسين وكثير
من أهل بيته وكانت هذه المعركة من الشدة على العلويين بحيث قيل
« لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأقبح من فخ وقد كثر شمر
الشيعية في رثاء قتلهم ومن ذلك قول أحدهم :

فلأبكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي

واروه ليس بذى كفسن

تركوا بفخ غدوة
 في غير منزلة انوطن
 كانوا كرابا هيحبوا
 لا طاشين ولا جين
 غسلوا المذلة عنهمو
 غسل الثياب من الصدر
 هدى العباد بجدهم
 فلهم على الله المنن (١)

« وقد اتبع لاثنين من الماويين الفرار من مذبة « فخ » هما
 ادريس ابن عبد الله بن الحسن واخوه يحيى ٠٠ اما ادريس فقصد
 فر الى مصر ومنها الى بلاد المغرب الاقصى فانتف حوله البربر وظهر
 فيهم امره ولم يكن للرشييد - الذي كان قد ولى الخلافة بعد الهادي
 - طاقة بتوجيه الجيوش اليه في تلك الاصقاع السائية فدبر له من
 احتال له ويدس له اسم وهكذا مات ادريس غدرا في سنة ١٧٧هـ وحين
 وضعت امه له ولد اسماء اتباعه باسم ابيه وبابوه وبهذا نشأت
 دولة الارسة في بلاد المغرب ٠

اما اخوه يحيى فانه فر الى بلاد الديلم واخذ لنفسه البيعة من
 أهلها لاقتناعهم بأحقية بها وظهر امره على نحو ازعج الرشيد
 فسير اليه جيشا ضخما بقيادة الفضل بن يحيى البرمكي واستطاع
 الفضل بدهائه ان يستميل يحيى العلوي الى الصلح وأن يأخذ له

(١) تاريخ الاسلام السياسي ٢ : ١٣٩ د حسن ابراهيم حسن ٠

عهد امان بن الرشيد واستقبله الرشيد بحفاوة وكرم منزله ، ولكنه ما لبث ان حبسه بسعاية من بعض اعداء العلويين « (١) »

وفي عهد الامين لم يحدث خروج عليه من العلويين نظرا لانشغاله بالتهو والمجون ، ثم تفرغه لامر الحرب التي دارت رحاها بينه وبين اخيه المأمون والتي انتهت بوفاته ..

اما المأمون .. الذي آلت اليه الخلافة بعد الامين فقد كان يعطف على العلويين ومن ثم فقد فكر في نقل الخلافة من البيت العباس الى البيت العلوي حتى تستقر اوضاع الدولة ويتعاون الطرفان في مصلحة المسلمين وتقدمهم ..

ولذا فقد رشح من العلويين على بن موسى الرضا ليكون خليفة للمسلمين من بعده بمشورة وزيره الفضل ابن سهل الذي كان يفتشع للعلويين فبايع الناس لعلو بن موسى من بعد المأمون وسمى الرضا من آل محمد وأمر المأمون الناس بخلع لباس السواد ولبس الخضرة شعائر العلويين وكان ذلك في خراسان فلما سمع العباسيون في بغداد بهذا الأمر انكروا ذلك وخلعوا المأمون من الخلافة وبايعوا عمه ابراهيم من المهدي (٢) .

ولكن شاءت الاقدار ان يموت على الرضا قبل المأمون فعمادت الامور سيرتها الاولى ..

(١) في الشعر العباسي ٥٠ د٠ عز الدين اسماعيل .

(٢) الفخرى في الآداب السلطانية ٢٦٠ .

هذا وقد ظلّ المؤمن يعطف على العلويين حتى بعد وفاة علي
الرضا وكان ما أوصي به الممتصم قوله : وهؤلاء بنو عمك ائمة
المؤمنين علي بن أبي طالب فأحسن صحبتهم وتجاوز عن سيئتهم
واقبل من محبتهم وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محابها
فان حقوقهم تجب من وجوه شتى (١)

وهناك اسباب دعت المؤمن - دون غيره - الى العطف على
العلويين والحذب عليهم منها :

١ - انه كان معتزليا على مذهب معتزلة بغداد وهم يرون ان عليا
اولى الصحابة بالخلافة من أبي بكر وعمر وسائر الصحابة وذريته من
بعده احق من غيرهم .

٢٢ - انه كان تحت تأثير الفضل بن سهل والحسن بن سهل وهما
فارسيان - والفرس يجرى في عروقهم التشيع - فمزّالا بالمؤمن
حتى اوصي بها لاحد العلويين .

٣ - انه استعرض الفتن التي قامت من عهد علي الى يومه فرأها
فتنا مضعفة للدولة مفرقة للكافة فرأى ان يفتح السبيل امام البيتين
الغوى والعباسي ليتولى الخلافة أفضلهما .

٤ - انه رأى ان عدم تولي العلويين للخلافة يكسب ائمتهم شيئا
من التقديس فاذا رأوا الحكم ظهورا للناس وبان خطوهم وصوابهم
غزال عنهم هذا التقديس (٢) .

(١) تاريخ الطبري ١٠ ، ٢٩٥ .

(٢) انظر ضحى الاسلام ٣ : ٢٩٥ .

ومهما يكن من شيء فلم يعرف أحد من بنى المباسم قد عطف على العلويين وعاملهم مثل معاملة المسامون .. وما انتهى عصر المأمون حتى عاد الصراع على أشده بين الطرفين من جديد ففي عهد المعتصم خرج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين في خراسان فبعث المعتصم اليه جيشا بقيادة عبد الله ابن طاهر فالتصم عليه وقبض على محمد بن القاسم وبعث به الى المعتصم فأودع السجن ثم هرب ولم يعرف له خبر ..

أما المتوكل فقد كان من أشد الكارهين للشعيمة العلوية وكان الاتراك قد بلغوا في عهده مرحلة متقدمة من النفوذ والسلطان والاستبداد بأمر الدولة فاتفقت ميولهم مع ميول المتوكل في القضاء على الشيعة ولذا فقد ولي المتوكل القضاء لرجل سني شافعي هو يحيى بن الكثم وقد بالغ يحيى هذا في التنكيل بالشيعة والقضاء على مقدساتهم حيث هدم قبر الحسين في كربلاء ومنع الناس من أتياته (١)

وفي عهد المستعين خرج من العلويين من الفرع الزيدي يحيى بن عمر في الكوفة وما حولها ودعا للرضا من آل محمد واشتد أمره فأرسل اليه محمد بن عبد الله بن طاهر جيشا بقيادة الحسين بن إبراهيم بن مصعب فتمكن من القضاء عليه وقتله . وفي الوقت نفسه خرج الحسن ابن زيد - من أبناء الحسن بن علي - ليقود ثورة كانت قد قامت في أرض طبرستان ضد محمد بن عبد الله بن طاهر فباعه الناس كما

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ٢ : ٥٢ بروكلمان ترجمة أمين فارس .

بايعة رؤساء الديلم وزحف الحسن بمن معه فاستولى على مدينة أمل
عاصمة طبرستان وقوى شأنه فتقدم إلى مدينة سارية ثم بعث
بجيش إلى مدينة الري فاستولى عليها وطرد منها عمل بنى طاهر
واستقرت الأهوال بالحسن في منطقة طبرستان فأنشأ هناك دولة
عرفت باسم الدولة الزيدية . وتداول الحكم فيها الحسن بن زيد
ثم محمد بن زيد القائم بالحق ثم الحسن الاطروش بن علي بن عمر
بن زين العابدين واخيراً الحسن بن القاسم بن علي بن عبد الرحمن
ومعه اولاد الاطروش فلكنوا يتنازعون حتى قضي النزاع على
دولتهم (١)

وهكذا استمر النزاع بين البيتین العباسي والعلوي منذ قيام
الدولة العباسية كل يريد الخلافة لنفسه وكل له وجهة نظره التي
تؤكد حقه ما اضعف الدولة وقسمها إلى شيع واحزاب .. وكان
المأويون مضمون على طلب الخلافة وكان العباسيون في منتهى
القسوة عليهم وكفى ان تقرأ كتاب « مقاتل الطالبين » لأبي الفرج
الاصفهاني لتدرك إلى أي حد وصل الصراع بين انبيتين ولتعلم عدد
القتلى من العلويين الخارجين على العباسيين ..

وإذا كان هذا الصراع قد شتت الامة ، واضعف كيانها فإنه كان
خيراً وبركة على الادب العباسي .

(١) في الشعر العباسي ص ٥٢ .

فالصراع يفزى الادب وينعشه .. ولقد خلف لنا الفسريقان ادبا قويا عزيزا مازال نابضا بالحياة والحيوية حتى الان وكان كل فريق يدلى بحجته وحاول ان يفرض رايه على الاخرين وكان الادب سلاحهم القوي .. ووسيلتهم في اقناع الجماهير ..

ب - ادب الصراع بين العلويين والعباسيين

اتسم ادب الشيعة بالحزن على ما اصاب ائمتهم من نكبات على يد بنى امية وبنى العباس فمن حين لحين كانت تحدث مجزة بروح ضحيتها العديد من العلويين ولا يكاد يجف دم حتى يسيل دم جديد .. وتفنن كل من الامويين والعباسيين في تعذيب العلويين والتنكيل بهم وكل هذا ونحوه جدير بأن يقطع القلوب ويمزق الافئدة ويسيل العيون بالدموع من أجل هذا الدم الطاهر المهرسراق ..

لقد بدأت هذه الاحداث الجسام بمقتل الحسين عليه السلام وكثير من اهل بيته في كربلاء فكانت القصائد الباكية والخطب الحزينة والاقوال الدامية صدى لهذه الدماء المسفوحة ، والجثث المطروحة وكانت ذكراها تبعث في كل حين حزنا ويبعث الحزن ادبا وتتابعت الاحداث فتتابع الادب وكان ادبا حيا عزيزا باكيا حزينا ..

ولما جاء العصر العباسي وسلب العنسيون حقهم من ابناء عمومتهم .. اتسم ادبهم بطابع اخر بالاضافة الى طابع الحزن على مآسيهم .. ألا وهو طابع الجدل والحجاج ذلك ان العباسيين قد

شاركوهم في قرابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بلّ انهم زعموا انهم أحق ببيراث الرسول منهم ٠٠ ولذا فقد كان كل طرف منهما حريصاً على ان يظهر حجته على الآخر ٠٠ ويؤكد شرعيته ويقنع جماهير المسلمين بذلك ٠٠ وقد انعكس ذلك على الأدب شعراً ونثراً ٠

« واذا كان الجدل الكلامي الذي دار بين محمد بن عبد الله النفس الزكية وابي جعفر المنصور قد رسم الخطوط الرئيسية لمنهج كلا الحزبين الشيعي والعباسي فان هذا الجدل قد استمر بعد ذلك على المستوى الفقهي فكان الصراع بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة كما انعكست صداؤه على المستوى الادبي فظهر الشعر السياسي المعبر عن وجهة نظر العباسيين ووجهة نظر معارضتهم من الشيعة ويشغل هذا الشعر قدراً غير يسير من أدب ذلك العصر كان له فعله وتأثيره وخطره لدى الفريقين المتصارعين ولدى جهسور الناس حيث كان الشعو ما يزال في ذلك العصر - كما كان في العصر الاموي - يقوم بدور الصحافة الحزبية السياسية (١)

وبسأتكلم هنا أولاً عن شعراء الحزب العباسي الذين يتعصبون له ويدافعون عن حقه ويقبضون الحجة على خصومهم من العباسيين وغيرهم ٠٠ ومعظم هؤلاء كانوا ينحازون للبيت العباسي رهبة منهم او رغبة ٠ وبين أشهر هؤلاء الشعراء ٠٠

(١) في الشعر العباسي الرؤية والفن ص ٥٣ د٠ عن الدين اسماعيل ٠

١. - مروان بن أبي حفصة

١ - مولده ونشأته :

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة وكنيته أبو الهندام ولقبه ذو الكمر ٠٠ كان جده الذي يكنى أبا حفصة من موالى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وأصله من سبى اصطخر .

ولد مروان بليماة سنة خمس ومائة للهجرة ٠٠ وهو من أسرة عريقة في قرص الشعر توارث أبنائها نظم كائرا عن كابر ٠٠

وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الدولة الاموية والدولة العباسية واخبره في العصر الاموي قليلة بل تكساد تكون نادرة أما اخباره في العصر العباسي فكثيرة ٠٠ وهي تدل على انه لم يقصد ابا العباس السفاح ولم يدعه ولا أبا جعفر المتصور ٠٠

ولما بويح المهدي سنة ١٥٨ هـ وقد عليه وامتدحه ولم يزل يقصده ويبدحه ويحظى بهيائه الزاهرة وجوائز السنبة ، وصلاته القابرة حتى توفي فتحوّل الى مديح الهادي ونال جوائز ثم انقطع الى الرشيد بعد الهادي وكان مقربا من العباسيين اثيرا الى قلوبهم ، مستوليا على فكدهم بسبب دفاعه عنهم واحتياجه لهم حتى كان رسمهم ان يعطوه بكل بيت يمدحهم به الف درهم .

وعلى الرغم من الاموال الطائلة التي جبهها من خلفاء بني العباس فقد كان بخيلا شحيما ضرب ببغلة الابل ، ورويت عنه .

الحكايات بل لقد عده أبو عبيده معمر بن المثنى من الجلاء التام (١) ؟

ولشدة تعصبه للعباسيين ، ولطول انقطاعه اليهم وانتصاره لهم وتعريضه بالعلويين وسلبه لحقوقهم في الخلافة غاظ ذلك العلويين وأحنقتهم عليه ما حلّ بمض الشيعة المتطرفين على اغتياله سنة اثنتين وثمانين ومائة . على خلاف في ذلك (٢)

ويمتاز مديحه لبني العباس عن غيره من الشعراء المداحين بأنه لم يكن يكتف فيه بالمعاني المتوارثة والمتداولة بين الشعراء من عراقه الاصل وينداد الرأي والكرم والجود والعدل والسيهر على مصالح الرعية وإنما تحسول به الى ما يشبه المدفاع السياسي عن العباسيين والدعوة لاحقيتهم في خلافة المسلمين وابطال حق اعدائهم من العلويين الذين يشتركون معهم في قرابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونقض ما كانوا يعتمدون عليه من الادلة والبراهين وقد مضى يكرر معنى واحدا مستبدا من القرآن الكريم ، وهو ان المسمى اولى من البنت في الوراثة مما أرضي خلفاء بني العباس واستولى على قلوبهم وما جعلهم يجرؤون عليه من الاموال ما لا يعد كثرة على نحو ما يتضح في قوله للمهدى :

هل تطمئنون من السماء نجوبها

بأكفكم أم تسترون هلالها

(١) العقد الفريد ٦ : ١٧٧ .

(٢) انظر ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات ابن المعتز ، والأغاني للأصفهاني والموشح للمرزباني ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٢٧٦ وغيرهما .

أم تجحدون مقالة عن ربكم
 جبريل بلغها النبي فقَالَها
 شهدت من الأنفال آخر آية
 بتراثهم فأردتم ابطالها (١)

فهو يحتج على العلويين ، مبطلا لحقهم في الخلافة ومدلا على ذلك بآخر آية من سورة الانفال وهي قوله تعالى « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم »

يشير بذلك الى حق العباسيين في وراثة الخلافة وانهم مقدمون في هذا الحق على ابناء بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - فاطمة الزهراء اذ العم مقدم على الاسباط في الوراثة على نحو ما هو معروف في الشريعة الاسلامية وعلى هذا النحو اخذ يردد هذا المعنى في المدحة بعد المدحة مشيرا في كل مرة الى حق العباسيين في وراثة الخلافة دون غيرهم من بنى هاشم كقوله مخاطبا المهدي أيضا :

يا ابن الذي ورث النبي محمدا
 دون الأقارب من ذوى الأرحام
 الوحي بين بنى البنات وبينكم
 قطع الخصام فلات حين خصام
 ما للنساء مع الرجال فريضة
 نزلت بذلك سورة الانعام

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ص ٩٩ تحقيق د. حسين عطوان *

اتى يكون وليس ذاك بكائن
 لبني البنات وراثه الاعمام
 ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا
 أن يشرعوا فيها بغير سهام
 ظفرت بنو ساقى الحجيج بحقهم
 وعسرتهم بتسوهم الاصلاح
 خلوا الطريق لمعشر عاداتهم
 حطم المنصب كل يوم زمام
 وارضوا بما قسم الله لكم به
 ودعوا وراثه كل اصيد حام (١)

ولقد بلغ من فرط اعجاب المهدي بالقصيدة ان زحف من صدر
 مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال كم عدد
 ابياتها ؟ فقال مروان مائة فأمر له بجائة ألف درهم فكانت اول مائة
 الف درهم اعطيتها شاعر في أيام بنى العباس (٢)

والحق ان مروان قد دافع عن العباسيين دفاعا جيدا في هذه
 القصيدة فقد ذكر ان القرآن الكريم يؤكد هذا الحق لان العم في قانون
 المواريث يحجب ابناه البنت ثم ينتقل من هذا الى تثبيط همم
 العلويين ويعود مرة اخرى الى القضية نفسها فينكر أن يكون
 لبني البنات حق في حجب الاعمام عن الوراثة ٠٠ وان العلويين بعد ان

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ص ١٠٤

(٢) الأغانى ٩ : ٤٢

ووجهوا بهذه الأدلة القوية اسقط في أيديهم فأصبحوا في المعركة بغير سلاح .

ثم يشير الي عتصر من عناصر المفاخرة بين الطرفين وهو ان العباس ابن عبد المطلب جد العباسيين قد نال شرف سقاية الحجيج في الجاهلية والاسلام .

ثم يؤكد في نهاية الابيات ان العباسيين قوم اقوياء لا يستطيع احد ان ينافسهم أو يقف في طريقهم . . او يطاردهم في شرف أو مجد وفي النهاية ينصح العلويين بأن يقتنعوا بما كتبه الله عليهم ولا يتطلعوا الى ما ليس من حقهم ويتركوا ذلك لمن هم أهل لكل مجد وشرف وهم العباسيون . .

ويقال انه كان أشد ما أزعج الثمويين في هذا الشعر بيته الذي يقول فيه :

أنى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البينات وراثه الأعمام

ولذا فقد رد عليهم شاعرهم جعفر بن عغان الطائي بقوله :

لم لا يكون - وان ذلك لكائن -
لبنى البينات وراثه الأعمام
للبنات نصح كامل من ماله
والعم متروك بغير سهام

ما للطلاق والفرار وانتمسا

صلى الطليق مخافة الصبام (١)

حجة بحجة وبرهان ينقض برهان العباسيين . . . فقد فرض القرآن الكريم للبت النصف ولم يجعل للعم أى سهم مفروض . .

والطلاق المذكور : المقصود به العباس بن عبد المطلب جد العباسيين الذى حارب مع المشركين يوم بدر واخذ أسيرا لدى المسلمين فافتدى نفسه وأطلقه النبى - صلى الله عليه وسلم - ولذا فقد اطلق عليه ذلك ثم يذكر جعفر الطائى أن العباس ليس له أن يتحدث عن ميراث النبى - صلى الله عليه وسلم - لأنه أسلم كرها مخافة السيف ومن ثم فلا حق لأولاده في طلب الخلافة . .

ونقد كانت أبيات مروان السابقة كذلك سببا في اغتياله فقد روى صاحب الأغانى ، ان صالح بن عطية - احد الشيعة - لما سمع منه هذا البيت عاهد الله ان يقتله فلم يزل يلاطفه الى ان أنسى به ثم مرض مروان بالحمى فخلا البيت به وبصالح فوثب عليه صالح حتى أخذ بحلقه فما فرقه حتى مات (٢)

وكما انقطع مروان الى العباسيين أيام المهدي فعلى ذلك أيام موسى الهادى وهارون الرشيد ابنى المهدي . . وله فيهما شعر كثير يدل على حبهما والانقطاع اليهما والدعوة الى حقهما في الخلافة يقول فيهما :

(١) فى الشعر العباسى ص ٥٤ .

(٢) الأغانى ٩ : ٤٨ .

موسي وهارون هما اللذان
 في كتب الاخبار يوجدان
 من ولد المهدي مهديان
 قدا عنانين على عنان (١)
 قد أطلق المهدي لى لساني
 وشهد ازرى ما بل حباتي
 من اللجين ومن العقيان
 عيضية شاحطة الاثمان (٢)

وواضح من هذه الابيات ان مروان كان يمدح العباسيين من أجل
 التوال ٠٠ فالمال هو الذي يحرك لسانه ٠٠ ويفجر يشابع شعره ٠٠
 ويدفعه الى الجوده والانتقان ٠٠ ولم يكن كشعراء الشيعة يحيهم
 لذواتهم ، او ايماننا بحقهم في الخلافة على نحو ما سنشاهد عند
 دراستنا لشعراء الشيعة العلوية ٠٠

وربما كان خلفاء بني العباس يعرفون ذلك عنه فكانوا يقدقون
 له في العطاء ليحيلوه على الاجادة ، وكانوا يبالحون في نواله ٠٠ حتى
 ليروى أنه حين انشد الرشيد قصيدته الرائبة التي يقول فيها :

أمور بميراث النبي وليتها
 فأنت لها بالمسزم طاو وتاشر

(١) العنان السير : يريد أنهما يشبهان المهدي .

(٢) اللجين : الفضة ، والمقيان : الذهب .

والعيضية ضرب من نجائب الابل ، شحط فلان في السوم : بلغ أقصى

التمن .

ابوك ولي المصطفى دون هاشم

وان رغبت من حاسديك المناخر (٢)

اعطاه خمسة آلاف دينار فقبضها بين يديه وكساه خلمة ، وأمر
له بعشرة من رقيق الروم ، وهمله على بزرون من خاص مراكبه (٢)
والحق ان مروان بن ابي حفصه كان من أبرز شعراء الحزب
العباسي ومن اكثرهم انقطاعا للعباسيين يدافع عن مذهبهم ويؤكد
حقوقهم ويهجو اعداءهم ٠٠ وظل كذلك حتى دفع حياته في النهاية
تبنا لهذا الاتجاه ٠

٤ - منصور النميري

ومن شعراء الدعوة العباسية كذلك الشاعر منصور النميري وهو
عربي من ابناء النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين وكان
تلميذا للشاعر كلثوم بن عمرو العنابي عنه اخذ ومن بحره استقى
٠٠٠ قدمه القبانى الى اليرامكة فمدحهم ثم وصلوه بالرشيد ٠٠
وكان النميري ذا حيلة سياسية فأدرك ان الرشيد يسره ان يمدح بتفويج
الإمامة عن العلويين والطنعن عليهم لما كان يراه من تقديم مروان بن ابي
حفصه بسبب ذلك ، فسلك مذهبه ونحا نحوه ونال منزله عند الرشيد
تقارب منزلة مروان عند العباسيين ٠٠ (٣)

(١) شعر مروان بن ابي حفصه ص ١١ ٠

(٢) تاريخ الطبري ١١ : ٧٤٣ ٠

(٣) راجع ترجمة منصور النميري في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢
والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٦ وتاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ وأمال
المرضى ٢ : ٢٧٤ ٠

وله قصيده رائيه بهدح فيها الرشيد ويدافع عى حقه فى
الخلافة ويبطل دعوى العلويين فى طلب الخلافة : بقول فى مطلعها
مخاطبا الرشيد :

أمير المؤمنين اليك خضنا
غمار الهول من بلد شطير
بخوص كالأهنة خافقات
تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احبالا ثقالا
ومثل الصخر والدر النثير
فقد وقف المديح بينتاه
وغايته وصار الى المصير

ثم توجه الى العلويين يجادلهم ويبطل دعواهم ويفضل
العباسيين عليهم حيث يقول :

فان شكروا فقد أنعمت فيهم
والا قاتلنا دامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق
وردوا ما يناسب للذكور
ومما لبنى بنسات من تراث
مع الأعمام فى ورق الزبور (١)

(١) تاريخ آداب اللغة العربية جورج زيدان ٢ : ٨٩ .

ويقول من قصيدة اخرى مخاطبا الرشيد وجاهلا فيها على بن تميم رهط أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبنى عدى رهط عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعلى بنى أمية وعلى العلويين ٠٠ ومدعيا ان بنى العباس هم وهدهم الاحق بميراث النبي - صلى الله عليه وسلم - دون سواهم حيث يقول ٠٠

يا ابن الائمة من بعد النبي ويا ابن
 ن الاوصياء أقر الناس او رفعوا
 ان الخلافة كانت ارث واليدكم
 من دون تميم وعفر الله متسع
 لولا عدى وتيم لم تكن وصلت
 الى امية تهريها وترتضع
 وما آل على في اسارتكم
 وما لهم - ابا - بي ارتكم طمع
 يا ايها الناس لا تعرب حلومكم
 ولا تصفكم الى اكنافها البدع
 العم أولى من ابن العم فاستمعوا
 قول النصيحة ان الحق مستمع (١)

فهو يؤكد حق العباسيين في ميراث النبي - صلى الله عليه وسلم - دون سواهم ٠٠ ويلقى باللائمة على ابي بكر وعمر فلولاهما لما وصلت الخلافة الى بنى أمية كما أن العلويين لا حق لهم في هذا

(١) في الشعر العباسي ص ٥٥

الميراث ٠٠ فهم ادنى منزله من العباسيين فهم ينتسبون الى علي.
ابن ابي طالب ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - والعباسيون.
ينتسبون الى العباس بن عبد المطلب عم النبي - صلى الله عليه
وسلام - وهو اولى من ابن العم وهو علي بن ابي طالب *

وهناك شاعر علوى النزعة استطاع العباسيون بنفوسهم
وابوالهم ان يصرفوه عن الشيعة وان يصيروه اليهم ٠٠ وهو

٢ - ايان بن عبد الصديد الاحقى

وهو من الشعراء الموالى اتصل بالبراهكة ونظم لهم كتاب
كليلة ودمنه شعرا حيث يقول في مطلع الترجمة الشعرية :
هذا كتاب ادب ومحنة
و هو الذى يدعى كليلة ودمنة
فيه اختيالات وفيه رشيد
وهو كتاب بصعته الهند

فأعطاه يحيى بن خالد البرمكى عشرة آلاف دينار وأعطاه افضل
خمسة آلاف دينار ٠٠ وارتقى ايان في أيام البراهكة حتى استد اليه
يحيى بن خالد امتحان الشعراء ورتبهم في الجوائز فامتحنهم
ورتبهم ٠٠

واغتتم ايان فرصة قربه من البراهكة وطلب منهم ان يتوسطوا
له عند الرشيد حتى ينال المنزلة التى نالها مروان بن ابي حفصة
في بلاطهم فلم يفعلوا ولما عاتبهم في ذلك قالوا له : ان مروان كان

يتقرب اليهم بهجاء آل ابي طالب فهل تفعل ؟ قال : لا استحل ذلك
فقالوا : فماذا تصنع ؟ لا تأتي الدنيا الا بما لا يحل !! ثم غلب عليه
التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلما
أعم بما قد قلته العجب والمرب
أعم رسول الله أقرب زلفه
لديه ام ابن العم في رتبة النسب
وايهما أولى به ويعهده
ومن ناله حق التراث بما وجب
فان كان عباس احمق بئسكم
وكان على بعد ذلك على سبب
فأبناء عباس هموا يرثونه
كما العم لابن العم في الارث قدحجب

فقدموها الى الرشيد فأجازه عليها واتصل به منذ ذلك الحين (١)

ثانيا : شعراء المأويين

١ - السيد الحميري

وهناك شاعر اخر متلون استطاع بطريقة مكررة ان يجمع بين
ميوله العلوية وبين مدهم للعباسيين مستخدما مبدأ التحية التي كانت

(١) انظر اخبار اباان في الأمانى ٢٠ : ١٦٣ وطبقات ابن المعتز ص ٢٤١
والأوراق للصول * وحديث الأربعماء لطفه حسين ودائرة المعارف الاسلامية ٥

الشيعة تؤمن به وهو السيد الحميري وهو شاعر مخضرم عاش في الدولتين الاموية والعباسية من ١٠٥ هـ حتى سنة ١٧٣ هـ وهو شاعر مجيد مكثر ويقال انه نظم ثلاثمائة واثنين من القصائد الشعرية ولكن معظمها ضاع ولم يصلنا منها الا القليل نظرا لانه كان سليط الانسان مقذع الهجاء « فكان يفرط في سب اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وازواجه ويستعمل شعره في قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره وهجره الناس خشوا وترقبا وله طراز من الشعر ، ومذهب قلدا يلصق به أو يقاربه ولا يعرف له من الشعر كثير وليس يختر من مدح بنى هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضددهم (١)

ومن شعره في مدح بنى العباس قوله :

دونكم. ها يا بنى هاشم
فجددوا من عهدنا الدارسا
لو خير المنسجر فرسسانه
ما اختار الا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم سياسة
لم يتركوا رطبنا ولا يابسا
ولست من ان تملكوها الى
مهبط عيسى فيكم آيسا

(١) الأغانى ٧ : ٤٠ .

(٢) تاريخ أدا باللغة ٢ : ٦٧ .

فهو يبشر بأن الخلافة ستظل في بني هاشم إلى نزول عيسى
ابن مريم في آخر الزمان ٠٠ ومداروف ان العلويين من بني هاشم كذلك
كالعباسيين فكانه يمدح الفريقين في وقت واحد ٠٠

ومن قوله يمدح المهدي ويحرضه على بني عدى رهط عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه وعلى بني تميم بن مرة رهط ابي بكر
رضي الله تعالى عنه قوله :

قل لابن عباس سمي محمد
لا تعطين بني عدى درهما
احرم بني تميم بن مرة انهم
شر البرية اخرا ومقدما
ان تعطهم لا يشكروا لك نعمة
ويكافئوك بأن تدم وتشتما
ولكن معتهم لقد بدأوكم
بالمع اذ ملكوا وكانوا اظلمنا
منعوا تراث محمد أعماله
وابنيه وابنته عديلة مريمنا

وعلى الرغم من مدحه لبني العباس ٠٠ واخلاصه الظاهر لهم
٠٠ فقد كان علويا متطرفا ٠٠ « قال القصاص الطويلة في فضائل علي
حتى وقف يوما بالكوفة فقال : من اتاني بفضيلة لعلي بن ابي طالب
يا قلت فيها شعرا فله دينار » (١) .

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٣٠٨ .

ومن شعره في الامام على قوله :

أقسم بالله وآلاته

والمرء عنا قال مسؤل

ان على بن أبي طالب

على التقى والبر مجبول

ومن شعره المفعم بحرارة العاطفة قوله في رثاء الحسين رضي

الله تعالى عنه :

أمر على جدت الحسين

ن فقل لاعظمه الزكية

اعظما ما زلت من

وظفء ساكية روية

واذا مسررت بقبيره

فأطل به وقف المطوية

وابسك المظهر للمطه

ر والمطهرة التقيية

« وتقول الشيعة ان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يشأ

أن يوصي من بعده خشية ان يقع الخلاف بين الناس الى ان نزل قوله

تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل

هما بلغت رسالته .. فقالوا ان المراد بما انزل اليك خلافة علي (١)

ولنا فقد أوصي النبي صلى الله عليه وسلم بالخلافة لعلي بن أبي

طالب يوم « غدیر خم » إذ أخذ بيده وقال : « من كنت مولاه فعلى

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٢٤٨ .

مولاه « وبهذا يزعمون ان الرصية قد تمت لعاى وان الامامة فيه وفي
 تولاده من بعده ٠٠ وحول هذه الافكار بدور قول السيد الحميرى :

عجبت من قوم اتوا احسدا
 بخطبة ليس لها موضع
 قالوا له لو شئت اعليننا
 الى من الفياية والمصرع
 اذا توفيت وفارقتنا
 وفيهم في الملك من يطمع
 فقالوا : لو اعلمتكم مقزعا
 كنتم عسيتم فيه ان تصنعوا
 كصنع اهل العجل اذ فارقوا
 هارون فسالتك له اروع
 ثم اتته بعده عزمه
 من ربه ليس لها مدفع
 ابلغ والا لم تكن مبلغا
 والله منهم عاصم يمنع
 فعندها قام النبي الذي
 كان بما يؤمره يصدع
 يخطب ماورا وفي كفه
 كف على نورها بلع
 رافعها اكرم بكف الذي
 يرفع والكف التي ترفع

من كنت مولاة فهذا له
 مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا
 وظل قوم غاظهم قوله
 كأنما أنا فهم تجدد
 حتى أنا وأروه في نصده
 واتصرفوا عن دفنه ضيعوا
 ما قال بالامس وأوصي به
 واشتاتروا الضر بما ينفع
 وقطعوا أرحامهم بعسده
 فسوف يجزون بما قطعوا (١)

وهكذا نجد السيد الصبري شيعيا مغاليا في تشيعه ولكنه كان
 أحيانا يتخذ الحقيه في مداراة بني العباس حتى يسلم من أذاهم وينجو
 من عقابهم فكان يمدحهم حتى يبكتهم ويرضيههم ولكنه لم يتنكر
 أبدا لمقيدته الشيعية التي يؤمن بها إلى حد الغلو ٠٠ حتى أنه كان
 يسب الصحابة من أجلهم ومن أجل ذلك ضاع شعره لأن المسلمين
 تخرجوا من روايته ٠٠

(١) ضيحي الإسلام ٣: ٣١٠.

دعبل بن علي الخزاعي

أما الشاعر الذي وقف موقف المعارضة الصريحة لبنى العباس، فلم يكتف بالتفجع لما أصاب العلويين من مصائب وتكبات ولم يقتنع بتأكيد حقهم في خلافة المسلمين بل هجا العباسيين هجاء مقذعاً فهو دعبل بن علي الخزاعي ٠٠

ولذا ينبغي ان نقف عنده وقفة ٠٠ قبل أن نتعرض لسيرته السياسية واتجاهاته الحزبية ٠٠ لنعرف شيئاً عن نشأته وأسرته ووطنه وأخلاقه حتى نعرف أي نوع من الرجال ذلكم الشاعر المقدم ٠٠ فالعروف ان الناس وبالأخص الشعراء في ذلك العصر كانوا يدهنون الحكام ويقربون اليهم رهبة ورغبة وكانوا يسعون الى ذلك سعيًا حثيثاً ، والسعيد فيهم من يحظى بالقرب من الخليفة لتنهال عليه الاموال ٠٠ فيعيش عيشة رغدة يحسده عليها سائر الشعراء ٠٠ وكان الشعراء في ذلك العصر كالطير يتكاثرون حيث يتناثر الحبوب ويكثر البرزق ويتزاحمون على أبواب الحكام ٠٠ ويتملقونهم ويهدونهم بما ليس فيهم من الصفات حتى يتناولوا الحظوة لديهم والقرب من قلوبهم وأفئدتهم ٠٠ كان ذلك شأن معظم الشعراء في ذلك العصر ٠٠ ولم يشذ عن ذلك الا القليلون من أصحاب المبادئ ٠٠ الذين آمنوا بها - وتمسكوا بأهدابها فهان عليهم كل شيء في سبيلها رضوا بالفقر والتشرد في سبيل غايتهم المحيطة ومبادئهم الرفيعة وكان دعبل بن علي من هؤلاء القلة الذين آثروا الفقر على الغنى والتشرد والضياع على الأمن والامان ٠٠ ورهب حياته للدفاع عن

الملويين الذين آمن بحقهم في خلافة المسلمين فمن هو ذلكم الشاعر
الشجاع ..

١ - دولده وأسرته :

عاش دعبيل (١) قرابة قرن من الزمان هو النصف الأخير من
القرن الثاني الهجري والنصف الأول من القرن الثالث من ١٤٨ هـ -
٢٤٤ هـ وقد عاش كثيراً من الخلفاء العباسيين وقضى معظم هذا العمر
في قلق وحيرة واضطراب .

وقد اختلف المؤرخون في اسمه وكنيته ونسبه فذكروا له ثلاثة
اسماء هي الحسن وعبد الرحمن ومحمد ويكنى دعبيل بأبي علي وأبي
جعفر .

ويقول بروكلمان : دعبيل هو أبو جعفر الحسن وقيل عبد الرحمن
وقيل محمد بن علي الخزاعي (٢)

ولم يعرف دعبيل بأى اسم من هذه الاسماء الثلاثة وإنما عرف
باسم دعبيل الذي اشتهر به ولم يعرف بغيره .. ولم تظفر بشيء
يعتمد به عن هذا اللقب سوى الرواية المنسوبة الى اسماعيل بن علي

(١) دعبيل كزيرج : الناقة القوية ، لسان العرب لابن منظور مادة
دعبيل ص ٩٦٠ .
(٢) تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ٢ : ٣٥١ ترجمة
د. عبد الحليم النجار ط دار المعارف .

الخزاعي عن الجارية التي لقبته بذلك « وانما لقبته دايته لدعابة كانت فيه فأرادت زعبلا فقلبت الذال دالا (١) »

ومن طريق ما يروى ما حكاه ابو الفرج عن دعبل قال : كنت جالسا مع بعض اصحابنا فلما قبت سأل رجل عنى فقالوا هذا دعبل . فقال : قولوا في جليسيكم خيرا وكأنه ظن اللقب شتما (٢) »

وعن دعبل أيضا قال « صرع رجل مرة بحضرتى فصحت في اذنه ثلاث مرات « دعبل » فأفاق (٣) »

وكما اختلفت الاراء في اسمه اختلفت في نسبه فيذكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ . وابن عساكر المتوفى سنة ٥٧٠ ان دعبل هو ابن على ابن رزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي (٤) »

ويذكر ابو الفرج الاصفهاني والياقوت الرومي ان «دعبل» ابن على بن رزين بن سليمان بن نعيم بن نهشل بن خداح بن خالد بن عبد بن دعبل بن انس بن خزيمه بن سلمان الخزاعي (٥) »

وذهب بعض المؤرخين ان دعبل خزاعي بالولاء كما جاء في لسان

(١) تاريخ بغداد ٨ : ٢٨٥ .

(٢) الأغانى ١٨ : ٣١ ومعاذ التنصيص ٢ : ١٩ .

(٣) الأغانى ١٨ : ٣١ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٨ .

(٤) تاريخ بغداد ص ٣٨٢ وتاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٢٧ .

(٥) ياقوت الرومي : معجم الأدباء ٤ : ١٩٤ .

الميزان للعسقلاني « ان دعبلا خزاعي بالولاء وكان جده رزين مولى
عبد الله بن خلف الخزاعي والد طلحة الطلحات (١)

وفي رأيي ان دعبلا خزاعي بالنسب وليس بلولاء .. وأن محاولة
التشكيك في نسبه افتراء محض .. وأقدم من صرح بولائه في خزاعه
عبد الله بن طاهر الذي زعم ان دعبلا مدخول النسب وكان بيته وبين
دعبل ما دفعه الى هذا الافتراء والظعن في نسبة والحط من مكانته
واظهاره بالمظهر الشائن ووصمة بالاعتداء وقلة الوفاء والتناقض
في المديح والهجاء (٢)

وهناك نصوص وردت في الأعمش تؤكد خزاعية دعبل منها :

١ - بكر الحسين بن علي قال : قلت لابن الكاظمي : ان دعبلا
قد قطعنا ولو أخبرت الناس انه ليس من خزاعة ؟ فقال لي : يا فاعل !
مثل دعبل تنقيه خزاعة ؟ والله لو كان في غيرها لرغبت فيه حتى
تدعيه ، دعبل والله يا أخي خزاعة كلها (٣)

٢ - سؤال الجاهلون لابي دلف : اي شيء تروى لابي خزاعة
يا قاسم ؟

قال : اي اخي خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم
شساعرا ؟

(١) لسان الميزان ص ٤٣٠ *

(٢) انظر موقف ابن طاهر من دعبل في الأغانى ١٨ : ٥٦ *

(٣) الأغانى ١٨ : ٤٤ *

قال : اما بن أنفسهم فأبو الشيمى وابنه ودعبل وداود واما من مواليهم فظاهر وابنه عند الله فقال : ومن عني من هؤلاء ان تسأل عن شعره سوى دعبل (١)

٣ - اعتراض محمد بن موسى الضبي على عبد الله بن ظاهر وكان عبد الله قد ادعى بأن دعبلًا مدخولًا بقوله : من أين قال الأمير انه مدخول النسب وهو في البيت الزفيغ من خراعة لا يتقدمهم غير بنى أوهبان ؟ (٢)

٤ - ما وصل اليينا من شعره يدل دلالة قاطعة على صحة نسبه في خراعة احدى قبائل اليمن الشهيرة مثل قوله من قصيدة طويلة :
احببت قومي ولم أعدل بحبهم
قالوا تعصبت جهلا قول ذي بهت
قومي بنو مذحج والاذو اخوتهم
وال كندة والاحياء من علة (٣)

ويقول القلقشندي : سموا خراعة لان بنى مازن من الازد لما تفرقت من اليمن من البلاد نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان، واقبل بنو عمرو فاتخروا عن قريتهم فنزلوا مكة وكانت لخراعة ولاية البيت بعد جرهم (٤)

(١) الأغانى ١٨ : ٤٤ .

(٢) الأغانى ١٨ : ٥٧ .

(٣) ديوان دعبل ص ١٥٢ .

(٤) نهاية الارب في معرفة انساب العرب للقلقشندي ص ١٥٢ .

البيارى ص ٤٥ .

أسبرته :

اجمع المؤرخون والمصنفون أن دعبل بن بيت رفيع ومن أسرة
فاضلة اشتهر جل أفرادها بالعلم والادب وقرضهم للشعر فأبوه علي
ابن رزين كان شاعرا مقلا ترجم له المرزبان في معجم الشعراء (١)

وفي الاغانى ابيات له رواها القاسم بن هرويه منها قوله :

خليلي ماذا أرتجى من غدا امرى
طوى الكشح عنى اليوم وهو مكين
وان امرءا قد ضن منه ينطق
يسد به فقر امرىء لضنين (٢)

كما روى له ابن النديم قوله :

أقول لنا رأيت الموت يظلمنى
يا ليتنى درهم في كيس مباح
فياله درهما طالت سلامته
لا هالك ضيعة يوما ولا ضاحى (٣)

وعمه عبد الله بن رزين كان شاعرا كذلك وكذلك أخوه علي ابن
علي بن رزين وأخوه الآخر رزين بن علي بن رزين كلّ منهما كان
شاعرا . (٤)

(١) معجم الشعراء ص ٢٨٣ .

(٢) الاغانى ٢٠ : ٧١ .

(٣) الفهرست ١٢٩ .

(٤) انظر الاغانى ٤٨/١ وما بعدها .

أما أبته الحسين بن دعبل فقد كان شاعراً مطبوعاً وشعره يقع في نحو مائتي ورقة (١)

ومن أفراد أسرته المعروفين بالشعر كذلك أبو جعفر حميد بن عبد الله بن رزين المعروف بأبي السيف وهو من مشاهير الشعراء في العصر العبّاسي توفي سنة ١٥٦ هـ وله شعر كثير جيد وله ديوان عمله الصولي (٢)

وقد ولد دعبل سنة ١٤٨ هـ في خلافة أبي جعفر المتصوّر وكان مولده بمدينة الكوفة على أرجح الآراء في ذلك .

وكان نشأة الشاعر في الكوفة معقل الشيعة والثورة والدراسات الدينية واللغوية والكلامية اثر كبير في تكوين الشاعر الفكري فقسيد نشأ فيها الفراء وابن السكيت من النحاء ، والمفضل الضبي وجماد الراوية وأبو عمرو الشيباني وابن قتيبة وابن الاعرابي من علماء اللغة (٣)

وعلى الرغم من عبقرية دعبل واجادته لفن الشعر ونشأته في بيت من بيوتات العلم والادب فقد كان هجاء خبيث اللسان كما كان صعلوكا يصحب الشطار ويقطع الطريق على الهارة .

روى أبو الفرج إن دعبلًا . . كان يتشطر ويصحب الشطار

(١) الفهرست ٢٢٩ .

(٢) انظر ترجمة أبي الشيمى في الأغانى ١٠٨:٥ وتاريخ بغداد ١:٥٠١

(٣) الصورة الفنية في شعر دعبل من ٢٨ د على إبراهيم أبو زيد .

تُخْرِجُ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ فِيمَا بَيْنَ الْعَشَاءِ وَالْمَتَمَّةِ فَجَنَسَا عَلَى طَرِيقِ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَارِفَةِ وَكَانَ يَبْرُحُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِكَيْسِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا طَلَعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِمَا وَثَبَا إِلَيْهِ فَجَرَّحَاهُ وَأَخَذَا مَا فِي كَمِّهِ فَمِنَ ذَلِكَ هِيَ ثَلَاثُ رِمَانَاتٍ فِي خَرْقَةٍ وَلَمْ يَكُنْ كَيْسُهُ لِيَلْتَمِذُ مَعَهُ وَمَاتَ الرَّجُلُ مَكَانَهُ وَاسْتَتَرَ دَعْبِلٌ وَصَاحِبُهُ ، وَجَدَ أَوْلِيَاءَ الرَّجُلِ فِي طَلَبِهِمَا وَجَدَ السَّلْطَانَ فِي ذَلِكَ فَطَالَ عَلَى دَعْبِلٍ الْإِسْتِتَارَ فَاضْطُرَّ إِلَى الْهَرَبِ مِنَ الْكُوفَةِ فَمَا دَخَلَهَا حَتَّى كَتَبَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّجُلِ أَحَدٌ (١)

ويضيف أبو الفرج « انه كان يقبل الشراة والصعليك فلما يؤذونه بل كانوا يؤاكلونه ويشاربونه ويبروته وكان الصعليك يواصلونه ويصلونه بدلا من أن ينهبوا امواله ويصادروا متاعه ، وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرا به ودعاهم اليه ودعا بغلاميه ثقيف وشغف وكانا مغنيين فأقعهما بغنيين وسقامهم وشرب معهم واتشدهم فكانوا قد عرفوه والفوه لكثرة اسفاره (٢)

ويؤكد بعض الباحثين ان الصعلكة لم تكن السمة الغالبة على دعبل فقد عاش في عصر حل الاسلام فيه المشاكل التي تار الصعليك من اجلها في الجاهلية اذ سوى بين الناس وكفل لهم الحياة الكريمة واحاط المجتمع بالحدود التي تحافظ على النظام وتضرب بشدة على أيدي المنحرفين من لصوص وقطاع طريق كما عانى الصعليك

(١) الأغانى ٢٠ : ٨٣

(٢) الأغانى ١٨ : ٣٦

من آمال قبائلهم لهم ولم يشك دعبل من هذا ولو رغب مالا لمسح
ورقف بباب الملوك ونال جوائزهم وغنم عطاياهم لكنه كان صاحب
بيدا وعقيدة (١) .

وربما وقعت به تلك الحوادث التي تدل على تشرده وصلبته
في بداية حياته بدافع من الطيش والنزق والجهل فلما كبر أقلح
عن هذا واتجه الى الثورة على الحكام الذين اغتصبوا الخلافة من
العلويين فأصلاهم نارا حامية ولم يسلم من لسايه احد من خلفاء بني
العباس . . .

ب - صلته بحكام عصره

اجمع المؤرخون ان دعبل قد زامن تسعة من الخلفاء العباسيين
هم المنصور والمهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم
والواثق والمتوكل . . .

وقد اتاحت الاسفار للشاعر فرصة الاتصال بالخلفاء والوزراء
والقادة والولاة كما التقى بالشعراء والادباء وزار كثيرا من البلدان . . .
وكانت علاقته بالخلفاء العباسيين علاقة يشوبها التوتر
والحذر وعدم الثقة . . . بسبب ميول دعبل الشيعية وایمانه بحق
العلويين في الخلافة . . . ولذا فقد كانت علاقته بالخلفاء من بني

(١) الصورة الفنية في شعر دعبل ٣٤ .

العباس تحكيها علاقتة بالعلويين واخلاصه لتلك العقيدة ٠٠ ولذا
لم يسلم احد من خلفاء بني العباس من هجائه وسخريته ٠

التقى دعبل اولا بالرشيد ٠ ومدحه ونال جوائز واعطياته ٠
ولكنه ما لبث ان تكشف له خطة الرشيد في تقريب الشعراء
وتشجيعهم حيث ادرك ان الرشيد يفتق امواله على هؤلاء الشعراء
ليرفعوا من قدره ٠ ويعلموا من نكره ويدافعوا عن حقه ويبطلوا حجج
عدوه ٠٠ ومن هنا فقد ثار دعبل على الرشيد وانقض من حوله ٠٠

وعندما مات الرشيد ودفن في طوس قال دعبل قصيدة يمدح
فيها العلويين ويعرض بجرائم العباسيين في حقهم ويهجو الرشيد
ويشير الى دفنه في مدينة طوس وهي المدينة التي دفن فيها
على الرضا العلوي فقال :

وليس حي من الاحياء تعامله

من ذي بيان ومن بكر ومن مضر

الا وهم شركاء في ذنائبهم

كما تشارك ايسار على جزر

قتل وآسر وتحريق ومنهبة

فلعل الغزاة بأرض الروم والخزر

ارى أمية معذرون ان قتلوا

ولا ارى لبني العباس من عذر

أربع بطوس على القبر الزكي اذا

ما كنت تربع من دين الى وطن

قبران في طوس : خير الناس كلهم

وقبر شرهم هذا بن العسير (١)

ما ينفع الرجس من قرب الزكى ولا

على الزكى بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت

له يدها فخذ ما شئت او فخذ (٢)

وكان موقف دعبل من المأمون كوقفه مع الرشيد .. حيث اتصل

أولا بالمأمون وأعجب به ومدحه نظرا لعطف المأمون على العلويين

.. واستبداله علم العباسيين الأسود بعلم العلويين الأخضر ..

وتنازله للخلافة من بعده للإمام على بن موسى الرضا العاوي ونظرا

فقد احتفظ دعبل برضا المأمون مدة طويلة وعندما رد المأمون «فدكا»

للعلويين امتدحه دعبل في قوله :

وأصبح وجه الزمان قد ضحكا

برد مأمون مثلشم فدكا (٣)

وكان دعبل يخرج الى خراسان والمأمون بها والرضا فيمدحتهما

ويجزلان له العظية (٤)

(١) يقصد بشر الناس : هارون الرشيد ويقصد بخير الناس الامام

على بن موسى الرضا *

(٢) ديوان دعبل ص ١٠٥ *

(٣) ديوان دعبل ص ٢٤٧ *

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٤ *

وبما يستجاد لدعبل أرجوزته في المأمون التي يقول فيها :

يا سلم ذات الموضع العذاب
 وربة المعصم والخضاب
 والكفل الرجراج في الحجاب
 والغنم الاسود كالغراب
 بحق تلك القبل الطيب
 بمد التجنى منك والعتاب
 لا كتسفت اليوم عنى ما بي (١)

ولما خلع المأمون الخضرة شعار العلويين وعاد إلى لبس السواد شعار العباسيين ارضاء لبني العباس الذين كانوا قد ثاروا عليه عندما ترك شعارهم واوصى بولاية المهدي لغيرهم .. عندما قُتل ذلك - تغير عليه دعبل .. واتخذ منه مرقفا عادئيا وهجاه هجاء مرارا في قوله :

أيسومنى المأمون خطبة عاجز
 او ما رأى بالامس رأس محمد
 توفي على هامم الخلائف مثلما
 توفي الجبال على رؤوس القردد (٢)

(١) ديوان دعبل ١٢٠
 (٢) المرجع السابق ١٧٥

ثم يهدد المأمون بقوله :

الى بن القوم الذين سيوفهم
قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا بحاك بعد طول خمونه
واستنقذك من الحضيض الاوهده(١)

ثم يحذر المأمون من التمادي في غيه فيقول :

ان التراث مسهد طلابها
فاكف لعابك عن لعاب الاسود
لا تحسبن جهلى كصلم ابي قبا
حلم المشاريخ مثل جهل الابرده (٢)

وهكذا نجد دعبلا يتقرب الى بنى المعباس أو يعاديههم بمقدار موقفهم من العاويين قريبا أو وبعدا وهذا يدل على ثباته على مبدئه وأيمانه بذهبه وتمسكه بعقيدته فلم يتلون ولم ينساق أو يدهن وإنما كان رجلا صادقا مع نفسه ومع اناس ..

أما المعتصم فقد كان يكره دعبلا كرها شديدا لسلطته وجبرأته وطول لسانه وهجائه لملوك بنى المعباس وسخريته منهم فهدهم باغتياله فخاف دعبل وهرب منه الى الجبل وقال يهجوه :

(١) المرجع السابق ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق ١٧٦ .

ملوك بنى العباس في الكتب سبعة
ولم يأتسسا عن ثامن منهم الكتب
كذلك أهل الكهف في الكتب سبعة
خير اذا عدوا وثامنهم كلب (١)

وكان المعتصم هو الثامن بالنسبة لمن سبقه من الخلفاء
العباسيين ويقابله في أهل الكهف الكلب لانه ثامنهم وهذا هجاء موجه
ويقال ان المعتصم هدده بالقتل عندما سمع ذلك منه فهرب الى مصر
وعندما بلغه نبأ وفاة المعتصم وتولى الواثق الخلافة من بعده هجا
الاثنين دفعة واحدة فقال :

الحميد لله لا صير ولا جلد
ولا رقاد اذا اهل الهوى رقدوا
خليفة مات لم يحزن له احد
وأخر قام لم يفرح به احد
فمر هذا ومر الشؤم يتبعه
وقام هنا فقام الويل والتكد (٢)

ولما مات المعتصم رثاه محمد بن عبد الملك الزيات بقوله :
قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا
في خير قبر لخير مدقون

(١) الأغانى ٢٠ : ٩٦ .

(٢) ديوان دعبل ص ١٤٩ .

لن يجبر الله أمة ففقدت
مثلك إلا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه :

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا
في شر قبر لشر مدقون
أذهب إلى النار والجحيم فما
خلتلك إلا من الشياطين

وهكذا لم يسلم المعتصم من لسان دعبل حتى وهو «بيت وهذا»
يدل على أن دعبلا قد تشبع قلبه بحب العلويين وكراهية خصوصهم
.. فهم في نظره صورة سيئة للاستبداد والنظم وسلب الحقوق من
أصحابها .

وكما هجا دعبل الخلفاء العباسيين فقد هجا أقاربهم وولاتهم
وقوادهم ولم يسلم أحد من رجال الدولة العباسية من هجائه بقول
في إبراهيم بن المهدي - وكان يهشق الغناء - وتهفو نفسه إلى
الخلافة :

نعر ابن شكة بتمراق وأهله

فهفا إليه كل أطلس فائق

ان كان إبراهيم مضطلعا بها

فلتصلحن من بسوة مخارق *

(*) مخارق وزلز ومارق من المعنيين في العصر العباسي .

ولتصلحن من ذاك لزلزل
 ولتصلحن من بعده لا خارق
 اتى يكون وليس ذاك بكائن
 يرث الخلافة فمسق عن فاسق (١)
 وهجا دعبل كذلك ابا عباد كاتب المأمون هجا ساخرا مضحكا
 حيث يقول فيه :

اولى الامور بضيعة وفساد
 أمر يدبره أبو عباد
 وكأنه من دير هزقل مقلت
 قرد يجر سسلال الاقياد
 فتشدد أمير المؤمنين وثاقه
 فاصح منه بقية الحداد (٢)

وكان المأمون انا نظر الى ابي عباد يضحك ويقول لمن يقرب
 منه والله ما كذب دعبل في قوله ويردد الابيات السابقة (٣) .
 ولم يترك دعبل احدا من الولاة أو الوزراء او صاحب منصب
 في الدولة العباسية الا صب عليه جام غضبه واصلاد نارا حالمة ..
 فهم جميعا في نظره ممثلون لرغبات الخلفاء .. فنراه يهجو طاهر بن
 الحسين في قوله :

وذى يمينين وعين واحدة نقصان عين ويهين زائدة

(١) ديوان دعبل ٢٤٥ .

(٢) ديوان دعبل ١٨١ .

(٣) الاغانى ٢٠ : ٩٣ .

كما هجا الكاتب احمد بن ابي ذواد لطمته دعيل بحضرة المأمون
والاعتصم تقريبا اليهما * - وكان ابن ابي داود قد تزوج امراتين
من بنى عجل في بنة واحدة فقال فيه :

غضبت عجلا على فرجين في بنة
أفسدتهم ثم ما اصلحت من نسبك
والر خطبت التي طوق وأمرت
فزوجك لما زادوك في حسبك
ان كان قوم أراد الله خزيهم
فزوجك ارتغابا منك في ذهبك
فذاك يوجب أن النبع نجمه
الى خلافك في العيدان او غربك
عد البيوت التي ترضي بخطبتها
تجد فزارة العكلى من عربك (١)

وهجا كذلك الوزير محمد بن عبد الملك الزيات بعد ان مدحه
لانه لم يرض بما أمر به فقال فيه :

يا من يقلب طومارا ويلثمه
مانا بقلبك من حب الطوامير
فيه مشابه من شيء تمر به
طولا بطول وتدويرا بتدوير

لو كنت تجيع لاصولا كجمعكها

انن جمعت بيوتا من دنائير (١)

وفي هجائه للكاتب عمرو بن مسعدة أخرجه من ديوان الكتابة
الى ديوان الشماذة والتسول فقال :

لولا تكون كتائب لك ربيعة

يقضي الحوائج مستطيل الراس

لم تغد بالملبون عند فطامه

يوما ولا بطجن القلقاس

يفدو على أضيافه مستطعما

كالكلب يأكل في بيوت الناس (٢)

وهكذا كان الشاعر مثالا للثورة والتجرد والتحدى لسلطان
العباسيين الذين هم في نظره مثالا صارخا للظلم والاستبداد
والغصب للحقوق بنى عمومتهم من العلويين الذين أحبهم الشاعر
واخلص لمبادئهم .. ورأى فيهم صورة حية للعدل .. والرحمة فسخر
نفسه وقلمه للدفاع عنهم وأظهر حقتهم .. وهجاء أعدائهم ..
وكان مثله في ذلك كمثل الكميث بن زيد في العصر الاموي الذي وهب
حياته للدفاع عن بني هاشم متحديا في ذلك سلطان الامويين .. ودفع
حياته في النهاية ثمنا لهذا الحب واذا كان الكميث قد اضطر الى

(١) المصدر السابق ٢٠٥ .

(٢) ديوان دعبل ص ١٥٧ .

مهادنة الامويين وهداهم فان دعبلًا لم ينحن ابداً لسلطان العباسيين
وظل طوال حياته حراً تطبيقاً لا يخضع لقيود ولم تغره العطايا كما
لم ترهبه السلطة *.

ج - التشيع في شعر دعبل

كان الشاعر دعبل بن علي يعتقد مذهب الشيعة الامامية وهم
القاتلون بامامة علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم
نصاً ظاهراً ، وبقينا صادقاً من غير تمريض بالوصف بل اشارة
اليه بالعين (١) .

وكان الامامية يرون أن علياً عليه السلام يستحق الخلافة لا من
طريق الكفاية ولا من طريق ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم
من اوصاف لا تنطبق الا عليه بل عن طريق النص عليه بالاسم ثم
يرون أن الائمة هم علي وأبناؤه من فاطمة ، واذا كان علي معنياً
بالاسم من النبي فأبو بكر وعمر مقتضيان ظالمان يجب التبرؤ
منهما (٢) .

ويرون ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولي علياً بالنص يوم
« غدیر خم » عندما قال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من ولاة
وعاد من عاداه وقد آمن دعبل بهذه الافكار بيد أنه لم يكن مغالياً في
تقديس علي وابنائهم كما يفعل بعض الشيعة الامامية .

(١) الفرق بين الفرق للبندادي ص ١٥ ط بالقاهرة .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٠٨ .

ولقد صاغ دعبل كثيرا من افكار الشيعة التي آمن بها ضياغة
شعرية رائعة فنراه يضمن شعره الحديث السابق فيقول :

فقال ألا من كنت مولاه فيكم

فهذا له مولى بعبيد وفاتى

أخي ووصي وابن عمي ووارثي

وقاضي ديونى من جميع عاداتى (١)

كذلك يصوغ قول النبي صلى الله عليه وسلم في مؤاخاته لعلى

« أنت أخى في الدنيا والآخرة » عندما أذى بين المهاجرين والانصار .

وقوله عليه الصلاة والسلام لعلى « أما ترضي أن تكون متحدا

بمنزلة هارون بن موسى إلا أنه لا نبي بعدى » بقوله عن على :

أخو المصطفى بل صهره ووصيه

من القوم والسنة للعسوات

لهارون بن موسى على رغم معشر

سقال لثام شقق البشرات (٢)

ومن المبادئ الشيعية التي ردها دعبل في شعره مبدأ الترجمة

وهو الاعتقاد في المهدي ، والايان بعقيدة رجوع الامام بعد غيبته

أو موته يقول في تائيته الكبرى :

(١) ديوان دعبل ص ١٤٢ .

(٢) ديوان دعبل ص ١٤٨ .

خروج امام لا محالة خارج
يقوم على اسم الله والبركات *
يميز فينا كل حق وباطل
ويجزى على النماء والنقمة

ومن المبادئ التي آمن بها كذلك واعتنقها مبدا الارث الذي
يتنادى بأن العم الشقيق مقدم على العم غير الشقيق وأن عليا رضي
الله تعالى عنه مقدم على العباس في ارث النبي صلى الله عليه وسلم
لان عليا ابن عم شقيق يقول دعبل في هذا :

فيا وارثي علم النبي وأنه
عليكم سلام دائم النفحات
هم اهل ميراث النبي اذا اعتزوا
وهم خير سادات وخير حماة (١)

« وكان دعبل بن الشعراء المخلصين في تشييعهم ولم يكن من
هؤلاء الذين يتخذون من التشيع مأوى يلجأ اليه كل من أرد هدم
الاسلام لمداورة أو حقد أو بهن يتخذون حب اهل البيت سبتارة
يصنعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم فساعده اخلاصه وايمانه
الخالص بمذهبه على أن يرقى الى مصاف شعراء الشيعة الاول
حتى عرف عنه بأنه شاعر اهل البيت (٢) »

(١) المرجع السابق ص ١٢٢ *

(٢) الصورة الفنية في شعر دعبل ص ١١٤ *

ولذا نجد دعبلًا يؤكد دائما حبه لأهل البيت ويعد ذلك تقربا
إلى الله عز وجل ويطلب من الله أن يزيد حبالهم حتى يكون ذلك
ذخرا له عن ربه ٠٠ فيقول :

ملاّك في أهل النبي فانهم
أحبلى ما عاشوا وأهل ثقلى
فيارب زدنى من يقينى بصيرة
وزد حبههم يا رب في حسنتى
سأبكيهم ما حج لله راكب
وما نوح قمرى على الشحرات (١)

ويستمر الشاعر في بكائه على أهل البيت وماحل بهم من نكبات
وأهوال ، فيجعل دموعه تهطل دائما ما رات الشمس تشرق على
الدنيا فيقول :

سأبكيهم ما ذر في الأرض شارف
وتأدى منادى الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحن غروبها
وبالليل أبكيهم وبالغدوات (٢)

ولا يرمى الشاعر من وراء هذه الدموع المسكوبة الا رضا الله
تعالى ٠٠ فلم يكن يطمع في نوالهم ٠٠ أو جاههم ونفوذهم فلقد كتبت
بأيدي أعدائهم وإنما كان يرجو ثواب الله وجناته فيقول :

(١) ديوان دعبل ص ١٤٠

(٢) ديوان دعبل ص ١٤٢

فأنى من الرحمن أرجو بحبهم
حياة لدى الفردوس غير ثبات (١)

ويعلن دعبل الحداد العام على ما أصاب أهل البيت من نكبات
فيقول :

لا اضحكة الله من الدهر ان ضحكت
وآل احمد مظلومون قد قهروا
مشردون تقوا عن عقر دارهم
كأنهم قد جنوا ما ليس يفتقر (٢)

ويتحدث دعبل عما أصاب عليا وابناءه من نكبات .. حديثا
يقطر لسي ويفيض حزنا وبرارة .. وهو لا يستخدم أسلوب الجدال
والهجاج كما كان يفعل الكميت بن زيد وإنما يلجأ الى اشارة العاطفة
وتحريك الوجدان .. وسكب الدموع .. فيقول :

تعز فكم لك من أسوة
تسكن عنك قليل الحزن
إذا عظمت محنة عن عزاء
فمادل بها صلب زيدتهن
وأعظم من ذاك قتل الرضي
وذبح الحسين وسم الحسن (٣)

(١) ديوان دعبل ص ١٤٤

(٢) المرجع السابق ١٦٨

(٣) نفسه ٣٠٣

ويكرس الشاعر مديحة لآل البيت قاصرا به على الهداة من
بيت الكرامات فيقول في ثائيته الكبرى :
سقى ورعية لانيام الصبايات
أيام ارفل في أثواب لذاتي
أيام غصني رطيب من لدونته
أصبو الى غير جرات وكثات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه
واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله
نحو الهداة بنى بيت الكرامات (١)

ويعدد فضائل الامام علي ويصوغها اشعارا مؤثرة ٠٠ ويسلك
أحيانا طريقا خطيبيا ليؤكد فكرته ويرسخها في أذهان السامعين
فيصوغ حادثة مبيت علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الهجرة شعرا فيقول :

وهو المقيم على فراش محمد
حتى وقاه كائدا ومكيدا
وهو المقدم عند حومات الوغى
ما ليس يذكر طارفا وتليدا (٢)

(١) نفسه ١٤٦ .
(٢) ديوانه ص ١٧٢ .

وفي نهاية حديثه عن علي يرسل إلى قبره سلاماً حاراً بالبغداد وبالعمشي ويعرض بالشيخين تعريضاً خفيفاً حيث يؤكد أن الناس إذا كان هدفهم زيارة قبر الشيخين فإن له وجهة أخرى غيرهم وهو التوجه إلى قبر الإمام فيقول:

سسلام بالبغداد وبالعمشي
 على جدث بأكناف الغرى *
 ألا يا هيذا ترب بنجد
 وقبر ضم أوصال الوصي
 لكن حجوا إلى البلد القصي
 فمجي ما حبيت إلى علي
 وان زاروا هم الشيخين زرنأ
 عليا وابنه سيط الرضي (١)

لما حادثة استشهاده الحسين في كربلاء فقد ألهمت عواطف شعراء الشيعة واستدرت دموعهم ومارعوا إلى تصويرها تصويراً يحز في النفس ويوجع القلب .

وفي أشعار دعبل التي تصور مصرع الحسين معان صادقة مهيبة عن شعور صادق وإيمان راسخ وعقيدة ثابتة بحب آل البيت والتألم لما أصابهم من تكبات فيقول:

(جو) الغرى والغريان بناء ان كالصومتين بظاهر الكوفة بالقرب من
 قبر الامام علي *
 (١) ديوان دعبل ص ٣١٤ .

انسبلت دمع العين بالمسرات
 وبث ثقابي شدة الزفرات
 الا فأبكمم حقا وأجر عليهم
 عيونا لريب الدهر منسكيات
 ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم
 بداهية من أعظم النكبات
 وصلّى على روح الحسين وجسده
 طريحا لدى النهرين بالفلوات
 فقلّ لابن سعد أبعد الله سمده
 ستلقى عذاب النار واللعات (١)

« فالشاعر يعبر عما رواه التاريخ عن مصرع الحسين في تلك
 الحملة النادرة التي أوعز بها يزيد بن معاوية وجهازها عبيد الله بن
 زياد بن أبيه وقادها عمر بن سعد بن أبي وقاص وشمر بن ذي
 الجوشن .

وتشير الصورة الى ما عرف من اخبار كارثة كربلاء عندما حال
 جيش بني أمية بين الحسين والماء فتستدر عطف المسلمين
 وتسيل دموع العين عبرات بكية وتشحن الصدر حسرة وزفرة على
 الشهيد المظاوم وتصب اللعات على القتلة الظالمين ، فالصورة
 تبدو هادئة رزينة تميل الى الحزن القاتم وتعبّر عن عواطف صادقة

خالية من التطرف بعيدة عن الغلو والمبالغة ولكنها لم تصور المعركة وما دار فيها ولم تصف بطولة الامام وصاحبه ، ولم تهتم بما دار في القتل والنصب جل ههما على اشارة الوجدان وتحريك الهمة وهي السعة الغالبة على صورة التشبع عند دعبل « (١) » .

د - النائية الكبرى

من القصائد التي نالت شهرة واسعة في عالم الادب الشيعي نائية دعبل بن علي في آل البيت وتعد فريدة في هذا الباب . . . اذا سجل فيها دعبل آراءه ومواقفه من اهل البيت ومن خصومهم . . . كما بكى فيها بمسارع الملويين بكاء حاراً مؤثراً . . .

وقد اختلف المؤرخون في مطلعها . . . ويكادون يجمعون على أن مطلعها هو :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزلاً وهي مقفر العرصات

بينما يطالنا الدكتور محمد يوسف نجم محقق ديوان دعبل
بمطلع آخر النائية هو :

ذكرت محل الربع بن عرفات
فأجريت دمع العين بالعبرات

(١) الصورة الفنية في شعر دعبل ص ١٢٢ .

وقد نالت التائية شهرة واسعة ونسجت حولها القصص والاساطير من ذلك ما يرويه دعبل نفسه حيث يقول : دخلت على علي ابن موسى الرضا فقال لي : انشدني شيئاً مما احداثت بمعدى فانشدته :

مدرس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحى مقفر المرصات

حتى انتهيت منها الى قولى :

انا وتروا مدوا الى واتريهم اكفا من الاوتار منقبضات

قال : فيكى حتى اغمى عليه واوماً خادم كان على رأسه الى ان اسكت . فسكت ساعة ثم قال لي أعد ، فأعدت حتى أنتهيت الى هذا البيت ايضاً فأصابه مثل الذى أصابه في المرة الاولى واوماً الخادم الى أن اسكتا فانسكت ثم مكث ساعة أخرى وقال لي : أعدا فأعدت حتى انتهيت الى آخرها فقال لي احسنت ثلاث مرات ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه وقدمت العراق وبعث كل درهم منها بعشرة دراهم فحصل لي مائة الف درهم (١) .

وهناك خبر اخر لا يقل غرابة عن سابقه بل هو يعد من باب الاساطير حيث يذكر الشاعر ان الجن طلبت منه ان ينشدها وذلك انه سمع من يقول له والباب مردود عليه السلام عليكم ألح يرحمك الله ويقول دعبل . . . فاقشعر بدننى ونالنى امر عظيم . فقال لي : لا ترع:

(١) الأغاني ١٨ : ١٠٢ .

– عيفك الله – فانى رجل من اخوانك من الجن ثم من ساكنى اليمن
 طراً علينا طارىء من اهل العراق فأنشدنا قصيدتك « مدارس
 آيات » فأحببت سماعها منك قال : فأنشدته ايها فبكى حتى خر (٢)

ويبدو ان الشيعة كانوا يصنعون هذه الاحاديث على لسان دعبل
 ليشفوا الناس بأمر هذه القصيدة ويحملونهم على قراءتها والتمنق
 بها ..

وهناك خبر ثالث في الاغانى يجسم امر هذه التائيه ومدى انشغال
 الشيعة بها .. فيحكى صاحب الاغانى « ان الشاعر استوهب من
 الرضا عليه السلام ثوبا قد لبسه 'يجاءه في كفانه فخلع جبة كانت
 عليه فأعطاه ايها وبلغ اهل «قم» خبرها فسألوه ان يبيعهم ايها
 بثلاثين الف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوا منه غصبا
 وقالوا له : ان شئت أن تأخذ المال فاقبل والا فأنت اعلم فقال لهم :
 انى والله لا اعطيكم ايها طوعا ولا تناءكم غصبا وانسركم الى
 الرضا فصالحوه على ان اعطوه الثلاثين الف درهم فردهم « (٢)

وأحتلت اتناكيه اهتمام كثير من الباحثين .. وقام بشرحها عددا
 وفير من الإديباء والمؤلفين منهم :

١ – محمد بن باقر بن محمد تقى المتوفى سنة ١١١١ هـ بالفارسية

٢ – السيد نعمة الله الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢ هـ .

(١) المرجع السابق ١٨ : ٩٤ .

(٢) الاغانى ١٨ : ٩٤ .

٣ - كمال الدين محمد بن معين الدين الشيرازي المتوفى سنة ١١٠٣ في طهران .

٤ - الميرزا حسن بن عبد الكريم المتوفى سنة ١٣١٠ هـ .

٥ - علي بن عبد الله التبريزي المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ .

وتسيطر على الثنائية نزعة البكاء المؤثر والعزيم والانات المؤلمة التي تحرك المشاعر وتثير العاطفة والوجدان حيث يبدوها بقوله :

بكت لرسم الدار من عرفات
 وأذريت دمع العين بالمعبرات
 مدارس آيات خلست من تلاوة
 ومنزل وحى مقفر العرصات
 ديار عفاها كل جنون مسادر
 ولم تصف الايام والسنوات
 سأكبهم ماجح الله راكب
 وما ناح قمرى على الشجرات
 فيا عين بكبهم وجودى بعيرة
 فقد آن لتسكب والهملات
 سأكبهم ما ذر في الارض شارق
 ونادى منادى الخير بالصلوات (١)

(١) ديوان دعبل ص ١٤٢ .

ثم يتحدث في مقطع منها عن حق العلويين في الخلافة بوصفهم
ورثة النبي - صلى الله عليه وسلم - وان أعداءهم ليسوا بسوى
حاسدين لهم على هذا الشرف ومكذبين بما تواتر من خبر الوصية
لعلى وحاقدين عليهم *

فيقول :

قفا نسأل الدار التي خف أهلها
متى عهدتها بالصوم والصلوات
وأي الألى خفت بهم غربة النوى
أقليات في الأفاق مقتربات
هم أهل عيراث النبي انا اعتزوا
وهم خير سادات وخير حممة
وما الناس الا حاسد ومكذب
ومضطغن ذو احنه وتراث

ومن اهم المعانى التي حفلت بها اثنائية الاشارة الى بعض
المواقف التاريخية التي تثبت احقية الشيعة في الحكم من ذلك أنها
تصور ما دار في اجتماع السقيفة وبيعة غدیرخم ، وتسجيل ما دار
في غزوة بدر وخيبر وحنين كما صورت أيضا استشهاد الحسين في
كربلاء وتمثل تلك اللوحة الجانب التاريخي في التنايه حيث يقول
الشاعر :

: وما نال أصحاب السقيفة امرة

بدعوى تراث بل بأمر تراث

فان جحدوا كان الغدير شهيده
 وبدر واحد شامخ الهضبات
 انا اذكروا قتلى ببدر وخيبر
 ويوم حنين اسبلوا العسبرات
 افاطم لو خلت الصنين مجدلا
 وقد مات عطشاننا بشط فرات
 اذن للطبت الخد فاطم عنده
 وأجريت دمع العين في الوجنات

ثم يمضي فيقدم فيما يشبه المناجاة المبررات التي تجمله شديد
 التعلق بهم سائلا الله ان يثبت يقينه فيهم ويزيده بصيرة متقربا
 اليه تعالى بحبهم حيث قول :

ملامك في اهل النبي فانهم
 احباي ما عاشوا وأهل ثقاتي
 تخيرتهم رشدا لامر فانهم
 على كل حال خيرة الخيرات
 فارب زدني من يقيني بصيرة
 وزد حبهم يارب في حسناتي

ثم يشير الى ما كان من استصفاة العباسيين اموالهم وحرمانهم
 من فيئهم وتركهم مشتتين في الارض يعاتون الضنك والصرمان
 فيقول : -

السم ترانى من ثلاثين حجة
 ارواح وأغسداوا دائم الحسرات
 أرى فيتهم في غيرهم متقسما
 وايديهم من فيتهم صفرات
 قال رسول الله تحف جسومهم
 وآل زياد حفصل القصرات
 بتات زياد في القصور مصونة
 وآل رسول اللال في الفلوات

ومع ذلك كله فالشاعر غير يئس من ان يأتى اليوم الذى يظهر
 فيه منهم امام الهدى ليكبح الظلم ويقر العدل بل انه في ذلك لعل
 يقين يقول :

فلولا الذى ارجوه في اليوم او غد
 لقطع قلبى أثر هم حسرات
 خروج امام لا محاله خارج
 يقوم على اسم الله والبركات
 يميز فينا كل حق وباطل
 ويجزى على النعماء والنقمت
 سأقصر نفسي جاهدا عن جدالهم
 كغسانى ما اتقى من العبرات

ومن دراسة مضمون الاتنية الفكرى بصفة عامة يمكن القول
 بأنه يغلب عليها الطابع الحزين حيث يعبر الشاعر عن حزنه الدفين

والله العبيق لما نزل بأحيائه من الشيعة ويتضح ذلك في اختصار
الشاعر ألفاظ القصيدة التي يتوسل بها في تشييمه مثل الزفرات
والعبرات والحسرات .. وتعد الثانية ملحمة بكائية كبرى ولذا
فقد اهتم بها الشيعة ايما اهتمام وحفظوها ورددوها في كل
المناسبات فهي لوحة فنية كبرى ..

ولم يخرج الشاعر في تائيته عن منهجه المعروف في اثاره العاطفي
وتحريك المشاعر وتأليب النفوس في طلب الثأر وارجاع الحق الى
نصابه ..

هـ - منزلة الشاعر بين شعراء الشيعة

من شعراء الشيعة المرموقين الذين تأثر بهم دعيلاً بن علي -
الكمي بن زيد الاسدي . ولقد قرأ دعيلاً - من غير شك - شعر
الكمي وأعجب به .. كما شاهد اعجاب الناس بالكمي وتقديسهم
له بوصفه شاعر اهل البيت ..

ولقد كانت هناك امور مشتركة بين الشعارين الكبريين فكل
منهما نشأ في الكوفة موطن التشيع ومعقل الثورة والتمرد فلا غرابة
ان ينشأ كل منهما محباً لاهل البيت ناقماً على اعدائهم من امويين
وعباسيين ..

وكان الكمي مخلصاً لمقيدته صادقاً في حبه لكل البيت - وهو لم
يمدح اعداءهم الا مرغماً .. وكذلك كان دعيلاً صادقاً في حبه لاهل
البيت مخلصاً لهم لم يهادن اعداءهم ولم يذثن امام التيارات

العاصفة ٠٠ بل وقف كالطود الراسخ والجين الأشم يدافع عن عقيدته
ويحرض للناس على العباسيين الذين كانوا في نظره بمقتصبين
للخلافة من العلويين ٠٠

ومن يقرأ شعر دعبل ٠٠ يجد أنه قد تأثر في كثير من صورة وافكاره
بشعر الكميث ٠٠

وأول هذه الامور أن الكميث كان كثير الهجاء لبني أمية حتى
يؤلب الناس عليهم ويزلزل اركان دولتهم ٠٠

كقوله فيهم :

فقل لبني أمية حيث حلوا
وان خفت المهند والقطيما
الا اف لدمركت فيه
هدانا طائعا لهم مطيما
أجاع الله من اشيعتموه
وأشبع من بجورككم أجيما (١)

وقد عرفنا ان دعبلا كان كثير الهجاء للخلفاء العباسيين امثال
الرشيد والمأمون والمعتمد والمتوكل ٠٠ كما هجا عمالهم ووزراءهم
وقوادهم وكبار رجال دولتهم بأقذع الهجاء ٠٠ وكان هدفه تحريض
المسلمين عليهم وزلزلة الارض من تحت اقدامهم حتى يعبروا الحق
الى نصابه ٠٠ وتعود الخلافة الى العلويين أصحابها الاصليين ٠٠

(١) الأغانى ١٥ : ١١٤ .

وقد كان الكهيت مجددا في بناء القصيدة حيث شرع على المقدمة المتوارثة التي تبدأ بالوقوف على الاطلاق والغزل ٠٠ واستبدل بها الشوق والحنين الى آل البيت كقوله :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب
ولا لعيا منى واذو الشيب يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل
ولم يتطربني بلسان مخضب
ولكن الى اهل الفضائل والنهي
وخير بنى حواء والخير يطلب

وقد تأثر دعبل بتلك المقدمة الروحية فثار على المقدمة الطنابية ٠٠ وبدأ قصيدته في مدح الامام علي الرضا بقوله :

بدأت بحمد الله والشكر أولا
ومدح امام عزه تروى المآثر (١)
كما افتتح قصيدة أخرى على هذا النمط بقوله :
شفيمن في القيامة عناد ربي
محمد والرضي مع البكرول
وسبطا أحمد ويثبو بنيه
اولئك ساداتي آل الرسول

(١) ديوان دعبل ص ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٦٢ .

وقد كان الكهيت شيعيا معتدلا حيث كان يجيز امامة المفضول مع وجود الفاضل ٠٠ ولذا لم يسب الصحابة ، ولم يكفر أبا بكر ولا عمر كما فعل كثير من الشيعة الغالية

أهوى عليا أمير المؤمنين ولا
 اليوم يوما أبا بكر ولا عمرا
 ولا أقول وان لم يعطيا فدكا
 بنت النبي ولا ميراثه كفسرا
 الله يعلم ماذا يأتيان به
 يوم القيامة من عذر اذا اعتذرا

وكذلك كان دعبل شيعيا معتدلا فلم يسب الصحابة ٠٠ ولم يكفر أبا بكر ولا عمر ٠٠ مع حبه الشديد لعلي وأبناؤه ٠٠ والكهيت يحرص على تصوير آثار الظلم وهي عنده تتمثل في سنة الظالمين وهزال المظلومين إذ يقول :

أهل كتساب نحن فيه وانتم
 على الحق نقضي بالكتاب وتعذل
 فكيف ومن انى واذ نحن فرقة
 فربقان شتى تسبون ونهزل

وقد تأثر دعبل الخراعى بهذا المعنى واستعمله في شعره حيث يقول :

فألّ رسولٌ نحف جسدهم

وألّ زيادٌ حفلاً القصرات (١)

والكبيت يقاسي من حب آل البيت ويتحمل في سبيلهم كثيراً من
المشقات والآلام ٠٠ ويصر على اذى اعدائهم من أجلهم حيث يقول :

ألم ترني من حب آل محمد

أروح وأغدو خائفاً اترقب

على أي جرم ام بأية سيرة

اعسف في تقريظهم وأؤنب

ودعبل يقضي حياته متألماً من أجل آل البيت وتصيبه الحسرة
والآلم من أجل الظلم الواقع عليهم فيصوع نفس المعنى الذي رده
الكبيت بقوله :

الم تر انى من ثلاثين حجة

أروح وأغدو دائم الحسرات

ارى فيئهم في غيرهم متقسما

وأيديهم من فيئهم صفرات

وكان الكبيت اذا تعرض في هاشمياته لحادث مقتل الحسين
ابكى العيون ، وأدمى القلوب ، والهيب المشاعر ٠٠ أستمع اليه
يقول :

(١) ديوان دعبل ١٤٣ •

ومن أكبر الأحداث كانت مصيبة
 علينا قتل الادعاء المطلب
 قتل بجنب الطف من آل هاشم
 الا حبذا ذلك الجبين المقرب
 قتل كان السوله القصر حوله
 يطفن به شم العرائن ربريب

ويتأثر دعبل بهذا المشهد ويبكى على الحسين في كربلاء
 ويستمطر له شأبيب الرحمة حيث يقول ..

سقى الله أجدانا على طف كربلاء
 مراع امطار من المسزونات
 وصل على روح الحسين وجسمه
 طريحا لدى النهيرين باللافوات
 أنسي وهذا النهر يطفح ظامنا
 قتيلا ومظومة بغير تراث (١)

وهن الموضوعات المشتركة بين الكميت ودعبل مدح آل البيت
 بالشهامة والكرم والنجدة .

يقول الكميت :

بل هوای السدی اجن وایسدى
 لینی هاشم فروع الأنام

(١) ديوان دعبل ص ١٥٠ .

للقرييين من لندى والبهيـ
 يدين من الجور في عرى الاحكام
 والمصيين باب ما اخطأ النا
 س ويرسي قواعد الاسلامى
 والحماة الكفاة في المررب
 ان لف ضرام وقسودها بضرام
 والغيوث الذين ان أمجل الناس
 فماوى حواضن الايتام (١)

ويقول دعبل في الامام الرضا :
 له سسماء تغدو كل يوم
 بنائلة وسارية تطوف (٢)

ويقول :
 وقد كنا نؤمل ان سيحيا
 امام هدى له راي حصيف
 ترى سكتاته فتقول غر
 وتحت سكونه راي ثقيف (٣)

ويعطر الكميث هاشمياته بذكر النبو صلى الله عليه وسلم
 والثناء عليه حيث يقول :

- (١) الهاشميات ص ٢٠
 (٢) ديوان دعبل ٢٢٥
 (٣) المرجع السابق ص ١١٨

فبورككت مولودا وبورككت ناشئا
وبورككت عند الشيب اذا انت اشيب
وبورك قبر أنت فيه وبورك
به وله اهل لذلك يقرب

كذلك يكثر دعبل من الثناء على النبي صلى الله عليه وسلم حيث
يقول في ثانيته :

سقى الله قبرا بالمدينة غيته
فقد حل فيه الامن بالبركات
نبي الهدى صلى عليه بملكه
ويبلغ عنا روحه التحففات
وصلى عليه الله ما ذر شارق
ولاحت نجوم الليل مبتدرات

ومن المؤكد أن تشيع الكمية لم يكن للدنيا ، واو طلب الدنيا
لاتى من هي بين يديه ولكنه كان حيا خالصا لله ورسوله ولا أدل على
ذلك من انه دخل على ابي جعفر محمد بن علي فأنشده قصيدته
التي أولها : من لقلب متيم مستهام

فأمر له بهال وثياب فقال الكمية : والله ما أحببتكم للدنيا
ولو اردت الدنيا لاتي من هي في يديه .. ولكنني أحببتكم للاخرة ..
فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فاذني اقبلها لبركتها واما المال
فلا اقبله فرده وقيل الثياب (١) .

(١) معامد التنصيص للمباني ص ٩٥ .

وكذلك كان دعبل بن علي لم يكن يحب العلويين من أجل الدنيا ولو رغب في الدنيا لأقبل على العباسيين كما كان يفعل مروان بن أبي حفصة وغيره .. ولكنه كان يحبهم تقريبا إلى الله تبارك وتعالى بحبهم ..

كذلك يتفق الشاعران في جزالة الالفاظ وفخامة الكلمات واستخدام الاسلوب الفصيح الرصين .. واصبح دعبل شاعر اهل البيت في العصر العباسي كما كان الكنتيت شاعر اهل البيت في العصر الاموي ..

ولعل الفرق الوحيد بينهما هو اختلافهما في أسلوب المعالجة لقضية الشيعة .. فالكنتيت كان يعتمد على أسلوب الحجاج والبرهان والدفاع بالمنطق .. أما دعبل فكان يعتمد على اشارة العاطفة وتحريك الوجدان والعرف على قيثارة الحزن والبؤسة لاثارة الجماهير .. ودفعهم إلى معاداة العباسيين ، والعطف على العلويين والوقوف بجانبهم وقد نجح كل منهما فيما أراد .

و - بين دعبل والسيد الحميري :

كان السيد الحميري شيعيا مبالغا في تشييعه .. ولكنسه كان يختلف عن دعبل في تصويره لعقيدته الشيعة اختلافا كبيرا ..

فالسيد الحميري كان مثالا للشيعي المتطرف المغالى في تشييعه ولذا فقد اكثر من سب صحابة رسول الله وذريته والصاق الاتهام بهم وثلبهم من الفضائل الخلقية والدينية .

اما دعبل فقد كان معتدلا في تشييعه ولم يستمع عتته انه سب

الصحابية أو انتقصهم وانما كان كالكهنت يرى جواز ائمة المفضول
مع وجود الافضل .

كما أن السيد الحميري كان يؤمن بكل ما أضيف الى الامام عنى من
صفات وفضائل ولو كانت فضائل خرافية من اختراع الشيعة الغالية
وكان يصوغ كل ذلك شعرا من غير تبحر حتى كان يقف بالكوفة
ويقول : من اتى بفضيلة لعلى بن ابي طالب ما قلت فيها شعرا
فله دينار . .

أما دعبل فلم ينسب الى الامام الا الفضائل المتواترة المعروفة
من سيرته . . ولم يلصق له شيئا من الخرافات او الاساطير كما فعل
السيد الحميري .

وكان السيد الحميري منافقا حيث كان يمدح العباسيين لينال
جوائزهم وفي الوقت نفسه كان يمدح العلويين لانه يحبهم ولم يسلك
في ذلك طريقا مستقيما بل كان يمدح بنى العباس بنسبانه ويلعنهم
بقلبه ليتقى شرهم .

« فقد سلك طريقا آمن به ايقاع العباسيين وتكليفهم فسكان
يعلى شأن العلويين ويهددهم ويذم الصحابة وبنى أمية ثم يمدح
على العباسيين ويمدحهم لانهم من بنى هاشم فبلغ ما اراد ولم
ينتقم منه العباسيون بل نال جوائزهم » (١)

(١) حديث الأربما، ٢ : ٢٤٠ .

ومنا عيب على السيد الحبيرى أنه كان يرتكب ذنوبا ويمتقد
أن آل النبي سيشفعون له لمدحه ايهم بينما خلت صورة التشريع
عند دعبل من رواية الاساطير ومن تسجيل الخرافات ومن المسدارة
والنفاق ومن شتم الصحابة وسب السلف الصالح وما لا يقبله العقلاء
ولم يرتكب دعبل ذنوبا طمعا في الشفاعة بل لعب على أوتار العاطفة
فهز القلوب وحرك المشاعر ..

فصل الخامس

الصراع العباسي العلوي

بين ابن المعتز وتميم بن المعز

بقى علينا في تصوير الصراع بين العباسيين والعلويين ان نتحدث عن بطلين كبيرين من ابطال هذا الصراع .. احدهما عباسي .. والآخر علوي .. وكلاهما أمير خطير .. وشاعر قدير اجتمعت له المكانة السليمة في قومه .. وعلو قدمه في عالم الشعر ، والعلم والفن اما الاول فهو الامير عبد الله بن المعتز العباسي .. والثاني هو الامير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ..

ولقد كان هناك شبه بين الاثنين ، على الرغم من الخلاف الشديد في المذهب والاتجاه .. فكل منهما أمير .. هذا أمير عباسي وذاك أمير فاطمي ، وكل منهما من بيت رفيع المعاد ينتهي نسبه الى هاشم بن عبد مناف .. وكل منهما شاعر مجيد اشتهر بروعه التشبيهات ورقيق الاستعارات ، وعذوبة الاسلوب والدقة في الاداء ..

ولقد كان تميم حريصا على محاكاة ابن عمه عبد الله ، يحاكيه تارة ويناقضه تارة اخرى وهو في كلتا الحالتين يذبح على منواله .. ويسير على طريقته ويعزف على قيثارته .. وقد قرأ تميم ديوان ابن المعتز وأعجب بشعره .. ولاحظ مفاخرته بأل بيتسه وهجومه على العلويين في كثير من قصائده فقرر ان يرد على هذا الفخر

بإظهاره مآثر الملويين وفضائل علي ٠٠ فرد على الهجوم بهجوم
مثله ٠٠

ولعل السر في تعلق تميم بآبن المعتز ومحاكاته ومناقضته هو أن
المغاربة كانوا حريصين على تقليد أهل المشرق في كل شيء لأن اللغة
نبعت من الشرق وهي أصل العلم ومنبع الحضارة وإذا فقد كان أهل
الاندلس حريصين على تقليد المشارقة والتشبيه بهم ، والتعلق
بآذيتهم ٠٠ فإذا نبغ شاعر في الاندلس راهوا يتلمسون له أقرب
الشعراء إليه من أفضال المشرق فآبن هاشم الاندلسي كانوا يطلقون
عليه متبى للغرب وآبن زيدون بحضري الغرب ، وهكذا حتى لقبنا
عاب عليهم آبن بسام صاحب النخيرة هذه الظاهرة عندما قال :
« انه لو نعق بتلك الأفق نراب او طن بأقصى الشام والمراق ذياب ،
لجثوا على ذلك صنما وتلوا ذلك كتابا محكما (١) »

فلا غرابة ان يتشبه تميم بآبن المعتز ولا غرابة ان يقلده ويحاكيه
ويفاخره ويرد عليه ٠٠ لأنه أمير وشاعر مثله ٠٠ ولكل منهما نصيب
في رقة الشعور وعدوية الشعر وجمال التشبيهات ولطف الكنايات
ورقة الاستعارات ولم يتباعد بينهما الزمان فبين مقتل آبن المعتز
وميلاد تميم فترة زمنية صغيرة لا تتجاوز أربعين عاما ٠٠

وقد لاحظ الاقديون هذا الشبه الكبير بين تميم وآبن المعتز ٠٠

(١) تاريخ النقد الأدبي د . محمد زغلول سلام (١ : ٦٦ - ط دار
العارف مصر)

يقول ابن فضل الله العمري « تشبه تميم بأبن عمه ابن المعتز وتشبهت
بذيئه » (١)

ويقول ابن الأبار : شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا
مدافع وكان فيهم كابن المعتز في بنى العباس غزارة علم ، ومعاينة
أدب وحسن تشبيه ، وإبداع تخييل وكان يقتفى آثاره ، ويصوغ
على مناحيه في شعره أشعاره .

ولشدة إعجاب تميم بأبن المعتز كان يتصفح ديوانه ويحاول أن
يعارضه في قصائده وأن يتفوق عليه في أفكاره ومعانيه وألفاظه .

وفي ديوان تميم ما يدل على أنه كان يعارض ابن المعتز ويرسل
بالمقطوعتين إلى أحد الشعراء ليحكم بينهما .

قرأ لابن المعتز مقطوعة غزلية رقيقة فمارضسها وأرسل
المقطوعتين إلى أبي عبد الله الرسي وحكمه بين الاثنتين . فكتب
الحكم رايه شعرا قال ابن المعتز :

شغلت بلذة القبل
ووعد التنب والزسل
ومعشوق يواصلني
بلا هطل ولا علبل

(١) مسالك الأبحار ص ١ من القسم الأول من الجزء الثاني عشر :
نسخة خطية معار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .

أتى عجيلا يطير به
 جناح الخوف والوجل
 ودمعان يساعدي
 ويسقيني ويشرب لي
 مزرعة اذا اضرم
 تها ترميك بالشعل
 مسودة اذا مزجت
 كسورد انخد من خجل

فعارضها تميم في قوله :

شغلت بخاسة المقل
 ومزج الكحل بالكحل
 وما اعتلت به الالحا
 ظ في اجفانها النجل
 وممشوق يكاد يذو
 ب خداه من القبل
 يمتبني ويمتنسي
 ويغضبي ويغضب لي
 تلاقينا بلا وعد
 ولا كتب ولا رسيل
 يشجعنا تعاشقنا
 وتخذلنا يد الوجيل

فالتننى حصى ببرد
 تفجر من جنى غسل
 ويرفع وجهه عنى
 يظهر حمرة الخجل
 غزال لم أرح يوماً
 به خلوا عن الوجيل

فبعث إليه أبو عبد الله الرسي (١) بذلك الحكم :

وصق تورد الخجل
 وطيب تقرب الاميل
 وحق الحصب اذ يأتى
 بحسن تكسر المقيل
 وما ابداه من أهوا
 ه من صدد ومن علا
 وحققك يا أميرى ظلا
 ت في قصف وفي جيل
 لشعرك يشبه الماء الذى يروى سدى الغل
 وثوب البربر يلبسه الذى أشقى مع العلا
 وحلتسه اذا نشسر
 تضيض سائر الحليل

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن ابراهيم بن أحمد بن القاسم ينتهى
 نسبه الى الامام علي كرم الله وجهه .

فقـولـى كـله صـدق

وعبد الله يشهد نى (١)

وهذا أكبر شاهد على ان الامير تهما كان معجبا بابن عمه الامير
 آبى العباس عبد الله بن المعتز يترسم خطاه ويسير على نهجه
 ويحاول ان يجاريه ويحاكيه ويتفوق عليه في كل ما قال .. وعلى
 الرغم من هذا التشابه .. فقد كان بينهما خلاف في المذهب والسياسة
 فابن المعتز كان سنيا وتميم كان شيعيا وابن المعتز كان عباسيا
 متمصبا لاهل بيته مدافعا عن حقهم في الخلافة وبظلال حجة العلويين
 وتميم كان فاطميا علويا يفخر بالعلويين ويتمصب لهم ويناقض ابن
 المعتز ويرد عليه فخرا بفخر وحجة بحجة .. وهذا الجانب هو الذى
 يعتنا في هذا البحث لنرى الى اُحد وصل الصراع بين العباسيين
 والعلويين والى اى مدى تأثر الادب بهذا الصراع ..

وانذا كان هذا لصراع فيه شر على الامة الاسلامية .. فقد كان
 فيه خير كثير على الادب فقد راعاه وزكاه .. وجعله ينمو ويتسع
 .. ويؤتى ثماره ..

فالادب ينشط بالحركة وينمو في ظلال الخصومات ويزدهر تحت
 راية المعارك ..

وقبل ان نتحدث عن أثر الصراع بين العباسيين والعلويين في

(١) انظر المقطوعات الثلاث في ديوان تميم بن المزمع ص ٣٥٠ وما بعدها.

أدب هذين الأميرين : ابن المعتز وتميم بن المعز ينبغي علينا أن نعرف بالشاعرين تعريفا موجزا ٠٠ حتى يكون القارئ على علم بكل منهما قبل أن يدخل في حلبة الصراع بينهما وما كان له من أثر في أدب كل منهما ٠٠

أولا : عبد الله بن المعتز

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولد بهدينة سامراء لسبع بقين من شعبان سنة ٢٤٧ هـ على أرجح الأقوال من أم رومية وأب عباسي هاشمي ٠٠ وكان أبوه جميلا وسيم الطلعة نكيا حاضر البديهة أدبيا قال الشعر وارتجله .

وقد كان مولده في عهد جده المتوكل وهو عهد زاهر من أجمل عهود الخلافة العباسية ٠٠ وقد نما ابن المعتز في ظل القصور وعلش في سعة من العيش وبحبوحة من النعيم ٠٠ في ظل أبويه الكريمين حتى عصفت الأحداث بجده الخليفة المتوكل عندما تأمر الاتراك عليه مع ابنه المنتصر وقتلوه ٠٠ وأسرعت الأحداث تتلاحق حتى اغتيل أبوه . وهو يافع لم تؤهله سنه أن يشعر بالسكارة فاحتضنته جدته قبيحة التي نفيت الى مكة في عهد المهدي وحفيدها ابن المعتز في حضنها وبقيت في جوار بيت الله حتى استدعاهم الخليفة المعتز ومعهما عبد الله وقد كان حينئذ في سن تؤهله لادراك الأمور .

وتنكر الروايات انه أحيط بالمؤدبين عندما أصبح في سن تؤهله للتعليم والتأديب .. ثم اقبل على أساطين اللغة وعلماء الاسلام يعجب من بحرهم وينهل من معينهم حتى أصبح علما من اعلام الادب واستاذا من استاذة اللغة وشاعرا مفلحا لا يشق له غبار .

ويكفيه شرفا أن يتلمذ على أمثال : أبو جعفر محمد بن عمران الضبي صاحب النحو والقراءات وأبو العباس أنبرد وهو النحوي الفذ الذي انتهت اليه مدرسة البصرة ، وأبو العباس أحمد بن يحيى . شغلب وقد انتهت اليه مدرسة الكوفة .

ومحمد بن هبيرة الاسدي من علماء الكوفة وكان متضلعا باللغة وغريبها .. ومنهم أبو الحسن احمد بن سعيد الدمشقي الذي كان لا يفارقه .

وقد هيأت جدته له مكتبة غامرة في العلوم والآداب فانكب عليها يعجب من ثراث الاقدمين فيما ترجم عنهم من علم وأدب وفلسفة ومن علوم العرب وآدابها وعلوم القرآن والحديث . ومثلما توهبا له الدرس والبحث كان ينعم في رغد العيش في ظلال المعتد والمعتضد والمكتفى ...

فأصبح ابن المعتز بما اتيح له من هذا العلم .. وبما وهبه الله له من هذا الشرف والجاه مترا الاعجاب والفخر ، وتظنعت اليه عيون المحبين ونظرت اليه شزرا عيون الحاقدين والمرجفين تخافه بتخشم وتتأهر عليه وترجو أن لا يجلس على كرسي الخلافة أبدا .

وينظر ابن المعتز الى هؤلاء وهؤلاء فيفضل دفتره وقلمه ويتركه
لخياله أن يسجل الفخر لبني العباس وأن يصب الويل والثبور
وعظائم الامور على اعدائهم من العثوبين والخارجيين والشائرين
والمارقين من اعداء الدولة العباسية .

يقول أبو الفرج « ومن صنع من اولاد الخلفاء فأجاد واحسن
وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وادبا وظرفا وتعرفا في
سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز » .

وجاء في اولراق الصولى ان داره كانت مثابا لاهل الادب وكان
يجالسه مخهم جماعة ولا يذكر له أحد من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا عدد فضائله وناضل عنه ونصره الا انه كان يقدم بنى هاشم
ويفضلهم وما سمعته في حال من الاحوال ينقص أحدا ولا عرض بذلك
ولا يوما اليه . .

وكتب النقد القديبة تشير كلها الى أن منزلة عبد الله بن المعتز
من الشعر شريفة وأنه اشعر بنى هاشم وأنه فخر الخلفاء وصاحب
الشعر الرقيق والنشيد المنيع الرقيق وأول من صنف في صنعة
الشعر ، أرق الناس في الاوصاف والتشبيهات وهو القائل « اذا قلت
كأن : ولم أت بمدحا بالتشبيه فمض : هـ فإى » (١) .

وفي آخر أيامه « تحزب له جماعة من الجند والإتراك على العادة
الجارية في ذلك العهد وخلعوا الخليفة المقتدر سنة ٢٩٦ هـ ومايعسوا

(١) انظر تحقيق ديوان ابن المعتز ص ١٦٦ لمحمد بدیع شریف .

لابن المعتز وسوء المرتضى بالله فأقام بيوما وأيلة ثم تحزب أصحاب
المقتدر وتراجعوا وحاربوا. أعوان ابن المعتز وشستتهم وأعداؤهم
المقتدر إلى الخلافة واختفى ابن المعتز في بيت الجصاص التاجر
الجوهري المشهور بيوته فأخذه المقتدر وسلمه إلى مؤنس الخادم
فقتله ودفعه إلى أهله ملفوفا في كساء وكان ذلك سنة ٢٩٢ هـ « (١) »

وقد كان ابن المعتز غيورا على قومه بن بنى العباس حريصا
على أن تكون الخلافة بأيديهم قوية منيعة مهابة كما كانت في أيام
أسلافه الأول في بداية الدولة العباسية ..

ومن أجل هذا الحب لبني العباس فقد كان يدافع عنهم بكل
قوة ويتصدى بقلمه لاعداء الخلافة حتى ولو كانوا من بنى عبوته
من العلويين .. فقد نالوا قدرا من هجومه لأنه رأى فيهم خطرا
حقيقا عاليا أسرته .. وهذا ما دفع الكثيرين من المترجمين له .. إلى
القول بأنه كان عدوا لدودا لبني عمه من العلويين .. وسرى أثر
ذلك في شعره بعد التعريف بخصمه وابن عمه الأمير تميم ابن المعتز
إن شاء الله ..

ثانيا - تميم بن المعز

هو الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بن المنصور بالله ابن
القائم بأمر الله ولا خلاف بين الكتاب على تسلسل نسبه على هذا

(١) تاريخ آداب اللغة العربية جورج زيدان ج ٢ ١٨٧ ط دار
الهلل مصر .

التحو ولكن الخلاف شديد في نسبه القغم بأمر الله الى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية والخلاف شديد كذلك في نسب عبيد الله المهدي الى الاسرة الفاطمية ٠٠ وان كان الامير تميم يلج في اشعاره على الانتساب الى النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من جهة فطمة الزهراء رضي الله عنها ٠٠

ولد الامير تميم سنة ٣٣٧ هـ (١) في مدينة المهديّة بتونس، تلك المدينة التي بناها عبيد الله المهدي واتخذها عاصمة له سنة ٣٠٨ هـ واستقر بها هو وآل بيته وكبار رجال دولته وظلت كذلك الى أن بنى المنصور بالله جد تميم مدينته المنصورية سنة ٣٣٧ هـ

« ومن الطريف حقا ان نجد في كتب الفاطميين ان آباء المعز لدين الله الفاطمي كنى بأبي تميم ولما يولد تميم بعد بل انه كان يكنى بأبي تميم وهو لا يزال في سن الطفولة » (٢) .

ويروى القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي ان المعز لدين الله قال : لقد كان القائم بأمر الله يأخذني وأنا في سن الاطفال فيضممني الى صدره ويقبل ما بين عيني ويقول : أنت ابو تميم حقا (٣) .

ومهما يكن من امر فان تميميا كان الابن الاكبر للمعز لدين الله

(١) وفيات الأعيان ١ : ٨٠ .

(٢) مقبلة ديوان تميم ص و محمد حسن الأعظمي .

(٣) المجالس والمسائرات للقاضي النعمان ١ : ٩١ نسخة خطية .

الفاطمى ٠٠ وقد وزق المهز لدين الله بأربعة أبناء ذكور هم تميم ٠٠
وعبد الله ٠ ونزار الذى لقب بالمعز وعقيل ٠٠ وقد نشأوا جميعا
في قصر الخلافة بالمهدية ثم بالمنصورية ٠ وترعرع الامير تميم في ابية
الملك الى ان اتخذ لنفسه عبيدا ودارا بالمنصورية ٠

قدم الامير تميم مصر سنة ٣٦٢ هـ وهو في الخامسة والمشرين
من عمره وسكن القصر الكبير في القاهرة ٠

وقد اشتهر الامير تميم بالميل الى اللهو والمجون ٠٠ وعدم
القدرة على تحمل المسؤولية ٠٠ وهذا ما حمل اياه على الا يعهد اليه
بأى امر ذا بال في الدولة ٠٠ لعدم ثقته فيه ٠٠ فعندما دخل القرامطة
مصر يقصد انتزاعها من الفاطميين سنة ٣٦٣ كان قائد جيش
الفاطميين للتصدى للقرامطة هو الامير عبد الله بن المهز ٠

وعندما توفي عبد الله هذا - وقد كان وليا للمهد - جعل أبوه
ولاية المهد في ابنه الثالث نزار الذى لقب بالمعز ٠٠

وتوفي المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٦٥ هـ فأثت الخلافة الى
نزار وعندئذ ايقن تميم أن الامر قد خرج من يديه اليه ولا سيما
بعد ان أنجب المعز ولده المنصور الذى لقب فيما بعد بالحاكم بأمر
الله الفاطمى ٠

ويذهب ابن الأبار الى ان المعز لدين الله الفاطمى لم يول تميما
بمشورة من جوهر الصقلى بدعوى ان تميما لم يتجب ولدا (١) ٠

(١) الحلة السراء ص ٢٩١ ٠

وهذه دعوى باطلة فقد اثبت كثير من الدارسين أن تميم لم يكن عقيماً ٠٠ وأنه أنجب ولدا يدعى عيسى ٠٠ وكان يكنى بأبي ععلى (١) ٠

وأغلب الظن أن السبب الذي حمل المعز على تنحية تميم عن ولاية العهد هو أنه كان متصرفاً إلى اللهو والمجون ٠٠ ومثل هذا لا يصلح لتحمل عبء الخلافة الثقيل ٠٠ وبخاصة أن الدولة كانت فتية وتحتاج في قيادتها إلى رجال أشداء ٠٠

وعلى الرغم من تنحية تميم عن ولاية العهد فلم يحقد عليح إليه ولم يكره أخاه ٠٠ ولم يتأمر عليهما وإنما كان يحبهما ويخلص لهما الولاء ويكثر من مدحهما والثناء عليهما ٠٠ ويبدو أنه قنح بحياته اللاهية وترك الخلافة واعبأها لمن هم أقدر منه على تحملها وعاش في بصر حياة لهن وترف ٠

ووجد في البيعة المصرية من المنتزهات والديارات ما وافق هواه ومزاجه فأكثر من الخروج إلى « المختار » بجزيرة الروضة وإلى دبر القصر بالقرب من قصوره وشارك المصريين في لهوهم ولا سيما في أيام الاعياد ٠٠

وفي مصر اتخذ لنفسه عدداً من الإصدقاء ٠٠ وديوانه الذي بين أيدينا الآن يذكر بنى الرسي من اصطفاهم الأمير وبنو الرسي أسرة علوية عاشت في مصر قبل العصر الفاطمي ٠

(٢) راجع تقديم الديوان ص م ٠

« ولا شك أن تيمما كان على صلة ما بغير » الراسسين » من شعراء مصر الماجنين أمثال صالح بن رشيد بن وابن أبي العصام وابن أبي الجوع والروزباري وغيرهم فهؤلاء جميعا كانوا من كتساب وشعراء العصر الفاطمي بالقاهرة ، وكانوا يمثل الامير تميم يميلون الى اللهو والى الخروج الى المتنزهات والديورات وفي اشعارهم هذا الاتجاه الغنى الذى نجده عند تميم ..

هكذا عاش الامير تميم حياته القصيرة اذ توفي سنة ٣٧٥ هـ وهو في نحو الثامنة والثلاثين من عمره ودفن في تربة الزعفران مع آباءه وأجداده (١) .

٣ - الصراع بين الشعارين

بعد أن تحدثنا عن ابن المعتز وتكلمنا عن الامير تميم ينبغي ان نتحدث عن حرك الصراع بينهما .. مع انهما لم يتزاهما ولم يتقابلا لان ابن المعتز قتل قبل مولد تميم بزمن قصير ..

ولكن اصل الخلاف يرجع الى طبيعة الصراع القائم بين العباسيين والعلويين منذ قيام الدولة العباسية .. فان المعتز كان سنيا عباسيا يتعصب لاهل بيته من بنى العباس ويكن لهم المودة والصفاء ويرى انهم أحق الناس بخلافة المسلمين وكان حريصا على ان تظل الخلافة فيهم قوية عزيزة .. وعندها احس بضعف الخلافة

(١) تقديم دار الكتب للديوان ص ف .

وتكالب الموالي عليها حاول أن يتفادها من الضياع وأن يصلح ما أفسده
الزمن ، وقد دفع حياته ثمنا لذلك .. وفي سبيل هذا الحب للعباسيين
جند قلبه للدفاع عنهم والفخر بمآثرهم وأمجادهم .. كما حارب
خصوصهم وشن عليهم حملات شديدة لأنه كان يرى فيهم خطرا
داهيا يهدد سلامة الدولة ..

ولما كان العلويون ينافسون أبناء عمومتهم في الشرف والجاه
والقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والتطلع للقيادة
المسلمين .. فقد رأى فيهم ابن المعتز عدوا يجب التصدي له ..
وابطال حججه ودعواه ودفعه بكل قوة عن طلب الخلافة أو التطلع
اليها ..

لما تميم فقد نجح أبؤه في إقامة دولة فاطمية فتية في مصر
والمغرب .. على غرار الدولة العباسية في المشرق فكان طبيعيا أن
يتشبع تميم بأفكار الشيعة وآرائهم .. وكان طبيعيا أن يلخص
لأفراد أسرته من الحكام .. وأن يتعصب لهذه الدولة الشابة وأن
يتصدى للعباسيين الذين كانوا في نظره مفتصبين للخلافة من آبائه
وأجداده ..

ولقد قرأ تميم ديوان ابن المعتز .. وأعجب بشعره .. وشهد
ما كتبه ابن المعتز في الإشادة بمجد العباسيين وما كتبه بخصوص
العلويين من النصح لهم حينما والهجوم عليهم أحيانا ..

ولما كان تميم شاعرا لا يقل أجادة ولا عبقرية عن ابن المعتز

فقد قرر أن يرد عليه .. وأن يناقضه .. وان يناقشه في أرائه
وادعاءاته ..

ولنبداً بالحدى قصائد ابن المعتز ونحلها ثم نقابلها بأصدي.
قصائد تميم لنرى موقف كل منهما من قضية الحكم والخلافة .
يقول ابن المعتز في قصيدة مظلما :
الا من لعين وتساكبها
تشكى القذى وبكائها بها (١)

وقبها يقول مخاطبا العلويين :
نصحت بتى عمى لو وعموا
نصيحة بر بانسسابها
وقد عقدوا بغهيم وارتقوا
بزلاء تنزرو بركابها
وراموا فرايس اسد النشري
وقد تثبتت بين اتياها
دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا
بما تدع :الاسد في غابها
قتلنا أمية في دارها
ونحن اصق بأسلابها

(١) ديوان اشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن المنزج ج ١ ص ٢١٩

وكم عصية قد سقت منكم الـ
 خلافة صابيا بأكوابها
 اذا ما دنوتم تلاقتمكم
 ذنوبا وقمرت لصلابها
 ولما ابى الله أن تملكوا
 نهضنا اليها وقمنا بها
 وما رد حجابها رافدا
 لنا اذ وقفنا بأبوابها
 كقضب الرحي وافقت اختها
 دعونا بها وعلينا بها
 ونحن ورثة نيساب النبي
 فكم تجذون بهداياها
 لكم رحم يا بنى بنته
 ولكن بنو المم أولى بها
 به غسل الله محل الحجاز
 وإبراما بعد أوصاياها
 ويوم حنين تداعيتهم
 وقد ابدت الحرب عن نابها
 فمهلا بنى عهدنا أنها
 عطية رب حسانا بها
 وكانت تزلزل في المسالمين
 فهدت إلينا بأطنابها

وأقسم أنكم تعلمون

بأن لها خير أربابها (١)

بيدا ابن المعتز نصيحته لابناء عمومته من العلويين بأن يتركوا الامر لاصحابه من العباسيين فهم أحق به وأولى .. وقد افتخر عليهم بأن العباسيين اسودا بفقرسة قد ظفرت بفريستها وأنشبت فيها أظفارها .. ولا يليق بمن هم في منزلة أقل أن يشاركوا الاسود طعامهم او ينافسوهم فيه وانما عليهم أن يصبروا حتى تشبع الاسود ثم يأخذوا بعد ذلك ما تبقى من الفريسة .. فكان العلويين ضباع أو ذئاب أو غيرها من الحيوانات الجبانة التي لا تأكل الا فضلات الاسود .. وكان الخلافة طعام شهى لا يظفر به الا الاسود .. واما ما عداهم فينبقى ان يصبروا حتى يشبع أسيادهم .. ثم يأكلون فضلاتهم ولا يليق بهم أن يشاركوهم في امرهم ..

وذلك قوله :

نصحت بنى عمى لو وعوا
نصيحة بر بأنسابها
وقد عقدوا بغيهم وارتقوا
بزلاء تنزوا بركبها
وراهوا فرايس أسد الثرى
وقد نشبت بين أنيابها.

(١) ديوان ابن المعتز : ١ : ٢٢٢ .

دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا

بما تدع الاسد في غايها

وابن المعتز يرى أهله احق بالخلافة من غيرهم فهم ليسوا
مغتصبين لها من العلويين وانما هي حقيق ثابت لهم استخلصوا
بأيديهم من بنى أمية الغاصبين حيث قتلوا بنى أمية وشردوهم
واعادوا الحق الى أهله ومن قتل قتيلاً فله سلبه :
قتلنا أمية في دارها ونحن احق بأسلابها

ثم يوضح لبنى عمه من العلويين ان العباسيين يحكون بتفويض
من الله تبارك وتعالى وأن الله تعالى قد صرف الخلافة عن العلويين
لانهم ليسوا اهلا لها فقد أخذها منهم الامويون قسراً ولم يستطيعوا
ان يستردوها فنهض لها بنو العباس واستخلصوها من بنى أمية
واخذوها بأمر الله :

ولما أبى الله ان تملكوا

نهضتنا اليها وقمنا بها

وما رد حجابها وافتدا

لنا اذ وقفنا بأبوابها

ثم أخذ ابن المعتز بعدد فضائل جده العباس فيشير الى قصة
الكساء . . . وهي قصة رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عم : لا ترم منزلك انت
وبنوك غذا حتى اواتيكم فان لي فيكم حاجة فلما أتاه اشتبهل عليه
بملاءة ثم قال : يارب هذا عمي ، وصنو ابني وهؤلاء اهمل بيتي

فاستترهم من النار كاستترى اياهم بهلاءتى هذه ٠٠ رواه ابن غيـلان
ورواه الترمذى (١) ٠

والى تلك الحادثة يشير ابن المعتز ويرى أن العباسيين ورثوا
ثياب النبى صلى الله عليه وسلم وهى الخلافة ويأوم على العلويين
أن يجذبوا بأهدابها فيقول :

ونحن ورثنا ثياب النبى فلم تجذبون بهدابها ؟

ثم يشير ابن المعتز الى موقف العباس يوم حنين حيث كان
سببا في انتصار المسلمين بعد ان ولوا مدبرين ٠٠

روى ابن اسحق ان العباس من عبد المطلب قال : اتى بع
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بزمام بغلته البيضاء وكنت امرءا
جسيما شديد الصوت قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
حين رأى من الناس : اين أيها الناس ٠ فلم أر الناس يلوون على
شيء قال يا عباس اصرخ : يا معشر الانتصار ، يا معشر اصحاب
انسيرة قال فأجابوا ليبيك ٠ ليبيك حتى اذا اجتمع اليه مائة
استقبلوا الناس فاقتتلوا (٢) ٠

والى ذلك يشير ابن المعتز في قوله :

(١) الأنوار المحمدية من الواهب اللدني ١٦١ يوسف بن اسماعيل
النهاني ط بيروت ٠
(٢) السيرة النبوية لابن هشام - القسم الثاني ص ٤٤٤ ٠

ويوم حنين تداعيتهم
وقد أبدت الحرب عن نابها
ولما علا الخبر أكفأته
هوى ملك بين أثوابها

وفي نهاية القصيدة يعود ابن المعتز الى نصيح العلويين بالابتعاد
عن الخلافة فهم ليسوا أهلاً لها .. وإذا فقد صرفها الله تعالى عنهم
واعطاهما لبني العباس منحة وهبة منه لمن يستحق .. ثم يؤكد أن
العلويين يعلمون كل ذلك ولكنهم يكابرون فيقول :

فمهلاً بنى عنما انها
اعطية رب حباننا بها
وكفئت تزلزل في العالين
فشهدت الينا بأطنابها
واقسم انكم تهابون
بانا لها خير أربابها (١)

وقد عارض تميم بن المعز هذه القصيدة واقتصر على ابن المعتز ورد
عليه في كل ما ادعاه من الفضل لقومه والاحقية للخلافة ..

يقول تميم في قصيدة مطلقا :
الا من لنفسي وأوصاليها
ومن لديوعي وتساكبها

(١) ديوان ابن المعز ١ : ٢٢٢ .

إذا فزع الشوق حب القلوب
كرواها بشدة لتهايبها

وبعد المقدمة يقول :

الأوسطها مثل اطرافها

الأرووسها مثل أذناها
أعباسها كأي حربها
على وقاتل انصابتها
وأولها مؤمننا بالله
وأول هادم أنصابتها
بني هاشم قد تمايتهم
فخلوا المعالي لأصحابها
أعباسكم كان سيف النبي
إذا أبدت الحرب عن نايها
أعباسكم كان في بدره
يزود الكتاب عن غيبها
أعباسكم قاتل المشركين
جهارا وسالك أسلابها
أعباسكم كوصي النبي
وهعطى الرغب لطلابها
أعباسكم يشرح المشكلات
وفتح مقفل ابراهيمها

عجبت لارتكب بغيضة
 غوى المقالة كذايها
 يقول فينظم زور الكلام
 ويحكم تنهيق اذايها
 « لكم حرمه يا بنى بنته
 ولكن بنو العم اولى بها »
 وكيف يجوز سهام البنين
 بنو العم أف لغصايبها
 بذا انزل الله آى القرآن
 اتعمون عن نفس اسهابها
 لقد جار في القول عبد الاله
 وقاس المطايا بركايها
 ونحن ليسنا ثياب النبي
 وانتم حذبتم بهدايبها
 ونحن بنسوه ووراثه
 واهل الوراثه اولى بها
 وفيها الامامة لافيكم
 ونحن أحق بجلايبها
 ومن لكم يا بنى عمه
 يمثل البنول وانجابها
 وما لكم كموصي النبي
 أب فتراوا بنسبابها

ألسنا لئساب بنى هاشم
وساداتكم أعند نسايها
السنا سبقنا لغاياتها
السنا ذهونا بأحسايها
بننا صلاتم وبننا طاتم
وليس الولاة ككسايها
ولا تسفهوا أنفسنا بالكذاب
فذاك أشد لاتعمالها
فانتم كلمن قوا في الفخار
ونحن غدونا كاعرابها (١)

بيدا تميم مفاجرته ورده على ابن المعتز بتسفيه بنى هاشم
ورميهم بالجهل والضلال والخطل في انتكيز والاضطراب في المتطرق
لائهم يسوون وبين الزيل والرأس ٠٠ ثم يقارن بين العباس وبين علي
ويفضل عليا على العباس في كل شيء فعلى كان أول مؤمن بالله حيث
أسلم صبيا وترى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وعندما كبر
أصبح سيفا للنبي - صلى الله عليه وسلم يزود عنه في الحرب والمسلم
٠٠ ولا أدل على ذلك من موقفه في غزوة بدر حيث أطاح بالهجمات
وحصد الرؤوس ورد الكنايب على أعقابها ٠٠

ثم يذكر ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ارضى بالخلافة
عطلى يوم غدير « خم » عندما قال : من كنت مولاه فعلى مولاه ٠ اللهم

وال من والاه وعاد من عادة ٠٠ وقوله له : أنت منى كهارون من موسى
غير انه لا نبي بعدى ٠ - وان عليا كان أعلم الصحابة واقضاهم
وأقدرهم على حل المشكلات وذلك في قوله :

الاقبل بن ضل من هاشم
ورام اللحوق بأربابها
أوسطها مثل اطرافها
أرؤسها مثل اذنيها
أعباسها كأبي حريها
على وقعات تصابها
وأولها مؤمننا بالاله
وأول هادم اتصابها
بتي هاشم قد تعنايتم
فخالوا المعالي لاصحابها
أعباسكم كان سيف النبي
إذا أيدت الصرب عن نابها
أعباسكم كان في بدره
يزود الكتائب عن غايتها
أعباسكم قاتل المشركين
جهارا ، وبالك اسلابها
أعباسكم كوصي النبي
ومعطى الرغاب نطلابها

ثم يرد على ابن المعتز مقرنته في ان بنو العم اولى بالارث من ابناؤ
 البنات .. ويتهمه بالمغالطة والكذب والتزوير والجور عن القصد ..
 قالبت لها سهم مفروض مسجل في كتاب الله وذلك امر لا ينكره الا
 الظالمون .. وذلك حيث يقول :

عجبت لمرتكب بغيسة
 عسوى المقالة كذا بهيها
 يقول فينظّم زور الكلام
 ويحكم تميمق اذها بهيها

وهو يشير بذلك الى قول ابن المعتز :
 لكم حرمة يبانى بقتله ولكن بنو العم اولى بهيها

ثم يقول :

وكيف يحوز سهام البنين
 بنى العم أف لخصايها
 بدأ انزل الله آى القرآن
 اتعمسون عن نص اسهابها
 لقد جار في القول عبد الاله
 وقاس المطابا بركابها

واذا كان العباسيون يستعدون الى قصة الكساء في دعوى
 الخلافة والتي أشار اليها ابن المعتز في قوله :

ونحن ورثنا ثياب النبي

فلم تجذبون بأهدابها

فإن العلويين يستندون في دعواهم إلى قصة مائة ٠٠ فهم يرون
 بأن المقصود من أهل البيت في قوله تعالى :

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
 هم « علي وفاطمة والحسن والحسين » ذلك أن الآية نزلت والنبي في
 بيت أم سلمة وهي جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله ألسنت من
 أهل البيت ؟ فقال : إنك على خير ، إنك من أزواج النبي ثم أتى
 بكساء فجاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم جاءت فاطمة فأدخلها
 ثم جاء علي فأدخله ثم دعا النبي بقوله : « اللهم إن هؤلاء أهل بيتي
 فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (١)

والى ذلك يشير تميم في قوله :

ونحن لبسنا ثياب النبي

وأنتم جذبتم بهاديبها

ونحن بآثاره ووراثه

وأهل الوراثه أولى بها

وفيتنا الامامة لا فيكم

ونحن أحق بجلبابها

(١) انظر الدرر الثمينة للسيوطي الجزء الخامس والفخر الرازي
 ائمة وجماعة من المفسرين في تفسير الآية الكريمة .

وفي نهاية القصيدة يشير تميم إلى أن الخلافة كانت في الأصقاع
 للعنوبيين ولكن العباسيين قد اغتصبوها منهم .. ولولا حب الناس
 للطويين ونقمتهم على بنى الهبة ما وصلت الخلافة إلى العباسيين
 ويعير العباسيين بأنهم استغلوا قرابتهم للعنوبيين وتمسكوا بأهداب
 الخلافة ووصلوا إليها عن هذا الطريق ولولا أنهم أبناء عموية علم
 لنا وصلت الخلافة إليهم أبداً وذلك في قوله :

السنا لبسنا ببنى هاشم

وسادتكم عند نسائها

السنا سبقنا لقباياتها

السنا ذهبنا بأصصائها

بنا صنتم وبننا ظلتكم

وليس السوالة ككتائبها

ولا تسفها انفسنا بالكذاب

فذاك أشد لامنا بها

فانتهم كل من قوافي الفخار

ونحن عندونا كاعرابها

ومهما يكن من شيء فقد استطاع تميم أن يرد على ابن المعتز
 وأن ينقض عليه اقواله .. في بتطق سليم وبرهان ساطع وحجة قوية
 .. وكان كلامه أشبه ما يكون بالخطب الحماسية منه بالشعر الغنائي
 فلقد غلبت عليه الحماسة .. وسيطرت عليه فكرة التشجيع فاندفع
 يدافع عن قومه في حماس وقوة .. وكان في ذلك كالكسبيت بن زيد عندما
 كان يتصدى للأبويين ويبطل اقاويلهم ويقند مذهبهم في العصر الأموي .

والمتصفح لديوان ابن المعتز يجد أنه يستخدم وسيلتين في سبيل الوصول الى تثبيت حق العباسيين في الخلافة :

الوسيلة الاولى :

هي التركيز على القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم -
وبيان فضل العباس رضي الله تعالى عنه وفضل ابناءه من بعده ..

والوسيلة الثانية :

هي ان العباسيين اكفا من العلويين لان الفرصة قد اتحت
للعلويين مرتين ولم ينهضوا بها ..
المره الاولى وقت ان تولى على الخلافة .. فلم تستقم له الامور
واخذها منه بنو اميه *

والفرصة الثانية :

عندما آلت الخلافة الى بنى أمية غضبا وكان في استطاعة العلويين
أن يستردوا حقهم المسلوب ولكنهم عجزوا عن ذلك امام بطش بنى أمية
وكما ناز منهم رجل كان يقتل هو وانصاره وتفشل ثورته *

وعندئذ نهض العباسيون للخلافة .. فاستطاعوا بكفاءتهم
وحسن سياستهم ان يهزموا بنى أمية وان يشرأوا لابناء عمومهم ..
وان يأخذوا الخلافة عن جدارة .. وكان ينبغي للعلويين أن يشكروهم
على ذلك وان يساعدهم في هذا الامر ولكنهم تنكروا لفضيلتهم
ونازعواهم حقهم .. فاستحقوا الغضب من بنى العباس

والنقمة منهم وعلى هذين الرترين أخذ ابن المعتز يعزف اشعاره ٠٠
ليقتنع المسلمين بأحقيتهم في الخلافة دون العاويين ابناء عمومتهم ٠٠

ففى مجال الفضل نجد ان ابن المعتز يركز على المآثر التى
تنسب الى العباس رضي الله عنه وصلته بالنهى ويصوغها شعرا
عزبا جميلا مثل قوله :

أيها السائل عن المسبب الأط
يب ما فوقه لخلق فريد
نحن آل الرسول والعترة الحـ
حق وأهل القربى فماذا تريد ؟
ولنا ما أصناء صيغ عليه
وأنته رايات ليسل سود
وملكننا رقى الامامة سيرا
ثا فمن ذاعننا بفخر يجيد

وبعد هذا الفخر بشرف النسب ، والقربى من النبى - صلى الله
عليه وسلم - واحقية الخلافة راح يتحدث عن فضائل عمه العباس
وقد وجد في سيره عمه مناقب عديدة لا يشاركه فيها العلويون منها
موقفه يوم حنين حين ثبت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ونادى
المسلمين بصوته الجهورى فاجتمع الناس معه حول النبى وكان ذلك
سببا في النصر بعد الهزيمة ٠

ومنها موقفه في بيعة العقبة الثانية : فقد خرج مع الرسول - صلى

الله عليه وسلم - وكان لم يعلن اسلامه بعد فالتقى بالانصار عند العقبة • وتحدث اليهم قائلا :

« ان محمدا بنا ، وقد منعناه من قومنا ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد ابي الا الانحياز اليكم والالحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتوه اليه ومنعوه ممن خالفه فانتهم وما تحملتهم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه ، واخذلوه بعد الخروج اليكم فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده » (١)

والى ذلك يشير ابن المعتز :

وملكنا رق الامسامة ميرا
ثاقين ذا عنا بفخر يعيد
وأبونا حسان النبي وقد اد
بر من تعلمون وهو يذود
ذاك يوم استطار بالجمع روع
في حنين وللوطيس وقود
كان فيهم منا المكاتم ايها
نا وفرعون لافل والجنود
وسل القوم حين لذرا جميعا
غيره كيف فضل الملدود (٢)

(١) سيرة ابن هشام السهم الاول ص ٤٤١ •

(٢) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٤٨ •

ومن مناقب العباس التي اثار اليها ابن المعتز : كتمانته اسلامه
وبقاؤه في مكة حتى يكون عينسا للرسول على اعدائه المشركين دون أن
يفطنوا اليه قال ابن اسحاق :

وحدثني حسين بن محمد الله عن عكرمة مولى ابن عباس قال :
ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « كنت غلاما للعباس
ابن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت واسلم العباس
واسلمت ام الفضل واسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم
وكان يكرم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه (١)

وعلى هذا اقام العباس بمكة يكرم اسلامه ، ويكتب الى رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - اخبار المشركين وكان من بمكة من
المسلمين يتقون به وكان لهم عونا على اسلامهم وأراد الهجرة الى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقل له النبي - صلى الله عليه
وسلم - بمالك بمكة فانت اخر المهاجرين كما اتى اخر الانبياء (٢)

وعندما وقعت غزوة بدر الكبرى خرج العباس مع المشركين في هذه
الغزوة لا ليعينهم ولكن ليتجسس عليهم لحساب النبي - صلى الله
عليه وسلم - واصحابه وقد روى ابن اسحاق عن ابن عباس رضي الله
عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لاصحابه في غزوة بدر:
انى قد عرفت ان رجلا من بنى هاشم وغيرهم قد خرجوا كرها لا حاجة

(١) سيرة ابن هشام السهم الأول ص ٦٤٦ .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٣ : ١٥٢ .

لهم بقتالتنا فمن لقي منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غللاً يقتله فإنه إنما أخرج مستكرها (١)

وعندما لمر العباس في غزوة بدر وشهد المسلمون وثاقه حزن النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه وسهر من أجله ولم ينم فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يا نبي الله ؟ فقال أسهر لاني العباس فقام رجل فأرضى وثاقه - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالى لا اسمع انين العباس ؟ فقال الرجل : انا ارحيت من وثاقه فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - فافعل ذلك بالاسرى كلهم .

ومن مناقب العباس ان النبي - صلى الله عليه وسلم - كرمه يوم ان رد عليه أصول ماله ولم يرد عليه الفضل لان الفضل ربا فكان اول رجل يطبق عليه تحريم الربا في الاسلام .

ومنها ان عمر قد استسقى بالعباس دون غسيره في عام الرماد فنزل المطر ٥٥ بفضله مداراً

والى ذلك يشير ابن الجعتر في قوله :

أبو الفضل اولى الناس بالفضل كلهم

تهالوا نحاكمكم الى البيت والحجر

(١) السيرة النبوية لابن هشام قسم اول ص ٦٢٦ .

وبين حين حين صباح وراكم
 فجئتم وكان الموت أقرب من شبر
 وباعشر الانصار من كان عاقدا
 لبئتمكم والدين في قبضة الكفر
 ولولا ما قرت بطيبة هجرة
 ولولا لم تجر الجياد على بدر
 اقام بدار الكفر عينا على العدى
 ينبي نبي الله بالكيد والفدر
 لذلك لم ترقد جفون محمد
 نبي الهدى حتى أريح من الاسر
 وقال دعوه انه كان مكرها
 ودافع عنه بالوعيد وبالزجر
 ورد عليه ماله دون غيره
 وان كنت ذا جهل فسل كل ذي خبر
 ولولا بلوغ السن منه وكفها
 سراجيه لما أن اتى آخر العمر
 لاعطى ابو حفص يديه عنانها
 وما شك فيه والامور الى قدر
 الم تره من قبل حين اقلبه
 شفيعا لاصحاب النبي الى القطر (١)

وفي قصيدة أخرى يقارن ابن المعتز بين جده العباس اذى مات
على الايمان وسيخلد في الجنة وابى طالب جسد العلويين الذى مات
على الكفر وسيخلد في النار .

ويخلص من وراء ذلك الى تفضيل العباسيين وان كان لا ينكر
فضل على كرم الله وجهه ثم يهدد العلويين ويتوعددهم ريطلب منهم
أن يتركوا العباسيين وشأنهم ويحذرهم عاقبة التمرد والخروج
يقول :

يا بنى عمنا الى كم وحتى
ليس ما تطيونه يستقيم
ابدا فاعرين لم تطعموا الملا
ك كما زيد عن رضاع فطيم
أبو طالب كمثل ابي انف
ضل أما منكم بهذا عليم
سائلوا مالكا ورضوان عن ذا
اين هـنا وأين هذا مقيم
وعلى فكابنه غير شك
واجب حقه علينا عظيم
فدعوا الملك نحن بالملك اولى
قد أقرت لنا بذاك الخصوم
واخذروا ماء غابة لم يزل طابا
ير حرص عليه منكم يحوم

ان فيها اسدا حوامى اثبا
 ل ونجبل لم ينج منهسا كليم
 وعزيز على أن يصيغ الار
 ض دم منكم على كريم
 غير أنا من قد علمتم ولا بعد
 ح من جمعكم علينا زعيم
 لو تهياً هذا ولا يتهباً
 لتهاوت من السماء نجوم (١)

ويكرر تهديده في موضع آخر فيقول :

دعوا آل عباس وحق آبيهم
 واياكم منهم فتهم هموا
 ملوك اذا خاضوا الوغى بسيفوفهم
 يقابضها منك وسابرها دم (٢)

وبعد ان بين ابن المعتز فضل جده العباس ، وتحدث عن المناقب
 التي تنسب اليه ، اخذ يعجز العلويين ويبين أنهم ليسوا أهلاً لتحمل
 الخلافة ، بدليل انها ضاعت منهم يوم أن تولاهما على بن أبي طالب
 فأخذها بنو أمية ولم يستطع العلويين ان يستردوها منهم مع ان
 قلوب المسلمين كانت معهم ، ولم يستطع ان يقهر بنو أمية ويأخذ

(١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٨٩ .

(٢) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٩٠ .

منهم الخلافة الا العباسيون ٠٠ فكان واجبا على العلويين أن يشكروهم.
على ذلك بدلا من هذا الحجود ٠٠

ولقد أتاحت للعلويين فرصة ثالثة لتولى الخلافة عندما تنازل
المأمون لولاية العهد لاحد العلويين وهو الامام علي بن موسى الرضا ولكن
شاعت ارادة الله سبحانه ان يموت الرضا قبل المأمون وأن تغفل الخلافة
من ايدي العلويين لان الله تعالى لا يريد لهم الملك ٠٠ وهدف ابن المعتز
من ذلك هو اسكات صوت العلويين وتمجيزهم وصرفهم عن طلب
الخلافة ٠٠

يقول في احدي قصائده مخاطبا العلويين :

بنى عمنا الادنين من آل طالب
تمالوا الى الادنى وعودوا الى الحسنى
أليس ابن عباس من ابيكم
وموضع نجران وصاحبه الادنى
وأعطاكم المأمون عهد خلاقه
لنا حقها لكنه جاد بالدنيا
ليعلمكم أن التي قد حرصتم
عليها وغرورتم على أثرها صرعى
يسير عليه فقدها غير يتثر
كما ينبغي لأصالحين ذوى التقوى
فمات الرضى من بعد ما قد علمتم
ولادت بنا من بعده مرة اخرى

وعادت اليها مثلما عاد عرشق
الى وطن فيه له كل ما يهوى
دعونا ودنيانا التي كلفت بنا
كما قد تركناكم ودنياكم الاول (١)

ويكرر المعانى نفسها في قصيدة اخرى مبينا فيها عجز العلويين
عن القيام بمهام الخلافة لان العباسيين قد تركوا لهم الفرصة فمجزوا
عن أخذها ٠٠ ويوضح ان ارادة الله شاعت ان تكون الخلافة في بنى
العباس دون غيرهم فلام الحقد والحسد ؟ والتعلق بالاولياء ٠٠ ثم
يتمادى في بغالطته فيزعم ان الناس يكرهون العلويين ولا يريدونهم
ان يحكموهم وفي النهاية يهدد العلويين بالحرب ٠٠ لو أنهم فكروا في
الثورة او التبرد أو الخروج على بنى عمومتهم فيقول :

أبى الله الا ما ترون فمالكم
غضابي على الاقدار يا آل طالب
تركانكم حيننا فهل اخدمتم
تراث النبي بالقنا والقواضب
زمان بنو حرب و مروان ممسكوا
اعنه ملك جنير الحكم غاصب
الا رب يوم قد كسوكم عمايما
من الضرب في المهامات حمر الذوايب
فلما اراقوا بالنسيوف دماءكم
أبيننا ولم يملك حنين الاقارب

فحين اخذنا ثأركم من عدوكم
 فعدتم لنا تورون نار العباس
 وحرنا التي اعيتكم قد علمتم
 فما ذنبنا هل قاتل مثل سالب ؟؟
 عطية ملك قد حيانا بفضلها
 وقدرها رب جزيل المواب
 وليس يريد الناس أن تملكهم
 فلا تثبوا فيهم وثوب الجناب
 وايكم اياكم وحسار من
 ضراغمة في الغاب حمر المخالب
 الا انها الحرب كما قد علمتم
 وجربتم والعلم بعد التجارب (١)

ثم يعود الى المعانى نفسها في موضع آخر فيعبر العلويين
 بهزيتهم امام بنى أمية ، ويذكرهم بأن العباسيين قد أخذوا لهم
 حقهم ، وردوا لهم كرايتهم يوم أن انتصروا على اعدائهم من بنى
 أمية وهزموهم وأخذوا الخلافة منهم ٥٠ فينبغي عن العلويين أن
 يحفظوا هذا الصنيع لهم بدلا من هذا الجحود والنكران فيقول :

وما خفنا من الناس
 وهل في الناس انسان
 جزينا الامسويين
 ودناهم كما دائوا

(١) ديوان ابن المعتز : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

وذاقبوا ثمن المي
 وهانوا مثلنا خانوا
 وللخير وللخير
 يكف الله ميزان
 ولو لا نحن قد ضيع
 دم بالطف مجسان *
 فيا هن عنده القير
 وطن القير قربان
 ياسبياف لكم أودى
 حسين وهو ظمان
 واليكن آل عباس
 ومرو وخراسان
 لقوا مروان بالزاب
 ففهد العير مروان
 ورأب المسويين
 لهم جسد وكفران
 فهلا كان امسك
 اذا لم يك احسان (١)

وفي النهاية ينصح ابن المعتز قومه من بني العباس أن يكونوا
 يقظين لما يحاك لهم من مؤامرات ودسائس ، وأن يعضوا على
 الخلافة بالنواجذ ٠٠ وان يشيروا عن سواعد الجد وأن يشعلوا نيران

* يريد ابن المعتز : أن العباسيين قد ثاروا لقتل الحسين .
 (١) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

الحرب امام كل من تسول له نفسه الكيد لهم ، من الجاقدين والماسدين
 فيقول :

يا آل عباس لعلنا من عشرة
 لا تركنن الى القوة الحسد
 اياكم من بعدده اياكم
 كونوا لهم كأرقام في مرصد
 وخذوا نصائح حازم متعصب
 بالشيب مجتمع النهى مستأسد
 كالطود يمدى حمله سفهوه
 لا ينطقون سوى الجواب ريبتدي
 شدوا أكفكم على ميراثكم
 فالحق أعطاكم وراثه احمد
 ومتى يرهها الرايمون قبادروا
 ماياتهم حصدا بكل مهند
 قودوا لهم قود الجياد دوايينا
 لا يعتدون الر الطريق الابعد
 من كل احوى بهيم مصت
 ومشمر عن كل ساق او يد
 طورا مجاهرة وطورا غيلة
 كم قاتل بفرار كيد مغيد
 هذا هو النصح الصريح وربما
 محض النصيحة صاحب لم يجهد(١)

وإذا كان ابن المعتز يرى أن قومه من بئى العباس أفضل من العلويين وحق منهم بالخلافة وأقوى على تحمل أعبائها وأن العلويين حاقدين على المنزلة التي حبسها الله بها .. ومن ثم فهم دائماً ساخطون حاسدون بنى عمومتهم على ما آتاهم الله من فضله ..

أقول إذا كان هذا هو رأى ابن المعتز في العلويين فإن تميم ابن المعز يرى رأياً مخالفاً لهذا .. فهو يفتد مزاعم ابن المعتز ويرى أن العلويين أفضل لأن جدهم النبي صلى الله عليه وسلم من قبيل فاطمة الزهراء .. وجدهم لابيهم على بن أبي طالب أعلى المسلمين منزلة بعد النبي .

وفي قصيدة لتميم تراه يتبرى لابن المعتز ويناقضه في كل مزاعمه .. ويعدد مآثر جده على بن أبي طالب وهي كثيرة جداً عسيرته يلثمة بالأجداد وزادها الشيعة أمجاداً بتأويلهم وتفسيرهم بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة .

يذكر تميم في أول هذه القصيدة أن العباسيين وإن كانوا ينتمون لهاشم بن عبد مناف كالمطويين إلا أنهم لا يساوتهم في الفضل فليس العباس كهلى حيث يقول :

يا بنى هاشم ولسنا سواء
في صغار من العلاء أو كبار
إن نكن ننتى لجسد فانا
قد سبقناكم لكل فخار
ليس عباسكم كمثل على
هل تقاس النجوم بالأقمار

وراح تميم بعد ذلك يعدد مناقب جده علي بن أبي طالب كسرم
الله وجهه وأولها السبق والتقدم إلى الإسلام حيث أسلم صبيا ويشرح
في بيت النبوة :

من له الفضل والتقدم في الإسلام والناس شيعة الكفار

ومنها مصاهرته النبي صلى الله عليه وسلم بزواجه من السيدة
فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها ، ومنها مؤازرته للنبي صلى
الله عليه وسلم ووقوفه معه في كل الحروب :

من له الصبر والجواسم والنصرة والحرب ترتضى بالشرار

ومنها مؤاخاته للنبي صلى الله عليه وسلم عندما قال النبي له :
انت أخي في الدنيا والآخرة .

من دعاه النبي خدينا وسما

ه أخا في الخفاء والاطهار

من له قال أنت مني كهارو

ن من موسى أكرم به من تجار

ومنها اختصاصه بالدعاء له وتكريمه يوم الغدير بانص عايه
بالفضلافة :

ثم يوم الغدير ما قد علمتم

خصه دون سائر الجفصار

من له قال : لا فتى كهلى

لا ولا يتصل سوى ذي القعار

ومنها اشتدك في المباينة :

- ويمن بأهل النبي أنتم
 جهلاء بواضح الاختيار (١)
 ابعيد الاله ام بحسين
 واخيه سلالة الاصهار (٢)

ثم يخاطب العباسيين بعد حديثه عن هذه الفضائل فيقول :

يا بني عمنا ظلمتم وطرتم
 عن سبيل الاتصاف كل مطار
 كيف تحوون بالاكف مكانا
 لم تنالوا رؤياه بالابصار

ثم يتحدث عن فضائل جده الامام مرة أخرى ومنها انوم عيسى
 فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة معرضاً نفسه لموت
 محققاً فيقول :

- (١) يريد المباينة التي وقعت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ونصارى نجران ، والمباينة الملائكة وذلك أن السيد والمقاب وأبا الحارث
 رؤساء نجران جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعوه فجا
 صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفها وهو
 يقول لهم ان دعوت فأمنا فترك أهل نجران المباينة خوفاً ورضوا بالجزية
 (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤ : ١٠٤)
 (٢) يريد بعيد اله : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

من توطأ الفراش يخلف فيه
أحمدا وهو نحو يثرب سار
أين كان العباس إذ ذاك ؟ في النهج
رة أم في الفراش أم في النار
ثم يخاطب العباسيين مقرأ وموبخا فيقول :
الكم مثل هذه يا بني العباس
س مائسورة من الآثار
الكم حرمة بعم رسول الله ليست فيكم بذات ثوار
ولنا حرمة الولادة والاع
مام والسبق والهدى والمنار
ولنا حرمة المهاجر قدما
ولنسا نصرمة من الانصار
ولنا الصوم والصلاة وبذل الن
حرف في عسرا وفي الايسار

ويرد على فخر العباسيين بيوم الكساء وفخرهم بسقاية جدهم
الحجيج ونداءه المسلمين يوم حنين ويقارن ذلك بأجداد علي في بدر
وخيبر وكل الغزوات فيقول :

نحن أهل الكساء سادسنا الرو
ح أمين المهيم الجيسار
نحن أهل التقى وأهل المواسا
ة وأهل النوال والاييسار

قدعوا خطة الملا لذويها
 من بنى بيت احمد الابرا
 او فلرموا الاله في ان برانا
 فوقكم واغضبوا على المقدار
 اجعلتم سقى الحجيج كمن آ
 من بالله مؤمنسا لا يدارى
 او جعلتم نداء عباس في الحر
 ب وقد فر عن لقاء الشفار
 كوقوف الوصي في غمرة الجو
 ت لضرب الرؤوس تحت الغيار
 حين ولي صحب النبي فرارا
 وهو يحمى النبي عند الفرار
 واسألوا يوم خيبر واسألوا مك
 كة عن كره على الفجار
 واسألوا يوم بدر من فارس الاس
 سلام فيه وطلب الاوتار
 اسألوا كل غزوة لرسول الله عن أعمار كل مغار
 يا بنى هاشم أليس على
 كانشف الكرب والرزايا الكبار

ثم اخذ يناقش العباسيين في مسألة الخلافة ويقول ليم : بأى حق
 استأثرتم بهذا الأمر دوننا ؟ ان كان بالفضل فنحن أفضل منكم ؟
 وقد سبق ان ذكرت لكم مآثر جدى ٠٠ وان كان بالقربى لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم فنحن اقرب اليه منكم ٠٠ وان كان بالقوة غسوف

نلقاكم بجحفلٍ لجب من الفاطميين الأبطالٍ يذيقونكم الموت صنوفًا
والرأنا : -

يقول مخاطبًا العباسيين :

فيماذًا ملكتم دونتنا أر
ث نبي الهدى بلا استظهار
أقربى ؟ فنحن أقرب للمو
روث منكم ومن مكان الشعار
أم يارث وورثتموه ؟ فانا
نحن أهل الآثار والاختار
لا تفتوا بحيفكم واضح الحد
ق فيفضي بكم لكل دمار
واصيخوا لوفعة تملا الار
ض عليكم بجحفل جرار
تحت اعلامه من الفاطميين
ن اسود تدمى شبا الاظفار
فاصدروا عن دوارد الملك انا
نحن أهل الإبرار والاصدار (١)

ولاشك أن هذا الصراع العباسي العلوي كانت له آثار سلبية
على الدولة الإسلامية إذ عمل على تمزقها وتقسيمها إلى غرائق شتج

(١) ديوان تميم ص ١٧٧ ط دار الكتاب المصرية .*

قُصِفَ شأنها ، وهان أمرها وانفرط عقدها وجعلها تنقسم إلى
دويلات صغيرة ما زلنا نقاسي من آثارها حتى يومنا هذا ..

أما الأدب فقد استفاد فائدة كبرى من هذا الصراع .. فنما
وازدهر ، وشب وترتفع .. ذلك أن الأدب صورة صادقة لما يدور
في المجتمع من أحداث سياسية أو اجتماعية ، و مرآة تنعكس عليها
كل القضايا .. ومن ثم فقد خلف لنا أبطال هذا الصراع أدبا سياسيا
هيا نابضا بالحياة رغم مرور السنين وتعاقب الاعوام .

الفصل السادس

الصراع الديني والفكري

أولا - الخوارج :

الخوارج قوم يغترون في رأيهم أبعد المغالاة ، ويتعصبون لمقيدتهم أشد التعصب ، ويبالغون في عداوة غيرهم اعظم المبالغة ، وكانوا اعداء الطوائف الأخرى من شيعة ومرجئة ومعتزلة وأمويين والدياسيين يرون دماءهم حلالا ، وحربهم جهادا وأنه على قدر قوة العقيدة وشدة الايمان وحرارة العاطفة تكون قوة الدعوة اليها وحرارة الدفاع عنها .

ولعل تعصبهم الشديد راجع الى ضيق أفقهم ، وضعف ثقافتهم ، وسذاجة عقولهم ، وقلة مرونتهم ، ونشاطهم البدوية ، واعتدادهم بأنفسهم الى حد الغرور .

وقد كانوا من أتباع علي رضي الله عنه فلما التقى بمعاوية في صفين وأوشك على هزيمته رفع جند معاوية المصاحف على أسنة الرماح وتنادى مناديوهم - الله الله في العرب - الله الله في المسلمين - كتب الله بيننا وبينكم - لا حكم الا للذ - فانخدع بعض قواد جيش علي ودعوه الى الرضا بما يعرضه اهل الشام فأبى وبين لهم أنهم كائدون لا مخلصون وانهم قد تحلوا لما ايقنوا الهزيمة لانهم ليسوا أصحاب دين ولا قرآن . . . ولكن هلاء النفس من قادة جيش علي أصروا

على موقفهم والا تخلوا عنه .. وتحت هذا الاصرار العجيب اضطر على الى قبول التحكيم استجابة لراى الكثرة وحرصا على وحدة الجيش وكان هذا التحكيم الذى اكره عليه على ابان نزاعه مع معاوية في صفيين هو السبب المباشر لنشأة الخاورج فثاروا على امامهم واتهموه بالخطا لانه قبل التحكيم .

ومن عجب ان هؤلاء الذين اجبروا عليا على قبول التحكيم لم يتركوه حرا في اختيار من ينوب عنه في التحكيم فقد اراد ان يختار اباى عمه عبد الله بن عباس فرفضوا فقرر ان يختار الاشر النخعي فامتنعوا عليه وأصروا على ان يكون الحكم أبو موسى الاشعري فاضطر الى قبوله تحت الحاحهم ، وكأنها كانت بؤامرة تريد ان تسير بالأمر الى ما صارت اليه .

والحق أن عليا لم يكن موفقا في هذا الاختيار الذى نجبر عليه تحت ضغط الاشمث بن قيس الكندى واليمنيين الذين كانوا معه . ذلك ان أبا موسى كان - على ورعه وتقواه - لا يجيد المناورة ولا يحسن المكر ، ولا يظن للخديعة بينها كان عمرو بن العاص نائب معاوية من أكثر العرب دهاء وحسن تدبير .

اجتمع الحكمان في « ارجح » وتداولوا في الامر ثم اتفقا على أن يخلصا المسلمين من هذا الصراع بتحية علي ومعاوية معا وترك الامر بشورى للمسلمين ليختاروا من يصلح لخلافتهم ..

ولا شك ان هذا كان من تدبير عمرو وكيد ذلك ان عليا ومعاوية لما يكونتا متكافئين .. فلقد كان على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين

على حين كان معاوية مجرد وال مهزول خائفا للسلطان متبردا عليه . فلم يكن من العدل أن يتفق الحكمان على ذلك . . .

وليت الامر وقف عند هذا الحد فقد كان ابو موسي مفسدوعا عندما أعلن خلع على ومعاوية على حين أعلن عمرو من بعده خلع على وتثبيت معاوية حينئذ عاد على الى الكوفة ورجع معاوية الى الشام . . .

وقد كانت هذه المهزلة سببا مباشرا في ظهور الخوارج ذلك ان كثيرا من جنود على اصروا على التحلل من بيئته واعلنوا سخطهم على التحكيم الذي رضي به - وما ان وصل على الى الكوفة حتى انفصل عنه مخالفوه الذين كانوا اعوانه وكان عددهم اثني عشر ألف مقاتل وتنادوا بأن الامر شورى وبأن البيعة لله عز وجل وعليهم ان يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر . . . وهؤلاء هم الذين سموا بالخوارج لانهم خرجوا على الامام على بعد ان بايعوه . ثم ناظرهم الامام فحساب بعضهم ، وارسل اليهم عبد الله بن عباس ينظرهم فأصروا على رأيهم واشتروا عليه ان يتوب على أولا لانه كفر بعد قبوله التحكيم وان يعترف بخطئه حتى ينضهوا اليه . وانتهى بهم الامر الى ان اجتمع ثلاثة منهم وهم : سعيد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمي بمكة وتعاهدوا على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة وقد نجح ابن ملجم في قتل الامام على بينما أخفق صاحبه في قتل معاوية وعمرو (٢)

(١) نقض العلم والعلماء لابن الجوزي ص ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

وقد كان الخوارج من المعارضين لسائر الاغزاب السياسية والدينية الاخرى وكانوا يرون قتلهم والخروج عليهم طاعة لله عز وجل وجهادا في سبيله ٠٠ ولذلك فقد اذلقوا الدولة الاموية وارهقوها وكان ذلك من العوامل الرئيسية في القضاء عليها والتهديد لقيام الدولة العباسية وقد بقي الخوارج فرقة واحدة حتى سنة ٦٥ هـ اذ اتجهوا الى مكة بزعمامة نافع بن الازرق ليناصروا عبد الله بن الزبير اذ وجدوه يدين بمذهبهم فلما ناقشوه تبين لهم انه يخالفهم فانفضوا من حوله وحينئذ بداوا يفترون فذهب بعضهم الى اليمامة وهم النجدات اتباع نجدة بن عامر الثقفي واتجه الباقيون الى البصرة وهم الارارقة اتباع دافع بن الازرق ثم تشعبوا جميعا الى عشرين فرقة لكل فرقة مبادئها واراؤها (١)

تاريخهم السياسي في العصر العباسي :

كانت نظرة الخوارج الى العباسيين لا تختلف عن نظرتهم لبني امية فكلمهم ظالم مفتصب للخلافة ، جائر عن القصد ، لان الخلافة لم تصل اليهم عن طريق الاختيار الحر من جمهور المسلمين ولاتهم لم يستوفوا الشروط الواجب توافرها في الامام ٠٠ ولذا فقد وقفوا منهم موقفا عدائيا صريحا وراوا ان حربهم جهادا في سبيل الله ٠٠ والخروج عليهم طاعة لله عز وجل ٠٠

ولكن الخوارج في العصر العباسي ام يكونوا اقوياء كما كانوا في العصر الاموي لان الامويين - قد فتكوا بهم فتكا زريما في غير موقصد.

(١) ادب السياسة ص ٩٥

هكسروا شوكتهم ٠٠ واضعفوا قوتهم ٠٠ وإن كانوا قد عجزوا عن
انقضاء عليهم قضاء مبرما ٠٠ وعلى الرغم من ذلك فقد حاربوا
العباسيين في قوة وشجاعة ورباطة جأش منقطعة النظير ٠٠

« فما استقر السفاح في خلافته حتى تحرك خوارج عمان وعلى
رأسهم الجلندي وكان هو وأصحابه من الخوارج الاباضية فأرسلوا
اليهم السفاح جيشا على رأسه احد القواد العظيم وهو « خازم بن
خزيمة » فار في البحر حتى ارسي على ساحل عمان ثم خرج ومن معه
الى الصحراء وتقاتلوا قتالا شديدا كانت الحرب فيه سجلا ثم اشتر
الى خازم بعض اصحابه ان يأمر جنوده فيجعلوا على أطراف اسنهم
المشاقة ويرووها بالنقط ويشعلوا فيها النيران ثم يمشوا بهما حتى
يضمروها في بيوت اصحاب الجلندي وكانت من خشب فلما فعل ذلك
وأضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمن فيها من اولادهم وأهاليهم
فحمل عليهم خازم واصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم وقتل
الجلندي فيمن قتل وبلغ عدد القتلى نحو عشرة الاف وبعت رؤوسهم
الى البصرة فأرسلت الى السفاح وكان ذلك سنة ١٣٤ هـ (١)

وفي عهد المنصور ثار الخوارج بالجزيرة وعلى رأسهم ملبد بن
حرملة الشيباني سنة ١٣٧ هـ فأرسل اليه المنصور يزيد بن حاتم
المهلبى فهزمه ملبد ومزال المنصور يرسل اليه القائد بعد القائد
وملبد يهزمهم واخيرا وجه اليه خازم بن خزيمة ومعه ثمانمائة الف من

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥ : ١٨٣ .

«هل « مروروز » فتقاتلوا طويلا ثم امر خازم اصحابه ان يردوهم بالنشاب فانتصروا عليهم وكان ذلك سنة ١٣٨ هـ (١)

وتار الخوارج ايضا في المغرب فأرسل اليهم المنصور عمر بن حفص بن ولد قبيصة بن ابي صفرة اخى المهلب فدايت الممسارك بينهم طويلا وانضم كثير من البربر الى الخوارج وكان على رأس الخوارج ابو حاتم الاباضي وانتهى الامر بقتل عمر بن حفص واستيلاء ابي حاتم والخوارج على القيروان فأرسل المنصور يزيد بن حاتم بن قبيصة فتغلب على الخوارج وقتل ابو حاتم واتباعه من الخوارج والبربر وكان عدد من قتل في المعركة نحو ثلاثين الفا (٢)

وفي عهد المهدي خرج بخراسان جماعة من الخوارج وعلى رأسهم يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم منكرا هو ومن معه على المهدي سيرته التي يسير بها واجتمع معه خلق كثير فأرسل اليه المهدي يزيد بن مزيد الشيباني فأسر يوسف البرم وبعثه الى المهدي ومعه وجوه اصحابه فقتلهم المهدي وصابهم وكان ذلك ١٦٠ هـ

وفي سنة ١٧٨ كانت ثورة الوليد بن طريف الخارجي بالجزيرة فأرسل اليه هارون الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فتنازله يزيد وقال لاصحابه انما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا فاذا انقضت حيلتهم فاحملوا عليهم فانهم اذا انهزموا لم يرجعوا ..

(١) فتح الاسلام ٣ : ٣٣٨ أحمد أمين ط بيروت

(٢) المرجع السابق ٣ : ٣٣٨

وكان الوليد يوم خرج يقول :

انا الوليد بن طيريف الشماسي
قسورة لا يصطلي بشماري

جوركم اخرجنى من دارى ٠٠

وقد دارت الدائرة على الوليد بعد معارك عنيفة فقتل وتفترق جيشه وانتصر عليه يزيد الشيباني انتصارا حاسما ٠٠

وهكذا كانت ثورات الخوارج متتالية في أوائل العصر العباسي كما كانت كذلك في العصر الأموي ٠٠ وانا كان الأمويون قد أضغفوا الخوارج ٠٠ فان العباسيين قد انتصروا عليهم انتصارا يكاد يكون حاسما بحيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك ولم يعد لهم في التاريخ اثر كبير ٠

وقد كان الخوارج حزبا ثوريا يعتصم بالتقوى ويقيم هباته على اسس اسلامية صرفه مستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية وتقليد الحكم وانماط السلوك الخلقى في عهد الخلافة الاسلامية الاولى وقد نبتت نظريتهم في الخلافة عن مبدأ ديني نقدي عريض وليس عن مبدأ سياسي محض كما قد يتبادر الى البعض وهذا المبدأ العام الذى يمثل القاعدة السلوكية الاولى لدى الخوارج ويعد منبعها اصيلا لتعاليمهم في الاصول الى غايتهم الاولى هو العود الى الكلمة الاصيله للدين كما في الكتاب والسنة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر استنادا اليهما ٠ (١)

(١) الفرق الاسلامية في الشعر الأموي ص ٢٠٥ د النصفان الغاضى ٠

دعائم مذهبهم :

للخوارج مذهب سياسي معروف دافعوا عنه بكل ما ايلكون وقاموا
بالتورات الكثيرة من أجل هذا المذهب وتدعيم مبادئه ، وتثبيت أركانه
ومن أهم ما نادوا به :

١ - الخلافة حق كل مسلم كفاء يجتمع فيه العلم والعدل والزهد (١)
ولا يشترط في الخليفة ان يكون هاشميا ولا قرشيا بل ولا عربيا ليسهل
عزله او قتله اذا انحرف لضعف عصبيته .

٢ - الخليفة ينتخبه المسلمون انتخابا حرا . وهم يرسدوا يمثلون
« الديمقراطية » ويطبقون الشورى تطبيقا دقيقا .

٣ - الاعتراف بصحة البيعة لابي بكر وعمر والاعتراف بخلافة عثمان
في السنوات الست الاولى من حكمه والتبرؤ منه في السنوات الياقية
والاقرار بصحة البيعة لعلى والرضا بخلافته قبل التحكيم . أما بعد
التحكيم فيحكيون بكفره . كما حكموا بكفر معاوية وطلحة والزبير وعمرو
بن العاص وعائشة وكتوا يعادون من يخالفهم في هذه الفكرة ويعدون
مخالفا للسدين .

٤ - اذا جار السلطان وجب عزله فان امتنع وجب قتله ، ومن خسر
على الامام العدل وجب قتله ، وليس من حق الامام الذي اختاره
المسلمون ان ينزل عن امامته (٢)

(١) الملل والنحل ١ : ١٠٧ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ج ١ : ١٠٧ .

ولقد أخلص الخوارج لعقيدتهم وغالوا في ذلك اشد المغالاة فلم يهادنوا خصومهم مهما كانت قوتهم ٠٠ ولم يجبنوا عن إعلان رأيهم والدفاع عنه مهما تكن تبعته ٠

والذى يتتبع اقوالهم وازاءهم ومناقشتهم لخصومهم يتبين انهم متمصبون اشد التعصب لآرائهم متزمتون في تطبيقها على انفسهم وعلى غيرهم (١)

ولقد كان لهم شعراء يدافعون عن مذهبهم ، وينادون بهادنتهم ، ويحملون حملة صادقة على اعدائهم ، وكانوا مخلصين لعقيدتهم اشد الاخلاص مؤمنين بها اعمق الايمان غير ان ادبهم قد عدا عليه الزمن فلم يحفظ لنا التاريخ منه الا القليل ٠

ادب الخوارج :

اذا كان الادب ظلا للحياة الاجتماعية وصورة من صورها فأدب الخوارج كان صورة صادقة من صور حياتهم ٠٠ اشتهر الخوارج بالشجاعة الفائقة ٠٠ والجرأة والاقدام ٠٠ والجهر بالرأى ٠٠ والصلابة في الحق ٠٠ حتى لقد كان اعداؤهم يرهبونهم ويقتزعون من اسمهم ٠٠ وكان العدد القليل منهم كفيلا بأن يهزم الكثرة من اعدائهم ٠٠ وقد استطاع اربعون رجلا من الخوارج ان يهزموا الفين من الامويين في موقعة آسك ٠٠ وقد عبر عن ذلك عيسى بن فرتك الخارجي في قوله :

(١) ادب السياسة ١١١ د أحمد الحرابي ٠

فلما أصبحوا صلوا وقلعوا
 الخن الجرد العقال وسروينا
 فلما استجمعوا حملوا عليهم
 فظلل ذوا الجمال يقتلوننا
 بقيعة يومهم حتى اتاهم
 بان القيسوم ولوا هاربينا
 يقول بصيرهم لسا اتاهم
 بان للقوم ولوا هاربينا
 الالف مؤمن فيهم زعمتم
 ويهزمهم بأسك اريمونا
 كذبتهم ليس ذاك كبا زعمتم
 ولكن الخسوارج مؤنسونا
 هم القلة القليلة غير شك
 على الفتنة الكثيرة ينصرونا
 اطعمتم كل جبار عنيسيد
 وما من طاعة للفسالينا (١)

ويصفهم ابو حمزة الخارجي فيقول :

ثياب وأللة مكتهلون في شهابهم غضبضة عن الشر أعينهم ،
 ثقيلة عن الباطل ارجلهم ، انضاء عيادة وأطلاح سهر ينظر الله اليهم
 في جوف الليل تمنية اصلايهم على اجراء القران كلها مر احدثهم بأية
 من نكر الجنة بكى شوقا اليها ، واذامر بأية من ذكر النار شوق شهقة
 كان زفير جهنم بين اذنيه موصول كلالهم بكلالهم : كلال الليل بكلال

النهـار قد آكـت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا
لذلك في جنب الله (١) .

وهذا وصف يدل على تمكن العقيدة من نفوسهم .. كما يدل على
زهدهم وورعهم واحتقارهم للدنيا ومتاعها الزائل فإذا حد الحسد
وكثرت الحرب عن انبيائها اتبروا للاعداء في شجاعة فائقة واقدماء
عجيب .. يقول ابو حمزه :

« حتى اذا رأوا السهام قد فوقت ، والرماح قد أشرعت
والسيوف قد انصببت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ك
استخفوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ومضي الشباب منهم قدما حتى
اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ،
فأسرعت اليه سباع الأرض وانحطت عليه طير السماء فكم من عين في
مقار طائر طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله وكم من كف
زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود
الله » (٢) .

وهكذا جمع الخوارج - كما وصفهم ابو حمزه - بين عنصرين
اساسيين : عنصر التقوى والورع الدينى - وعنصر الشجاعة في
الحروب ..

(١) البيان والتبيين ٢ : ١٢٤ .

(٢) المرجع السابق ٢ : ١٢٤ .

والى جانب شجاعتهم وورعهم ٠٠ اشتبهوا بالفصاحة وقسوة
البيان ٠٠ والاعتداد بالرأى ٠٠ يصنفهم عبيد الله بن زياد بقوله :

« لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع » (١) .

ويروى المبرد : ان عبد الملك بن مروان اتى برجل منهم فبحثه
فراى منه ماشاء فهما ثم بحثه فراى ما شاء اربا ودهيا (٢) فرغب
فيه فاستدعاه فقتل له : لتغتك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت
فاسمع اقل : قال له قل : فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له
مذهبهم بلسان طلق ، والفاظ بينه ، ومعان قريبة فقال عبد الملك بسد
ذلك : لقد كان يوقع في خاطرى ان الجنة خلقت لهم (٣)

« لقد كانت ثقافة الخوارج - بحكم ثلثة البداوة عليهم - ثقافة
عربية خالصة لا اثر فيها لثقافة الفرس كما هو الشأن في الشيعة
ولا اثر فيها لفلسفة اليونان كما هو الشأن في ثقافة المعتزلة » .

واكثر ما روى من شعرهم وادبهم وحكمهم ونواذرهم كان في
العصر الاموى ٠٠ اما ما روى في العصر العباسي فقد كان قليلا نادرا
وذلك راجع الى العوامل الآتية :

١ - ان الخوارج قد ضعفت شوكتهم في العصر العباسي ولم يكونوا
اقوياء كما كانوا في العصر الاموى فضعف ادبهم تبعا لضعفهم ٠٠

(١) ضحى الاسلام ٣ : ٣٤٤ .

(٢) الأرب : البصر بالأمور والدمى بمسئد دعى كرشو اذا كان

صاحبه عاقلا مجريا .

(٣) الكامل للمبرد ٣ : ٢٣٢ .

٢ - ان مدونى الادب فى العصر العباسى قد سمحت لهم النظر فى السياسة ان يدونوا ادب الخوارج فى العصر الاموى .. لان الامويين كانوا اعداء العباسيين وفى الوقت نفسه تحاملوا ادب الخوارج فى العصر العباسى تقريبا للحكام خوفا من بطشهم ..

٣ - ان ادب الخوارج كان ادبا شغوبا لسانيا غير مكتوب لأن معظم ادبائهم كانوا يدوا .. ونلك يحتاج الى ان يذهب الرواة اليهم ويسمعون منهم ويدينوا ادبهم .. وأكثر هؤلاء الرواة كانوا صناع الدولة العباسية يتقربون اليهم برواية ما يرضيهم ويدخل السرور اليهم ..

وعلى الرغم من ذلك فقد رويت لخوارج بعض القصائد والمقطوعات الشعرية التى تمثل ادبهم فى العصر العباسى .. وتلقى ضوءا باهتا الى ذلك الادب .. وتمطى للقارىء صورة عنه ..

تقول القارعة الخارجية اخت الوليد بن طريف ترثيه بعد ان قتله قائد جيش الرشيد يزيد بن يزيد الشيبانى :

فيا شجر الخسبور مالك مورقا
كانك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يصيب الزاد الا من التقى
ولا المال الا من قتنا وسيوف
ولا الذخر الا كل جرداء صندم
معاودة للكربين صفوف
كانك لم تشهد هناك ولم تقم
مقاما على الاعداء غير خفيف

ولم تستسلم يوماً لورد كريهة
 من السر في خضراء ذات زفيف
 ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح
 وسمر القنا ينكرنها بأنوف
 حليف الندى ما عاش يرضي به الندى
 فان مسات لا يرضى الندى بحليف
 فقدناك فقدان الشباب وليتنا
 فدينناك من فتيتنا بألسوف
 وماتال حتى ازهق الموت نفسه
 شجا لعدو اولجا لضعيف
 الا يا لقوى للتسوائب والردى
 ودهر ملح بالكرام عنيف
 وللبدن من بين الكواكب اذ هوى
 وللشمس لما ازيمت بكسوف
 ولليث كل الليث اذ يملونه
 الى حفرة بلحودة وسقيف
 الا قتال الله الاجثا حيث اضمرت
 فتى كان للمعروف غير عيوسف
 فلان يك اراده يزيد بن مزيد
 قرب زحوف لفهها بزحوف
 عليه سلام الله وقفنا فأننى
 أرى الموت وقاعا بكل شريف (١)

جلها قصيدة اخرى في رثائه تقول فيها :

ذكرت الوليد وأيامه
 اذ الارض من شخصه بلقع
 فأقبلت اطلبه في السماء
 كما يبتغي أنفه الاجدع
 اضاعك قومك فليطلبوا
 افساده مثل الذي ضيعوا
 لو ان السيوف التي حدها
 يصيك تعلم ما تصنع
 نبت عنك اذ جعلت هيئة
 وخوفا لصورك لا تقطع (١)

وهكذا كان ادب الخوارج في العصر العباسي يفيض قوة وضامة
 وتتدفق فيه العواطف كالسيل الهادر .. ويدور معظمه حول الصرب
 واهوالها ورثاء من قتل فيها من ابطال خوارج ..

ثانيا : المستزلة

تختلف الروايات حول مبدأ ظهور هذه الفرقة والسبب في تسميتها
 بهذا الاسم : ولعل اكثر الاقوال شهرة ان هذه التسمية اطلقها
 الحسن البصرى على تلميذه اصل بن عطاء الذي صار اماما لهم
 الفرقة . ذلك ان رجلا دخل على الحسن البصرى فقال له : يا امام

(١) المرجع السابق ٣ - ٢٤٦ .

الدين نقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبار ، والكبيرة عندهم كفر وهم وعيديه الخوارج ، وجماعة يرجئون اصحاب الكبار والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل على مذهبيهم ليس ركناً من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل ان يجيب قال واصل ابن عطاء : أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل الى اسطوانة هن اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من اصحاب الحسن فقال الحسن عند ذلك : اعتزل عنا واصل ومن هنا سمي هو واصحابه المعتزلة (١)

وهناك روايات اخرى تنسب الانفصال الى عمرو بن عبيد لا الى واصل بن عطاء ، على ان الروايات لم تتفق على الذي سماهم فهو تارة الحسن البصرى كما تقدم وتارة قنادة حينما مر بعمرو بن عبيد فقال : ما هذه المعتزلة ؟ (٢)

والمتتبع لتاريخ هذه التسمية يجد ان هذه الكلية كانت تعنى الحيدة تجاد النزاع القائم بين الملوين والامويين - وانها نشأت نشأة سياسية قبل ان تصير فرقة دينية لها آراؤها تجاه الكشسير من امور الدين يدل على ذلك ان أبا الفدا ذكر في مباحثه الامام على سنة ٢٥ هـ أسماء بعض الذين لم يبايعوه وهم في الوقت نفسه لم يكونوا من أنصار عثمان ، وعقب على هذا بقوله : ان هؤلاء سبوا المعتزلة لاعتزالهم بيعة على (٣)

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٨٦ وما بعدها .

(٢) لسان العرب مادة عزل .

(٣) المختصر في أحوال البشر لأبي الفدا ١ : ١٧١ .

وذكر أبو الفرج أن والد الشاعر ابن بن خريم كان ممن اعتزلوا
حرب الجمل وصفين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرهما (١) .

وكان بسيد بن أبي وقاص من الذين اعتزلوا الصراع بين علي
وطليحة والزبير وقال : لا اقاتل حتى تأتوني بسيف يستطيع ان يعقل
وينطق ويبصر ليخبرتنى ان هذا اصاب وان ذلك اخطأ .

وذكر أبو الفرج كذلك : أن ابن بن خريم اعتزل النزاع الذي نشب
بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان وشاركه في الاعتزال رجلاً
من قومه يقال له ابن كوز فماتت المنازعة ابن فقال ابياتا منها :

فنى تارك لها جميعاً ومعتزل كما اعتزل ابن كوز (٢)

« وقضية الحكم في مرتكب الكبيرة قضية دينية من الطراز الاول
ولكنها كتبت في الواقع قد اصبحت في ذلك الوقت قضية سياسية كذلك
ذلك انه على اساس بن هذا الحكم جدد كل حزب من الاحزاب
المتصارعة سياسياً موقع الاحزاب الاخرى فالبلويون يتهمون الامويين
منذ عهدهم الاول بقتل علي ، ويتهمون الخوارج بالانقراض عنه
وتركه وحيدا يواجه مصيره والامويون يلعنون عليا على المتأخر ويرون في
سكوته على مقتل عثمان جريئة ، والخوارج يكفرون عليا لقبوله مبدأ
التحكيم ، كما يكفرون الذين حاربوه ، والمرجئة لا يقطعون بمن من هؤلاء
الاحزاب هو على حق او على خطأ فكلهم مؤمنون اول الامر وآخره
والله وحده هو الذي يفصل بينهم يوم القيامة . وهنا تبرز القياسة

(١) الأغانى ٢١ : ٥ .

(٢) الأغانى ٢١ : ٦ .

الجديدة لرأى واصل ابن عطاء في مرتكب الكبيرة من الوجهة السياسية فهو لا يكفر فريقا من هؤلاء على الاطلاق كما لا يبىء فريقا على الاطلاق بل ينتهى الى احد الفريقين فاسق لاحالة ولكن دون تعيين، ويوشك واصل بهذا الحكم ان يسقط الاموين والموليين جميعا (١)

ويذهب الدكتور : عبد الحكيم بليغ الى ان كلام واصل في شأن مرتكب الكبيرة وانزله اياه في منزله الفاسق انما يفسر من خلال المنهج السياسي الذى كان بمثابة التمهيد لقيام الحكم العباسي وان حركة واصل تمثل الفكرة الدينية الرسمية للحكومة العباسية (٢)

ويرى بعض المستشرقين ان صفة المعتزلة كانت تطلىق على العباسيين انفسهم قبل ان يتولوا الخلافة وذلك نتيجة للموقف الذى اتخذوه عندما خرجت دعوتهم من السر الى العلن حيث آثروا اتخاذ طريق وسط امحاييد بن الملوين والامويين فيما كان بينهم من صراع بينهم من اجل اعتزالهم عن الدخول في هذا الصراع سموا معتزلة (٣)

وهذا يفسر لنا سبب ارتباط المعتزلة بالدولة العباسية منذ قيامها حتى ان المنصور كان يبكى عندما كان يستمع الى وعظ عمرو بن عبيد صديق واصل بن عطاء .

(١) في الشعر العباسي ص ١٩٣ .

(٢) أدب المعتزلة ٢٩ د عبد الحكيم بليغ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية ٤٤٤ كارل بروكلمان .

روى الجاحظ : ان عمرو بن عبّيد دخل على المنصور يوما فسأى
عنه فتى لم يعرفه فسأله المنصور : يا أبا عثمان : أتعرفه ؟

قال : لا : فقال المنصور : هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد
المسلمين فقال له : قد رضيت له أمرا يصير اليه اذا صار وقد شغلت
عنه فيكى المنصور ثم قال : عظمى يا أبا عثمان فقال : ان الله قد
أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منها ببعضها ، فلو ان هذا الامر
اندى صار اليك بقى في يدي من كان قبلك لم يصل اليك ، وانكر
يوما تخض عن يوم لا ليلة بعده . فوجم ابو جعفر بن قوله . . فقال
له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين . فقال عمرو للمنصور ان هذا
صحبك عشرين سنة لم يرك عليه ان ينصحك يوما واحدا وما عمل
من وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه . قال ابو جعفر : فما
أصنع ؟ قد قلت لك خاتمي في يدك فتعمل وأصحابك فاكفنى : قال
عمرو : ادعنا بعدك تنسخ انفسنا بعمو نك ، ببابك اكف مظنة أردد
منها شيئا تعلم أنك صادق (١)

وهذه الجراة من عمرو بن عبّيد على المنصور تدلنا على مدى
الصلة التي كتبت تربط أمة المعتزلة بالخلفاء العباسيين في صدر
الدولة .

ولما مات عمرو بن عبّيد رثاه المنصور فكانت الحادثة الاولى من
نوعها ان يرثى الخليفة واحدا من الرعية .

(١) البيان والتبيين ٢ : ٦٤ .

يقول المنصور في رثائه :

صلى الله عليك بن موسى
قبراً مررت به على مران
قبراً تضمن مؤمناً بتخشعنا
عبد الله ودان بالقصران
وإذا الرجال تنازعوا في شبهة
فصل الحديث بحجة وبيان
ولو أن هذا الدهر أبقى صالحاً
أبقى لنا عمراً أباً عثمان

ويقول الجاحظ انه بعد وفاة ابن أبي ليلى وعمرو بن عبيد قال
ابو جعفر المنصور : ما بقى أحد يستحي منه (١)

« وقد ظل الجيل الاول من المعتزلة بعيداً عن مواقع النفوذ
والسلطان مكتفين بصلاتهم الشخصية بالخلفاء ونفوذهم المعنوي
لديهم الى ان تولى المأمون الخلافة وكان مهيباً للمعلم شغوفاً بالدرس
والاطلاع فأنشأ بيت الحكمة وجلب اليه المصنفات من كل لغة
وعكف المترجمون على ترجمتها فانهمك في تدارس هذه الثقافات
الوافدة ووجد فيه المعتزلة أكبر نصير لهم حتى ليكن ان يقال ان عصر
المأمون كان عصر المعتزلة الذهبي (١)

(١) مرجع السابق ٢ : ٦٤ -

(٢) في الشعر العباسي ص ١٩٨ -

والمعتزلة في عهده لم يبقوا - كسابق عهدهم - بعيبيدين عن ممارسة السلطة بل ظهر منهم احمد بن أبي دؤاد الذي استوزر للمأمون وللامتصم والواثق من بعده وكان نافذ الكلمة لديهم جميعا (١) .

واستمر نفوذ المعتزلة قويا بعد وفاة المأمون إذ كان أخوه المتصم الذي ولى الخلافة من بعده يسير على نهجه ويعتق بهادته .

وظل احمد بن أبي دؤاد نافذ الكلمة عنده حتى إذا كانت خلافة الواثق بلغ مذهب الاعتزال اقصى حالات انتشاره وعندما آلت الخلافة الى المتوكل : قام بانقلا بفكرى على المعتزلة فضربهم في أشخاصهم ضربة عنفة فاقصاهم عن مراكز القضاء والافتاء وصادر اموالهم وزج بهم في غياهب السجون .

وقد اتبرى الشعراء بلدح المتوكل . نددى بأهل البدع وهم المعتزلة مبتهجين بظهور أهل السنة ..

وهن هذا ما قاله ابو بكر بن الخبار في مدح المتوكل :

وبعد فان السنة اليوم أصبحت
معسزة حتى كأن لم تذلل
تصول وتسطو إذ اقيم منارها
وحط متار الاثك والزور من عز
وولى اخو الابداع في الدين هاربا
الى النار يهوى مدبرا غير مقبل

(١) المرجع السابق ١٩٨ .

شفي الله منهم بالخليفة جعفر
 خليفة - ذى السنة - المتوكل
 خليفة ربي وابن عم نبييه
 وخير بنى العباس من منهم ولي
 وجامع شمل الدين بعد تشتت
 وفارى رؤوس المارقين بموصل

وللبحتري في المتوكل مدائح كثيرة وهو في احداها يشير الى هذه
 التغيير الذى تم على يديه فيقول :

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم
 المرتضى بن المجتبي
 والمنعم بن المنتقم
 أما الرعدة فهي من
 أمان عدك في حرم
 يا بنى المجد الذى
 قد كان قروض فانهم
 اسلم لدين محمد
 فاذا سلمت فقد سلم
 لنا الهدى بعد العبي
 بك والغنى بعد العدم

وكان المعتزلة يسهون انفسهم اهل العدل لانهم يقولون بحرية
 الانسان في اختيار اعماله فيثبته الله عليهما او يعاقبه عادلا فلا جبر ولا
 اضطراب .

ويسمون أنفسهم أهل التوحيد لانهم نفوا الصفات القديمة عن الله تعالى وقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا يعلم وقدرته وحياته بل هي صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات في القدم الذى هو اخص الوصف لشاركته في الالوهية ٠٠

واطلق عليهم خصومهم احيانا القدرية لانهم وافقوا القدرية في القول بحرية العبد واختياره وقدرته ٠

أما الاسس العامة لمذهبهم فتقوم على عدة اصول هي :

المعدل ، والتوحيد ، والوعد والوعيد ، والقول بالمنزلة بين المنزلتين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوقف عن الحكم على أحد الفريقين من اصحاب الجبل واصحاب صقين ٠٠

ولهم آراء شتى منها ان العقل قادر على معرفة الحسن الخبيث وان لم يرد بهما شرع لان في الشيء صفة ذاتية تجعله حسنا او قبيحا (١)

أدب المعتزلة :

خلف المعتزلة لنا أدبا كثيرا يتمثل في الخطب الوعظية والمجادلات مع اصحاب النحل الاخرى والاشعار ٠٠

(١) انظر أدب السياسة ص ١٤٠ د أحمد الحرنى وضحي الاسلام

وكان ادبهم شديد الارتباط بدعوتهم وافكارهم ، أدب يمتد
على الجدل والحجاج وتبجيد العقل والانتصار للمذهب ..

يقول بشر بن المعتز وهو رأس مدرسة الاعتزال في بغداد
حمدا للعقل ومنوها بقدراته الفائقة :

لله در العقول من راشد
وصاحب في العسر واليسر
وحاكم يقضي على غائب
قضية التمسك للآمر
وأن شيئاً بهض أفعاله
أن يفصل الخير من الشر
بذئ قوي قسده ربه
بخالص التقديس والظهير

فالعقل هو رائد الانسان وصديقه في العسر واليسر .. وهو الذي
يقيس الاشياء ويستنبط الاحكام .. ويميز بين الخير والشر ومن أجل
ذلك اثنى عليه الخالق جل وعلا ..

ولقد كان المعتزلة أكثر الناس امتلاكا لآراء مية البلاغة واقدرهم
على توليد الافكار واستخراج المعاني والقدرة الفائقة على الإقناع ..

ومن يقرأ مناظراتهم ومجادلاتهم وحوارهم نخصونهم بدرك
حقيقية ما نقول ..

« ولنظر الان في هذا الحوار الطريف بين ابي الهذيل الملافي شيخ المعتزلة وبين صالح بن عبد القدوس الزنديق عندما مات احداً ابناؤه وقد جزع عليه جزعا شديداً »

قال أبو الهذيل لصالح : لا أعرف احزنك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع ، فقال صالح : يا أبا الهذيل انما أتوجع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك . فقال له : وما هذا الكتاب يا صالح ؟

قال : هو كتاب وضعته من قرأه تشكك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان قال له أبو الهذيل : فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يموت وان كان قد مات . وشك أيضا في انه قد قرأ كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه (١)

أما أشعارهم فهنا قدر يتجه الى الحديث عن المعتزلة بوصفهم فرقة ذات فكر خاص ورسالة مستقلة ..

يقول شاعرهم صفوان الانصاري واصفا اخلاقهم وصفاتهم:

تلقب بالفسزال واحد عصره
فمن لليتامى والقبيل المكابر
ومن لحروري وأخر رافض
وأخر مرجى وأخر جائر

(١) الفرست : ص ٢٥١ لابن النديم .

وأمر بمعروف وانكار منكر
وتحصين دين الله من كل كافر
يصيون فصل القول في كل موطن
كما طبقت في العظم مدينة جتر
تراهم كأن الطير فوق رؤوسهم
على عمة معروفة في المعاشر
وسيماهم معروفة في وجوههم
وفي المثي حجابا وفوق الابعر
وفي ركعة تأتي على الليل كله
وظاهر قول في مثال الضمائر
وفي قص هذاب واحفاء شارب
وكور على شيب يضيء لناظر
فتك علامات تحيط بوصفهم
وليس جهول القوم في علم خابر

يشير صفوان في هذه الابيات الى ان المعتزلة هم الذين يحملون
راية الاسلام وهم الذين يكافحون الفرق الضالة كالخوارج والرافضة
والمرجئة .. وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. ولهم
في كل موقف القول الفصل كل ذلك مع هدوء نفوسهم وورع قلوبهم
ولهم زيهم الخاص بهم كالعمامة والثوب القصير وسيماهم في
وجوههم من اثر السجود .

وبصفتهم بشر بن المعتز بقوله :

ان كنت تملنهم منا اقول
 وما تقول فانت عاالم
 او كنت تجهل ذا وذاك
 فكن لامل العلم لازم
 امل الرياسة من
 ينازعهم رياستهم فظالم
 سهرت عيونهم وادت
 من الذي قاسوه حالم
 لا تطلبن رياسة
 بالجهل أنت لها مخاصم
 لولا مقسامهم رايت
 الدين مضطرب الدعائم
 أما شعرهم في الرد على مخالفهم فيغاب عليه طابع الاحتجاج
 والجدل ..

يقول سليمان الاعمى في الرد على ما ذهب اليه بشار بن برد في
 النقول بأن ابليس افضل من آدم لان النار افضل من التراب يقول :

لابد للارض ان طابت وان خبيثت
 من ان تحيل اليها كل مقروس
 وتربة الارض ان جيدت وان قحطت
 فحملها ابدأ في اثر منغوس (١)

(١) حيلت : اصابها الجرد أي المطر ، منغوس : مولود ..

وبطنها بفلز الأرض ذو خبير
 بكل ذي جوهر في الأرض مرهوس
 وكل آتية عميت مرفقهيا
 وكل متفقد فيها وملبوس
 وكل ما عونها كالجح مرفقة
 وكلها مضحك من قول ابليس

ولصفوان الانصاري قصيدة اسهب فيها في الاحتجاج لفضل
 الأرض على النار مستقصيا كل خصائص الأرض الطادية والمعنوية
 معددا فوائدها ومنافئها ، ومتحدثا عن مكوناتها ودقائقها حديث
 عالم مدقق خبير ببواطن الأمور .

وينتهي من ذلك الى ابطال دعوى بشار في تفضيل النار على
 الأرض وفي النهاية يكشف عن معتقدات بشار التسخيفية وإرائه
 الباطلة ثم يدعوه الى الانصراف الى الغزل والتشبيب النسب
 وترك الأمور الدقيقة لمن يفهمون فيها ويدركون كنه أسرارها .

يقول صفوان :

زعمت بأن النار أكرم عنصرًا
 وفي الأرض تحيا بالمجارة والزند
 وتخلق في أرحمها وأرومها
 أعاجيب لا تحصي بخط ولا عقد

(١) مرموس : مرقون .

وفي القعر من لبح البصار منافع
من اللؤلؤ المكنون والعنبر السورد
كذلك سر الارض في البحر كله
وفي الفيضة القناء والجبل الصلد
ولا بد من ارض لكل مطير
وكل سبوح في الفجر من جد (١)
كذلك وما يتساح في الارض ماشيا
على بطنه بشي الجانب للقصد
ويسرى على جلد يقيم حروره
تجمع ماء السبل في صلب جرد
وفي قلال الاجيال خلف مقطم
زبرجد املاك الثرى ساعة الحشد
وفي الحرة الرجلاء (٢) تلقى مادن
لهن مغارات تبجس بالنقد
من الذهب الابريز والفضة التي
تروق وتصبى ذا القناعة والزهد
وكل فلبيز من نحاس وانك
ومن زئبق صى ونوشادر يسدى
وفيها زراينخ وميكر ومرك
ومن مرقشيشا غيركاب ولامكدي (٣)

- (١) الجد بفتح الجيم وضما : شامله النهر .
(٢) الحرة الرجلاء : الأرض الوعرة كثيرة الحجارة .
(٣) الكثر : طين أحمر يستخدم للصباغة . والمرك : الرصاص الأبيض
والمرقشيشا : حجارة يستخدم منها النحاس .

وفيهما ضروب القار والشب والمها
 واصناف كبيريت مطولة الوقد
 ترى العروق منها في المقاطع لانما
 كما قدت الحسنة حاشية البرد
 ومن ائمد جرن وكلس وفضة
 ومن توتياء في معادته هندي
 وفي كل اعوار البلاد معادن
 وفي ظاهر البيداء من يستو نجد
 وكل يواقيت الانام وجليها
 من الارض والاحجار فاخرة المجد
 وفيها مقام الخل والركن والصفاء
 ومستلم الحجاج من جنة الخلد
 وفي صخرة الخضر التي عند حوتها
 وفي الحجر المهي (١) لموسي على عمد
 وفي الصخرة الصماء تصدع آية
 لام فصيل ذي زعماء وذي وخذ (٢)
 بفاجر اللطين الذي كان اصلنا
 ونحن بنوه غير شك ولا جمد
 فذلك تدبير ونفع وحكمة
 وأوضح برهان على الواحد الفرد (٣)

(١) حجر المهي : الذي اظهر ماء موسي عندما ضربه بمصاء
 (٢) يشير الى الصخرة التي ظهرت منها ناقة صالح عشراء ، والوحيد
 لحرب من سير الابل
 (٣) البيان والنبين ١ : ١٧ *

يبدأ صفوان قصيدته بالرد على بشار الذي زعم أن النار أكرم
عنصر من الطين فقال له : أن هذه النار لا يمكن أن تشتمل وتحمي
ألا فوق الأرض سواء أكانت في صورتها المألوفة أم بعناصرها الأولية
من الحجارة والعيان التي يقدح بها شررها .

والله سبحانه خلق في باطن الأرض وفي أصول الجبال أعاجيب
لا يحيط بها عد ولا حصر على اليابسة فحسب وإنما تمتد تحت البحار
والمحيطات حيث يكمن في أحشائها اللؤلؤ المكنون وهذه الأرض طيبة
بالأسرار والمنافع البر والبحر والروض والجبل ، ومهما طوف طائر في
الجو أو سبح سابع في البحر فلا يد له أن يأوى إلى الأرض ويستقر
عليها .

وفي الأرض كثير من المعادن النفيسة التي يتفجع بها الإنسان
كالذهب والفضة والبرجد والنحاس والزنك والنوشادر والزرنيخ
وغيرها من الأحجار النافعة والعناصر المفيدة كالقار والشيب والزرجاج
وأصناف الكبريت والمعادن التي ترى عروقها تلوح ممتدة في باطن الأرض
وفي الأرض الأماكن المقدسة كالصفا والمروة والمجرا لاسود وصخرة الخضر
وغيرها من الأماكن المقدسة عبر التاريخ ثم ينتهي من وراء ذلك كله إلى
تقرير الحقيقة التي يتشدها وهي أن الأرض أكرم عنصر من النار
وأنها بهذه الصورة الناقمة للناس أكبر دليل على قدرة الخالق جل وعلا .

وكان بشار قد هجا وأصل بن عطاء زعيم المعتزلة بقوله :

مائن الشبايع غزالا له عشق

كثفتي الدواين ولبي وإن شئت

في

عَنقُ الزَّرَّاقِنَةَ مَا بَلَغَ زِيَادَتِكُمْ
اتَكَفَّرُونَ رَجَالًا أَكْفَرُوا رَجُلَاءً؟ (١)

فجعلهم غزالا قاصدا تحقيره اذ كان يبيع الغزل في سوق الغزالية.

فرد عليه صفوان في آخر قصيدته السابقة مفضلا واصلا جاعته
على بنهار وأصحابه من ذي الجنادى الهدامة والافكار الضالقة والمعاند
الكاسدة فيقول :

أَجْمَلُ عَمْرًا وَالنَّطَاقِي وَوَأَضَلُّ
كَأَنبِغَ دِيصِنَ وَهَمَّ قَمِيشَ الْمَدِّ (٢)
وَتَفَخَّرَ بِالْمَيْلَاءِ وَالنَّعْجِ غَضَمِ
وتضحك من جيد الرئيس أبي جعد (٣)
وتحكى لدى الاقوام شناعة رايه
للتصرف الهنوء النفوس الى الرد
وسميته الغزال في التسنن مطنيا
وئولاك عند الظلم قضتته مردى
فيأين حليف الطين واللؤم والغمى
وايمد خلق الله من طرق التمد
أتهجو أبا بكر وتخلع بعسدة
عليا وتفترو كل ذاك الى برء
كأنك غضبان على الذين كلة
وطالب دخل لا يبيت على حقد

(١) البيان والتبيين ١ : ١٠٠

(٢) قمش المد : اى الاذنك

(٣) الميلاء : هي حاضنة ابن منصور الجعفي صاحب فرقة المنصورية
وكان لها شأن في فرقتهم . وأبو الجعد : كنية لواسل بن عطاء .

رَجِمَتْ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ وَأَصْلًا
 وَكَانَتْ شَرِيدًا فِي التَّهَامِ وَالْتِجَادِ
 أَنْجَلُ لَيْلَى النَّاعِطِيَّةُ تَحَلَّةُ
 وَكُلُّ قَرِيقٍ فِي التَّنَاسُخِ وَالرَّدِ
 عَلَيْكَ بَدْعُ وَالصَّرُوفُ وَفَرْتَنِي
 وَحَاضَتِي كَسَفِ وَزَاهِلَتِي هِنْدِ
 تَوَائِبِ أَقْمَارًا وَأَنْتِ مَشْهُوهِ
 وَأَقْرَبُ خَلْقِ إِيَّاهِ مِنْ شَبْهِ الْقَرْدِ

« قصصون يستنكر على بشار هجرته على المعتزلة وتشنيعه على أصل ويفضح قصده في أن يصرف الناس عن مذهبه إلى المذاهب الفاسدة ويمير بشار بأن إياه كان طينا وأن مولاة كان ملاحا ويستنكر هجومه على الخلفاء وتكفيره الأئمة ويتهمة بأنه مؤثر من الدين كله، وأنه جحد فضل وأصل عليه إذا أعاده إلى بلده بقدر أن كان بعيدا شريدا في الأرض ثم يندد بمذهبه في التناسخ ساخرا منه سخرية مرة في تنسأله دعما إذا كان يزعم أن ليلى الناعطية • هي امرأة من الغالية ذات عقل وتدبير تحمل روح تحله ؟

ويهدى إليه نصيحة ساخرة بأن يلزم مجالس النساء من دعاه إلى همد ممرضا بفسقه وعيسه على أن يترك هؤلاء الرجال الذين لا يستطيع أن يساميتهم أو يطاولهم إذ بينه وبينهم ما بين الأرض والقمر مشبهما إياه في قبحه ودنأتمته بالقرد (١):

وفي قصيدة أخرى لصفيان الثوري يصف الممتزلة بأنهم
 يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر لا يرهبون في سبيل ذلك سلطاناً
 ولا يخافون طاعة ، لا يعاؤون بغيظ الصيف ، ولا بصقيع الشتاء .

يتركون أوطانهم ويسافرون إلى بلاد بعيدة في سبيل هذه الغاية
 وهم في كل ذلك لا يبخون بالجهد والمشقة وكذا السفر في سبيل الدفاع
 عن دين الله فتصبرهم الله وأظهرهم على أعدائهم فصاروا حماة الدين
 وأهل الفتيا وأرباب الجدل يصيبون فصل القول في كل منطلق تعرفهم
 في إخلاصهم وخضوعهم لله تعالى فهم يسمعون إلى الحج ويطلبون
 الصلاة حتى ليقتضي الرجل منهم الليل في ركعة واحدة .

تعرفهم كذلك في تحري الصدق والبعد عن الكذب والنفاق ومن
 قصص أمدابهم وأغفاء شواربهم ، ومن عهاتهم المكورة ومن قبضاتهم
 الرحبية كل هذه صفات تجعلهم دعاة صالحين يأمرؤن بالمعروف
 وينهون عن المنكر يقول صفوان :

له خلف شعب الصين في كل ثفرة
 إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
 رجال دعاة لا يقل عزمهم
 تهكم جبار ولا كيد مكر
 أنا قال مروا في الشتاء تطاوعوا
 وأن كان صيفاً لم يخف شهر تاجر
 بهجرة أوطان وبذل وكفنة
 وشدة أخطار وكذا المنسافر
 فأنجح منساعهم واثقب زندهم
 وآورى بفلج للإخاصم قاهر

وأوتاد أرض الله في كل بطنع
 وبوضع قنباها وعلم التشاجر
 وما كان سحبان يشق غبارهم
 ولا الشدق بن حى هلال بن عابر
 ولا الناطق النخار والشيخ دغفل
 اذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر
 ولا القالة الاعلون رهط مكمل
 انا نطقوا في الصبح بين العشائر
 بجمع من الجفين راض وساخط
 وقد زحفت براؤهم بالمخاصر
 تلقب بالفزال واحد عصره
 فمن لئنامى والقبيل المكائر
 فمن لمرورى وأخر رافض
 وأخر مرجى وأخر حائر
 وأمر بمعروف وانكار منكر
 وتحصين دين الله من كل كافر
 يصيبون فصل القول في كل منطق
 كما طبقت في العظم مدىه جائر
 تراهم كان الطير فوق رؤوسهم
 على همة معروفة في المعاشر
 وسياهم معروفة في وجوههم
 وفي المشي حجاجا وفوق الاباعر
 وفي ركعة تأتي على الليل كله
 وظاهر قول في مثال الضمائر

وفي قصص اهداب واحفاء شارب
 وكور عن شبيب يصيء لناظر
 وعنقفة مصلوحة ولعملة
 قبلاان في زدن رحيب الخواطر
 فتلك علامات تحيط بوصفهم
 وليس جهول القوم في جرم خابر (١)

ولا شك أن الشاعر قد أجاد في وصف أصحابه من المعتزلة ••
 وتبدو عاطفته قوية مندفة في هذا الوصف الذي يدل على حبه
 لأصحابه وإخلاصه في مودتهم وتفانيه في الدفاع عن مذهب •

ويتجلى ذلك في وصفه لهم بالإخلاص في القول والعمل والتفاني
 في نشر مذهبهم وشجاعتهم الفائقة في قول الحق وفصاحتهم التي
 لا تبارى وقوة برهانتهم ووضوح منطقهم •• والأستهانة بالصعوبات في
 سبيل إعلاء كلمة الله والدفاع عن دينه •

أما أصل بن عطاء زعيم المعتزلة فقد أكثر الشعراء في مدحه
 والإشادة ببلاغته وحسن بيانه وقدرته على القول وتمكنه من ناصية
 اللغة وتصريف وجوه الكلام على الرغم من لثغة قبيحة كانت في لسانه
 تجعله يتحرج من التطق بحرف الراء - كما أشادوا بنصائله وتحمله
 الانتقال من مكان إلى آخر في سبيل نشر مذهب والدفاع عن عقيدته •

يقول صفوان الأنصاري عنه :

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٤ •

مأقن منهم فيما يحاوله جم خواطره جتواب ألقاق (١)

ويقول أيضا مفتخرا بمهارته واسقاطه حرف الراء وظهوره على غيره من الخطباء :

فَسائل بعبد الله في يوم حفلة
 وذلك مقام لا يتساهده وغد
 أقام شيبيا وابن صفوان قبله
 يقول خطيب لا يجانبه القصد
 وقال ابن عيسى ثم فقهه وأصل
 فأبدع قولاً دأله في السورى ند
 فما تقصته الراء إذ كان قادرا
 على تركها واللفظ مطرد سرد
 ففضل عبداه خطبة وأصل
 وضوعف في قسم الصلوات له الشكر
 فاقنع كل القوم شكر حياتهم
 وقلل ذاك الضعف في عينه الزهد (٢)

يشير صفوان بذلك الى تفوق واصل بن عطاء على الخطباء الذين
 تكلموا قبله في مجلس عبد الله بن عمر بن العزيز والى المراسل وهم
 خالد بن صفوان وشيبان بن شيبه والفضل بن عيسى .

وقد اعجب الواثق ببلاغة صفوان . . . وقدوته على التصرف في

(١) معجم الأدياء ٩ : ٢٤٩ .

(٢) البيان والتبيين ١ : ١٩ .

فنون القول ٠٠ وتجنبه لحرف الراء على الرغم من كثرة وجودها
في الكلام ٠

ويقول شاعر معتزلي آخر وهو أبو الطروق الضبي مشيدا بخطبه
واصل واجتنبه الراء في كلامه :

عليم بإبدال الحسروف وقامع
لكل خطيب يغلب الحق باطله (١)

وكما أشاد شعراء المعتزلة ببلاغة وأصل وجهاده في سبيل دعوته
أشادوا كذلك بزهده في الدنيا والابتعاد عن زخرفها الكساذب ومتاعها
الزائل وفي ذلك يقول صفوان الانصاري :

ولا حس ديناراً ولا مس درهما
ولا عرف الثوب الذي هو قاطعه

وكذلك كانت صورة صاحبه عمرو بن عبيد الذي وصفه الخليفة
العباسي أبو جعفر المنصور بقوله :

كلكم يمشي رويد . كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

وهكذا نجد للمعتزلة شعرا كثيرا يعبر عن مذهبهم ويدافع عن
مبادئهم ويرد على خصومهم ٠٠ من أهل النحل والبدع وهو بالإضافة
الى ذلك لا يخاف من العاطفة الحارة والصورة الرائعة وان كان ذلك
قليل لأن معظمه يقوم على الجدل والحجاج ومقارعة الخصوم فهو
شعر يذهب برمته في تقرير العقيدة والدفاع عنها أما موضوعات

(١) وفيات الأعيان ٥ : ٦٠ .

شعرهم فكانت أوثق اتصالاً بمذهبهم فهي موضوعات عقائدية
خالصة تقوم على تقرير بعض المبادئ التي تدل دلالة قريبة
وواضحة على طابع فكري ومذهبي خالص ..

على أن شعر المعتزلة لم يكن فقط حديثاً عن أنفسهم وعن مذهبهم
أو مدافعة لخصوبهم بل كانت لهم اشعار في مختلف الفنون والأغراض
ومن بينها الغزل .. وللنظام شعر غزلي رقيق لا يقل روعة ولا جمالا
عن اشعار الشعراء العاشقين :

كقوله :

يا تاركى جسدا بغير فؤاد
أسرفت في الهجران والابعاد
ان كان يمتنك الزيارة أعين
فادخل على بملة العواد
كيا اراك وتلك اعظم نعمة
ملكك يدك بها متبع قيادى
ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الاجساد (١)

وله كذلك :

وشلان يتطرق بالظرف
يقصر عنه منتهى الوصف
رق فلو بزت سرايبه
علقه الجو من اللطف

بمجرد اللفظ بتكراره
ويشكك في الإتيان بالطريف
أفديه من مقرى بما سيأتي
فته يلتم ما أخفى (١)

وله أيضا:

أفرغ من نور سيمائي
«صور في جسم أنسي
وافقر الحسن الى حسنه
فجمل من تحديد كيفي
أبدعه الخالق واختياره
من ميازج الأنوار علوى
فكل من أغرق في وصفه
أصبح منسوبا الى العن

فهذا شعر عذب رقيق يصلح الفناء لا علاقة له بمذمب المعتزلة
وهادتهم الدينية * وان كنا مع ذلك نلجج فيه روح المعتزلة من حيث
توليد المعنى وتخريج الأفكار واستخدام الكليات التي لا توجد غالبا
الا في قواميسهم فالجديت عن اثر الفكر في الجسم وعن الجسم الذي
لا روح له وعن الفكر والظاهر والقرهم والكيف واللطف كل ذلك لا يوجد
الا في اصطلاح المتكلمين وبخاصة المعتزلة بهم *

ثالثا : المرجئة

كان ظهور فرقة المرجئة نتيجة طبيعية للتطرف الشديد الذي اشتملت عليه عقائد الشيعة والخوارج فقد عجز كل من الفريقين في آرائه وتمصب لمعتقداته الى درجة باعدت بينه وبين فطرة الاسلام ببساطة حقيقته ، وكان من الطبيعي ان يسفر هذا الغلو المتطرف عن ظهور فرقة مجيدة تازم جانب القصد والاعتدال لا الي هؤلاء ، ولا الي هؤلاء وتقف موقفاً وسطاً بين الجانبين المتطرفين وتضع مفاهيم جديدة في الحكم على المتنازعين من المسلمين بعد مقتل عثمان بن الكفر والايمان فتوسط في هذه الاحكام بعيدا عن الصرامة والعنف اللذين اتسمت بهما عقائد الخوارج والشيعة (١) .

ويذكر بن عساكر ان رجال المرجئة الاولين كانوا من الغزاة الذين قدموا المدينة بعد مقتل عثمان وكان عهدهم بالناس وامرهم واحد ليس بينهم اختلاف فقالوا : تركناكم وامركم واحد ليس بينكم اختلاف ، وقدما عليكم وانتم تختلفون فبعضكم يقول : قتل عثمان عظوما وكان اولى بالعدل واصحابه وبعضكم يقول كلن على اولى بالحق واصحابه وكلهم ثقة وكلهم عدنا مصدق ، فنحن لا نتبرا منها ولا نلعنهما ولا نشهد عليهما ونرجى امرها الى الله حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما (٢) .

وهذا يدل على ان المرجئة حزب سياسي محايد لا هو مع على ولا مع بنى أمية ، وكانوا يسالمون الخوارج والشيعة وبنى أمية لانهم ليسوا مع الخوارج في تكفير على ومعاوية وليسوا مع الشيعة في تكفير بنى أمية وليسوا مع بنى أمية في قتالهم للخوارج والشيعة .

(١) الفرق الاسلامية في الشعر اتبوي ص ٢٦٢ .

(٢) تاريخ الشام لابن عساكر ٢٠ : ٥٧٧ .

وكلمة « مرجئة » مأخوذة من « أرجأ » بمعنى أمهل وأخر وقد سوا بالمرجئة لأنهم يرجئون أمر هؤلاء الذين اختلفوا وتنازعوا الى يوم القيامة ولا يقضون بحكم على هؤلاء ولا على هؤلاء اخذاً من قوله تعالى « قاتلوا ارجه واخاه » أي أمهله وأخره .

٢ - أو لأنهم لم يقضوا على مرتكب الكبيرة بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار وإنما آخروا الحكم عليه الى يوم القيامة فهم بهذا يعطونه الرجاء في المغفرة لأنهم ذهبوا الى أنه لا تضر مع الايمان مصيبة كما لا تنفع مع الكفر طاعة فهم يرجون لكل مسلم مغفرة من الله (١) .

٣ - أو لأنهم يقولون ان الايمان تصديق فحسب أو تصديق بالقلب واللسان ولا حاجة الى الاعمال فكانهم قدموا القول وأرجأ العمل أي آخروه فان المؤمن ان لم يصلوا ولم يصرموا نجاههم ايمانهم أو لانهم يعتقدون ان الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي (٢) .

٤ - أو هم سمو بذلك لأنهم أرجأوا أي آخروا علياً من الدرجة الاولى الى الرابعة فهم على نقيض الشيعة (٣)

ونحن لا نرى خلافاً بين هذه الآراء فهي جميعاً متداخلة وترجع جهيمها الى ارجاء الحكم على المتنازعين من أصحاب علي وطلحه والزبير ومعاوية وغيرهم الى يوم القيامة ليحكم بينهم الله تعالى يوم القيامة .

(١) الملل والنحل ١ : ١٢٥ .

(٢) لسان العرب مادة لجا .

(٣) الملل والنحل ١ : ١٢٥ .

وإن كنت استبعد أن يكون رأيهم في تأخير على هو السبب في هذه التسمية

كانت نظرة المرجئة إلى الخلافة وسيطاً بين الخوارج والشيعة ٠٠ فقد نظر الخوارج إلى الخلافة على أنها منصب سياسي لا منصب ديني ٠٠ وهم يربطون بين الإيمان والعمل الصالح ويرون أنهما وحدة لا تنقسم ومرتكب الكبيرة في رأيهم كافر مخلد في النار ويثأر على هذا أن بني أمية مرتكبون الكبائر كفاراً يجب قتالهم وخلعهم ٠

أما الشيعة فذهبوا إلى أن الإمامة منصب ديني متوارث وقالوا إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوصى بالخلافة لعلي وعلى وأوصى لابنه وهكذا والإمام في رأيهم «محصون من الخطأ وهو وحده مصدر التشريع ولا تجوز مخالفته ولا عزله وطاعته ركن من أركان الدين ٠

أما المرجئة فخالفوا هؤلاء وهؤلاء إذ فصلوا العقيدة الدينية عن الرأي السياسي لأن كل من أعلن إسلامه مسلم ولا يخرج عن إسلامه أنه عاص أو مرتكب للكبائر وهم ينفرون من المعاصي لكنهم لا يقضون على مرتكب المعصية بدخول الجنة أو النار بل يرجئون الحكم في ذلك على مرتكب المعصية بدخول الجنة أو النار بل يرجئون الحكم في ذلك إلى الله يفعل بهم ما يشاء يوم القيامة (١) ٠

وقد تأثر بعض الأدباء بأراء المرجئة ودانوا بذهبهم وعبروا عن ذلك في نتائجهم الأدبية ٠٠ وإن كان هؤلاء الأدباء أقل شأنًا من أدباء المعتزلة ٠٠ ولكنهم على كل حال خلفوا لنا من أشعارهم ما ينبئ عن مذهبهم ٠٠

(١) أدب السياسة من ١٢٥ ط دار النهضة ٠

ومن هؤلاء أبو عاصم الليثي الذي كان من الخوارج ثم خلفهم
وانضم إلى المرجئة فلمس ذلك في قوله :

فأرقت نجسدة والسنين تترقوا
وابن الزبير وشيعة الكذاب (١)
والصفر الآذان الذين تخشروا
دينا بلا ثقة ولا بكتاب (٢)

ومنهم ثابت بن قطنه ويكنى بأبي العلاء وقيل لقب يقطنه لان
شهما أصابه في الهدي عيبه فذهب بها في بعض حروب الترك فكان
يجعل عليها قطنه (٣)

وقد كان ثابت لسان المرجئة المعبر عن عقيدتها ويذكر أبو الفرج
ان ثابتا هذا قد جالس قوما من الشراة وقوما من المرجئة كانوا يجتمعون
فيتجادلون بخراسان فقال إلى قول المرجئة واحبه فلما اجتمعوا بعد
ذلك انشدهم قصيدته في الإرجاء وهي قصيدة على جانب كبير من
الاهمية والخطر لانها الاثر الوحيد الباقي الذي يصور عقيدة المرجئة
وافكارها وهي لذلك تعد وثيقة تاريخية وفنية على درجة كبيرة
من الفائدة وقد اودع فيها ثابت مقالته المرجئة حيث يقول :

(١) نجدة زعيم فرقة النجدات من الخوارج ، تزرقوا ادانوا بمذهب
الازارقة وهم من الخوارج وكان زعيمهم نافع بن الأزرق وابن الزبير : هو
عبد الله بن الزبير بن العوام زعيم الحزب الزبيرى والكذاب : المختار بن
أبي عبيد الله التقي زعيم الكيسانية احدى فرق الشيعة .
الخوارج :
(٢) الصفر الآذان : هم الصفرية أتباع زياد بن الأصغر احدى فرق
(٣) الأغانى ١٣ : ٤٧ .

يا هند انى اظن العيش قد نفدنا
 ولا ارى الامر الا مدبرا نكدنا
 انى رهينة يوم نلت سابقه
 الا يكون يومنا هذا فقد افدنا
 بايعت ربى بيما ان وفيت نه
 حاورت قتلنى كراما جارروا احدا
 يا هند فاستمعى لى ان سيرتنا
 ان نعبد الله لا نشرك به احدا
 نرجى الامور اذا كانت مشبهة
 وتصدق القول فيمن جار او غدرا
 المسلمون على الاسلام كلهم
 والكافرون استنوا في دينهم قددا
 ولا ارى ان ذنبنا بلغ احدا
 م الناس شركا انا ما وجدوا الصمدا
 لا نسلفك الدم الا ان يراد بنا
 سفك الدماء طريقا واحدا جددا
 من يتق الله في الدنيا فان له
 اجر التقى اذا وفي الحساب غدا
 وما قضى الله من امر فليس له
 رد وبها يقض من شيء يكن رشدا
 كل الخوازم بخط في مقبالتة
 ولو تعبد فيما قال واجتهدنا
 امنا على وعثمان فانهبنا
 عبدان لم يشركا بالله مذ عبتنا

وكان بينهما شغب وقد شهدا
 شق المصا وبعين الله ما شهدا
 يجزى على وعمس بسميها
 وبسست ادري بحق آيه وردا
 الله يعلم ماذا يحضرون به
 وكل عيد سيلقى الله منفردا (١)

والآيات تصور مذهب المرجئة تصويرا دقيقا ، ذلك
 ان المسلم اذا التبت عليه امور المتنازعين يجب ان يتوقف في
 الحكم عليهم وان يرجى امرهم الى الله تعالى يوم القيامة بحسب
 بينهم بما يعلنه ايا اذا كانت الامور راصحة فانتا نجهر فيها برأينا
 ونحكم فيها بالصواب او بالخطأ .

ونحن لا ينبغي ان تكفر مؤمنا مهما كان ذنبه عظيما لان الايمان
 لا يذهب بالذنب .. ولا نقاتل احدا من المسلمين الا دفاعا عن انفسنا
 ولنا مع الخوارج في تكفير على وعثمان رضي الله تعالى عنهما لانهما
 مسلمان يعبدان الله تعالى ولا يشركان به شيئا ولان النزاع بينهما
 لم ينقص من ايمانهما ، والله تعالى اعلم بحقيقة امرهما وسيجزي
 كلا منهما على عمله جزاء وفاقا لان كل انسان سيسأل منفردا أمام
 الله تعالى ..

وقد أفلح ثابت في التمسير عن مذهب المرجئة .. وان كان معظم
 تراثه قد ضاع ولم يبق منه الا هذه القصيدة ولا نملك في أنه كانت له

الشعراء اُخرى تصور مذهبه وتعبّر عنه فقد ذكر أبو الفرج انه نسخ ما أورد أشعاره من كتاب بخط المرهبي الكوفي في شعر ثابت بن قطنه (١) ٠٠

ونذكر ابن التديم ان احمد بن ابراهيم بن اسماعيل ابن داود بن حمدون كان له كتاب بعنوان شعر ثابت قطنه (٢) ٠

وهذا يجعلنا نعتقد انه كان شعرا كثيرا ولكن أشاره قد عفا عليها الزمن فضاقت مع ما ضاع تراثنا الادبي والعلمي ولو بقيت لاستفدتنا منها الكثير ٠

ولقد كان لراء المرجئة صدى كبير لدى الاوساط الادبية في العصر العباسي ٠٠ ذلك ان كثيرا من الشعراء الذين اسرفوا على انفسهم في ارتكاب المماضي طمعو في عفو الله ومغفرته ورضوانه لانه تعالى يغفر الذنوب جميعا - ونفروا من الخوارج والمعتزلة ٠٠

فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ٠٠ والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين الكفر والايان ٠٠ فمرتكب الكبيرة عندهم ليس بمؤمن وليس بكافر ٠٠ اما المرجئة فانهم يرضون امره الى الله وهو سبحانه واسع المغفرة ٠٠ ان شاء عفا وان شاء عاقب ٠٠ ومن ثم صادفت مقولتهم هوى في نفوس بعض الادباء الملاحين كابي نواس الذي تزهد في اواخر ايامه وطبع في عفو الله ورضوانه ٠

(١) الأغاني ١٣ : ٥٢ ٠

(٢) الفهرست ٣٦٥ ٠

وكان أبو نواس قد صحب النظام في صباه ثم اقتربا ثم دخل
النظام في المعتزلة حتى صار زعيما من زعمائهم فلما التقيا بعد ذلك
دعا النظام أبا نواس الى اعتناق مذهبه ولامه على شرب الخمر وقرعه
على فجوره ومجاهرته بالمصيان وخوفه عاقبة ارتكابه الكبائر فقال
أبو نواس قصيدته التي مطلعها :

دع عنك لومي فإن اللوم أغراء
وداوني بالتي كانت هي السداء

وختبها مفرضا بالنظام وأقواله في قوله :

فقل لمن يدعى في العلم معرفة
حفظت شيئا وغابت عنك أشياء
لا تحظر العفو ان كنت أمرا حرجا
فان حظسركه في الدين ازراء

ولابى نواس مقطوعات كثيرة يناجى فيها ربه ويطلب عفوهم
ورضاه مخالفا بذلك اراء المعتزلة في مرتكب الكبيرة ومفوضا امره الى
الله راجيا مغفرته كما اتقول المرجئة كقوله :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثيرة
فلقد علمت بان عفوك أعظم
ان كان لا يرجئوك الا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم
ادعوك رب كما امسرت تضرعا
فاذا رددت يدي فبن ذا يرحم
ما لي اليك وسيلة الا الرجسا
وجميل عفوك ثم انى مستلتم

وإبو تواس يتضرع إلى الله ويرجو رحمته ويرى ذنوبه ههنا
عظمت صغيرة بجانب عفو الله ومغفرته.

ثم إذا كان المحسنون وحدهم هم أصحاب الرجاء في العفو في حين
أنهم لا يحتاجون إليه بحكم ما قدموا من أدمان فإلى من يلجأ المجرمون؟
هل يسعهم شيء سوى رحمة الله التي وسعت كل شيء؟ وإذا لم يكن
للولى سبحانه رحمة بهم فمن يرحمهم؟

وفي موقف آخر يناجي أبو تواس نفسه بقوله:

يا تواس توقر	وتجمل وتصبر
بشباك الدهر بشيء	وبما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو	الله من ذنبك أكبر
لكبر الأشياء عن-اصغ	رأعفوا الله اصغر
ليس للانسسان الا	ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير	لا بل إله المدبر

فأكبر الذنوب ههنا عظم لا يسوى شيئاً بجانب عفو الله وأن
الإنسان ليس حراً في تصرفاته فكل شيء يجرى بتدبير الله ورهن
مشيئته .. وهو بذلك يناقض هذبه المعتزلة .. ويسير في خط واحد
مع آراء المرجئة ومعتقداتهم ..

ومهما يكن من شيء فقد كان لهذا الصراع بين الطوائف الدينية
والفكرية والسياسية دور فعال في نهو الأدب وازدهاره فقد جعلته
أدياً عالمية حيناً ثم ضيّقت بالحياة زائراً بمختلف الاتجاهات
حافلاً بكل الإحاسيس التي تكتب له الدوام والخلود .

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

- ١ - أدب السياسة في العصر الاموي ٠٠ د أحمد الخوفاي
- ٢ - ادب الشيعة ٠٠ د عبد الحسيب طه
- ٣ - ادب المعتزلة ٠٠ د عبد الحكيم بلبع - دار نهضة مصر للطبع والنشر -
- ٤ - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ٠٠ د محمد مصطفى هداره - ط دار المعارف -
- ٥ - الأغانى لأبى الفرج الاصفهاني ٠٠ ط دار الكتب المصرية
- ٦ - الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى - ط - بيروت -
- ٧ - بغية الوعاة لجلال الدين السيوطى - ط - السعادة بمصر
- ٨ - البيان والتبيين ٠٠ للجاحظ - ط - بيروت
- ٩ - تاريخ آداب اللغة العربية ٠٠ جورجى زيدان - ط - دار الهلال
- ١٠ - تاريخ الامم الاسلامية ٠٠ محمد الخضرى - ط - المكتبة التجارية بمصر
- ١١ - تاريخ الأمم والملوك ٠٠ للطبرى - ط - الاستقامة بمصر
- ١٢ - تاريخ الاسلام السياسي والدينى والثقافى والاجتماعى ٠٠ د حسن ابراهيم حسن
- ١٣ - تاريخ بغداد ٠٠ للخطيب البغدادي - ط - السعادة بمصر
- ١٤ - تاريخ الشعر السياسي ٠٠ د أحمد الشايب - ط - بيروت
- ١٥ - تاريخ الشعوب الاسلامية ٠٠ كارل بروكلمان - ط - بيروت

- ١٦ - تاريخ الشام ٠٠ لابن عساكر
 ١٧ - تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ٠٠ محمد جمال سرور
 ١٨ - تاريخ الشعر العربي ٠٠ د. محمد عبد العزيز الكفراوي
 ط - النهضة بمصر
 ١٩ - تاريخ النقد العربي ٠٠ د. محمد زنگول سلام - ط - دار
 المعارف
 ٢٠ - التطور والتجديد في الشعر الأموي ٠٠ د. شوقي ضيف
 ط - دار المعارف
 ٢١ - حديث الأربعة ٠٠ د. طه حسين - ط - دار المعارف
 ٢٢ - الحدود الإسلامية البيزنطية ٠٠ فتحي عثمان - ط - دار
 الكتاب العربي
 ٢٣ - الحضارة الإسلامية ٠٠ لآدم مزر - ط - لجنة التأليف
 والترجمة والنشر سنة ١٩٥٧ م
 ٢٤ - حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة ٠٠
 يوسف خليف - ط - دار الكتاب العربي
 ٢٥ - الخراج لابي يوسف صاحب ابي حنيفة - ط - بولاق
 بمصر سنة ١٣٠٢ هـ
 ٢٦ - دائرة معارف وجدي - ط - دائرة معارف القرن العشرين
 بمصر
 ٢٧ - ديوان اشعار الامير أبي العباس عبد الله بن المعتز
 ط - دار المعارف
 ٢٨ - ديوان أبي تمام - ط - بيروت
 ٢٩ - ديوان أبي نواس - ط - بيروت

- ٣٠ - ديوان البحسثري - ط - بيروت
- ٣١ - ديوان بشار بن برد - ط - بيروت
- ٣٢ - ديوان تميم بن الجعز لدين الله الفاطمي - ط - دار الكتب
المصرية
- ٣٣ - ديوان دعبل بن علي الخزاعي تحقيق ٠٠ د محمد يوسف
نجم - ط - بيروت
- ٣٤ - زهر الآداب وثمر الآليات ٠٠ لابي اسحاق الحصري - ط -
الخلبي بمصر
- ٣٥ - الشعر والشعراء ٠٠ لابن قتيبة - ط - الخلبى بمصر
- ٣٦ - شعر الطبيعة في الادب العربي ٠٠ د سيد نوفل - ط -
مصر سنة ١٩٤٥ م
- ٣٧ - الشعر العربي بين الجهد والتطور ٠٠ د محمد عبدالعزيز
الكفراوي - ط - نهضة مصر
- ٣٨ - شعر الحرب في ادب العربي د نكي المصاوي
- ط - دار المعارف
- ٣٩ - الشعبوية واثرها الاجتماعي والسياسي ٠٠ د زاهية
قدوره - ط - بيروت
- ٤٠ - شعر مروان بن أبي حفصه جمع وتحقيق ٠٠ د حسين عطوان
- ط - دار المعارف
- ٤١ - شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد - ط - مصر
- ٤٢ - الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ٠٠ د علي
ابراهيم ابو زيد - ط - دار المعارف بمصر
- ٤٣ - ضحى الاسلام ٠٠ احمد أمين - ط - بيروت

- ٤٤ - طبقات ابن سعد - ط - مصر
- ٤٥ - طبقات الشعراء ٠٠ لابن المعتز تحقيق عبد الستار احمد فراج - ط - دار المعارف بمصر
- ٤٦ - طبقات لشعراء لمحمد بن سلام الجمحي - ط - ليدن
سنة ١٩١٣ م
- ٤٧ - ظهر الاسلام ٠٠ احمد امين - ط - بيروت
- ٤٨ - العصر السياسي الاول ٠٠ د. شوقي ضيف
- ط - دار المعارف
- ٤٩ - العصر السياسي الثاني ٠٠ د. شوقي ضيف
- ط - دار المعارف
- ٥٠ - عصر المأمون ٠٠ د. أحمد شريد الرفاعي - ط - دارالكتب
المصرية
- ٥١ - العقد الفريد ٠٠ لابن عبد ربه الاتدلسي - ط - القاهرة
سنة ١٩٤٧ م
- ٥٢ - عيون الاخبار ٠٠ لابن قتيبة - ط - دار الكتب المصرية
- ٥٣ - فجر الاسلام ٠٠ أحمد امين - ط - بيروت
- ٥٤ - الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ٠٠ د. النعمان القاضي
- ط - دار المعارف بمصر
- ٥٥ - الفرق بين الفرق ٠٠ الخطيب البغدادي - ط - مصر
- ٥٦ - الفرق بعد الشدة ٠٠ للتنبوخي - ط - دار الطباعة
المجهدية بمصر
- ٥٧ - الفن ومناهبه في الشعر العربي ٠٠ د. شوقي ضيف
- ط - دار المعارف

- ٥٨ - الفن ومذاهبه في النثر العربي ٠٠ د شوقي ضيف
- ط - دار المعارف
- ٥٩ - الفهرست ٠٠ لابن النديم - ط - الاستقامة بمصر
- ٦٠ - في الشعر العباسي الرؤية والفن ٠٠ د عز الدين اسماعيل
- ط - دار المعارف
- ٦١ - القاموس المحيط ٠٠ للفيروز ابادي - ط - بيروت
- ٦٢ - الكامل للمبرد ٠٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط -
دار نهضة مصر
- ٦٣ - كتاب العرب ٠٠ لابن قتيبة - ط - ليدن
- ٦٤ - لسان العرب لابن منظور - ط - بيروت
- ٦٥ - مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ للسعودي - ط -
القاهرة سنة ١٩٢٨ م
- ٦٦ - مظاهر الشعوبية في الادب العربي ٠٠ د محمد نبينه
حجاب - ط - نهضة مصر
- ٦٧ - المختصر في تاريخ البشر لابي الفدا - ط - بيروت
- ٦٨ - المزهر ٠٠ لجلال الدين السيوطي - ط - السعادة بمصر
- ٦٩ - معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص ٠٠ للعباسي
- ط - السعادة بمصر
- ٧٠ - المحاسن والمساويء للبيهقي - ط - بيروت ١٣٨٠ هـ
- ٧١ - معجم البلدان ٠٠ لياقوت الحموي - ط - السعادة بمصر
- ٧٢ - مقاتل الطالبين ٠٠ لأبي الفرج الاصفهاني - ط - بيروت

- ٧٣ - مقدمة ابن خلدون - ط - محمد عاطف بالقاهرة
٧٤ - الملل والنحل .. للشهرستاني - ط - بيروت
٧٥ - النزاع والتخاصم .. للقريزي - ط - مصر
٧٦ - الوسيط في الادب العربي وتاريخه .. احمد السكندري
ومصطفى عناني - ط - دار المعارف بهصر
٧٧ - وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان .. لابن خلكان -
ط - الاسعاده بهصر .

محتويات الكتاب

صفحة	
(١)	مقدمة
٢	تمهيد
	الفصل الاول
٧	الصراع بين العرب والموالى في عصر بنى أمية
	الفصل الثاني
٢١	الصراع بين العرب والموالى في العصر العباسي
٢١	الشعبوية
٢٤	اشهر شعراء الشعبوية
٢٤	بشار بن برد
٤٢	ابو نوّاس
٥٥	الخرمي
٥٧	أبو سحاق المتوكلي
٦٠	علان الشعبوي
٦٨	دفاع العرب
٦٨	أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى
٧١	أبو الامد نباته بن عبدالله الحماني
	الفصل الثالث
٧٤	الصراع بين العرب والموالى
٧٧	الصراع في العصر العباسي
٨٢	المؤمن
٨٩	المتصم بالله
١٠٠	ابو سعيد الثغرى

الفصل الرابع

١١٤	الصراع بين العباسيين والعلويين
١١٤	التاريخ السياسي للصراع
١٣٦	أدب الصراع بين العلويين والعباسيين
	من شعراء العباسيين
١٣٨	مروان بن أبي حفصة
١٤٥	متنصور النميري
	من شعراء العلويين
١٤٩	الأسيد الصميري
١٥٥	دعبل بن أعلى الخزاعي

الفصل الخامس

١٩٩	الصراع العباسي العلوي بين ابن المعتز وتميم ابن المعز
٢٠٥	أولا : عبدالله بن المعتز
٢٠٨	ثانيا : تميم بن المعز
٢١٢	الصراع بين الشعراء

الفصل السادس

٢٤٧	الصراع الديني والفكري
٢٤٧	الخواارج
٢٥٠	تاريخهم السياسي في العصر العباسي
٢٥٤	دعائم مذهبهم
٢٥٥	أدب الخوارج
٢٦١	المعتزلة
٢٦٩	أدب المعتزلة
٢٨٧	المرجئة
٢٩٦	المصادر والمراجع
٣٠٣	الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٨٨٤ / ١٩٨٤